

بسم الله الرحمن الرحيم

تم رفع هذه المادة العلمية من طرف أخوكم في الله: خادم العلم والمعرفة (الأسد الجريح) بن عيسى
قرمزي. ولاية المدية

الجنسية جزائرية

الديانة مسلم

موقعي المكتبة الإلكترونية لخادم العلم والمعرفة للنشر المجاني للرسائل والبحوث على

www.Theses-dz.com

للتواصل: رقم هاتف 00213771087969

البريد الإلكتروني: benaisa.inf@gmail.com

حسابي على الفيسبوك: www.facebook.com/Theses.dz

جروبي: <https://www.facebook.com/groups/Theses.dz>

تويتر https://twitter.com/Theses_DZ

الخدمات المدفوعة

01- أطلب نسخة من مكتبتني

السعة: 2000 حيقا أي 2 تيرا !

فيها تقريبا كل التخصصات

أكثر من 80.000 رسالة وأطروحة وبحث علمي

أكثر من 600.000 وثيقة علمية (كتاب، مقالة، ملتنقى، ومخطوطة...)

المكتبة مع الهريديسك بالدينار الجزائري 50.000.00 دج

المكتبة مع الهريديسك بالدولار: 500 دولار .

المكتبة مع الهريديسك بالأورو: 450 أورو

02- نوفر رسائل الأردن كاملة ب 500 دج أو 20 دولار للرسالة الواحدة على

<https://jutheses.ju.edu.jo/default2.aspx>

لا تنسوني بدعوة صالحة بظهر الغيب: ردد معي 10 سبحان الله وبجمده سبحان الله العظيم

اللهم صل وسلم على نبينا محمد بن عيسى قرمزي 2016.



اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد: مسعود كورني

إشراف: الدكتور: عبد الحميد حاجيات

السنة الجامعية : 1411 - 1412
1990 - 1991

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى

أمي فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بزة

وزوجتي

وابنائي: شرف الدين ووليد وحسنية وأمينه

المقدمة

كانت تعيش في المغرب الاسلامي مجموعة من الجاليات غير الاسلامية كالنصارى والمسيحيين واليهود ، وقد لعبت هذه الجاليات دورا هاما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية .

وبرزت الجالية اليهودية ، كأخطر الجاليات التي عاشت في المغرب الاسلامي ، لعدد ما الهام المتوزع عبر المدن المغربية ، حيث لم يقتصر وجودها على الحواضر الكبرى ، وإنما تعدى الى أبعد اصقاع الريف المغربي .

ولئن كان دور الجاليات المسيحية محدودا في الزمان والمكان على ما يبدو (1) فإن الوجود اليهودي لم يكن كذلك . بل نجد العناصر اليهودية ، قد توفقت في المجتمع المغربي ، وبرزت كجالية استطاعت أن تؤمن استمرارها عبر الزمن ، وعلى الرغم من تداول الدول التي تماثرت على حكم المغرب ، واستطاعت أن تصمد لحوادث الدهر ، لما يتمتع به السكان المشارقة المسلمون من تسامح تجاه الجاليات غير الاسلامية ، خاصة وأن الديين الاسلامي منح حق أمل الذمة العيش في كنف المجتمع الاسلامي بكل حريته ، واعتبار السلطات الحاكمة اليهود زبائرا لهم حقوق وعليهم واجبات ولما يتمتع به الجالية اليهودية من مزية .

وقد استفاد اليهود من الحرية المطبوعة لهم ، فظهرت الاحياء الخاصة بهم ، وعرفت بعض المدن باسمهم (2) لكثرة عددهم ، وشيدوا المدارس ، والمعاهد الكبرى في القيوان ، وفاس ، وقرطبة . وشاركوا في الدورة الاقتصادية ، وزاحموا المشارقة حتى في الوظائف الادارية والسياسية . ولكن لم ينف اليهود عند هذا الحد ، بل أرادوا السيطرة ، أي التناول على المسلمين في المغرب ، ضاربين جانبها شروط الذمة التي وفروا لهمم الشرع الاسلامي .

ونتيجة لذلك ، اصطدم اليهود بحكام الدولة الموحدية الاوائل خاصة عبد المؤمن بن علي الكومسي ، الذي طلب منهم الدخول في الاسلام أو الهجرة ومصادرة أرض المغرب التي تقع تحت سلطانه . فمضوا من اسلام ، ومضوا من هاجره ولكن في الحقيقة لم يسلم اليهود عن قناعة وإيمان ، وإنما دخلوا الاسلام ، حفاظا على مصالحهم المادية ، مما أثبت حفيظة وشكوك بعض الحكام الذين خلفوا عبد المؤمن .

1- تستحق الجاليات المسيحية في المغرب الاسلامي دراسة خاصة بها .

(2) - كفاس ، واليسانة ، وغرناطة .

فإن هذه الملمحة توضح مدى أهمية دراسة الجالية اليهودية في المغرب الإسلامي، غير أنه تبرز بصورة أوسع وأشمل إشكالية البحث في الجماعات اليهودية في هذه الربوع للأسباب التالية :

(1) — عدم وجود دراسة شاملة عن اليهود في المغرب الإسلامي باللغة العربية حسب علمي .

(2) — الرد على الكثير من الدراسات اليهودية التي بحثت جوانب من الموضوع، من زاوية ضيقة، إذ درس أصحابها مسألة الحضور اليهودي في المغرب الإسلامي بمنظرة أحادية، يكتنفها التحيز الواضح لخدمة أغراض صهيونية .

(3) — معرفة خصائص الجالية اليهودية بالمغرب الإسلامي من جميع النواحي، الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية .

(4) — محاولة حصر وإبراز التفاعل اليهودي داخل المجتمع المغربي على مدى قرون من القرن الأول للهجرة إلى القرن السابع الهجري .

(5) — التعرف على كيفية احتضان المغاربة للجالية اليهودية، وطريقة التعامل معها، انطلاقاً من النصوص الشرعية، والأنظمة السياسية .

(6) — إبراز المكانة التي احتلها اليهود في كنف المجتمع الإسلامي، المغربي، والنتائج الناجمة عن ذلك .

وقد قسمت الموضوع إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. تبرزت في المقدمة إلى أهمية الموضوع وأسباب اختيار البحث فيه .

و درست في الفصل الأول اليهود في المغرب قبل الفتح، فتتبعنا المجرات اليهودية وأهميتها العددية، موضحاً الأسباب التي أدت بهم إلى النزوح لارض المغرب. كما تتبعنا هذا الوجود من العهد الفينيقي إلى عتبة الفتح الإسلامي، قصد معرفة التغيرات التي طرأت على الجالية اليهودية، التي رافقت الحضور الفينيقي والروماني والوندالي والبيزنطي .

أما في الفصل الثاني فقد تطرقت إلى اليهود في المغرب بعد الفتح متتبعين هجرة اليهود الذين اقتفوا آثار الجيوش الإسلامية. قصد الاستقرار في الحواضر المغربية نتيجة للتغيرات التي عرفها المغرب

بسبب الفتح . ثم حاولت التعرف على مناطق استقرار اليهود . كما ناقشت مسألة انتشار الديانة اليهودية في المغرب ، التي أخذت حيزاً كبيراً فني الدراسات التي كتبها اليهود وغيرهم . إذ حاول هؤلاء إثبات انتشار الديانة الموسوية في كثير من مناطق المغرب ، غير أن هذا الزعم تدحضه الوثائق التاريخية وببوضحة المنطق .

ثم تطرقت إلى الوجود اليهودي في المغرب الاسلامي موضحاً الوضعية القانونية التي تتميز بها الجالية اليهودية المستمدة أساساً من الشريعة الإسلامية ، التي تقبل بحرية المعتقد لغير المسلمين ، وتضمن لهم العيش الكريم .

وقد تعرضت في الفصل الثالث إلى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، فبينت خصائص الجالية اليهودية ضمن الإطار الاجتماعي الخاص بها ، كاللباس والسكن والاعياد التي يحتفل بها اليهود ، والزواج ، وعلاقتهم بالمسلمين بحكم وجودهم في الوسط الاجتماعي المغربي .

أما في الجانب الاقتصادي ، فحاولت معرفة دور اليهود في هذا المجال ، حيث حصرت المهن التي عملوا بها ، وهي مهن وصنائع غير محدودة ، إذ اشتغل هؤلاء في كل المهن والحرف من أبسطها إلى أرقاها دون قيود أو حدود في الحواضر الكبرى والريف المغربي ، إلا في حالات خاصة .

وفي الفصل الرابع ، ركزت على الحياة الثقافية لليهود ، ابتداءً من التعليم في كل مراحله وبرامجهم ، وطرقه ، وبحث في الحركة الفكرية اليهودية بالمرتب الإسلامي . أبرز التطورات التي طرأت على الثقافة اليهودية وتأثيرها بالثقافة العربية الإسلامية موضحاً أهم المصادر التي استقى منها اليهود لتطويع ثقافتهم . ثم تطرقت للجدل الثقافي بين المسلمين واليهود في المسائل الجندرية ، والموسوية ، والفكرية ، فهذا الجدل يوضح بجلاء الصراع القائم بين المسلمين واليهود في مجالات كثيرة وعلى رأسها المجال السياسي .

كما أبرزت دور اليهود كنقطة للتراث الثقافي الاسلامي إلى أوروبا بحكم انتمائهم اللغة العربية اتقاناً جيداً ، ودورهم في ترجمته إلى اللغات الأوروبية .

وفي الفصل الخامس بحثت في الجانب السياسي لليهود في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط ، فتحدثت عن الوظائف الادارية السياسية والسياسية التي شغلها اليهود في أجهزة النظم التي تماقت على المغرب الاسلامي من الفتح إلى نهاية الدولة الموحدية كالحمال ، وجبال ، والضرائب .

والوزراء ، اذ تصدر هذا المنصب الاخير عدد من اليهود ، وهي أرقصى
وظيفة يمكن للذي أن يصل اليها .

ثم تطرقت الى المهام الدبلوماسية المتمثلة أساسا في
السفارات التي شارك فيها اليهود ، أو قاموا بها بمفردهم لحساب المسلمين ،
وأوضحت الأسباب التي ساعدت على اختيارهم .

وأثريوا اليهود لمناصب ممتازة في أجهزة الحكم التابعة
للدول الإسلامية في المغرب استغل هؤلاء موظفيهم للتطاول على المسلمين ،
وشاركوا في مؤامرات ودسائس أهمها التي قام بها ابن بغيلة ، هذه الدسائس
التي أدت الى قتله في نهاية الامر .

وفي هذا الفصل تعرضت لمسألة خطيرة تتمثل في محاولة
انشاء كيان يهودي هذا المشروع الذي اجهض بفضل يقظة المغاربة ،
وعلى الرغم من هذا يبقى هذا المشروع محل تساؤل لمخوضه ، وفي نهاية الامر
بحثت في علاقة اليهود في المغرب بيهود العالم ، وحاولت إبراز هذه العلاقة
ومحتواها .

وفي الختام لا يسعني الا ان أشكر كل الذين قدموا لي
يد المساعدة لانجاز هذا العمل المتواضع ، خاصة اساتذتي بمعهد التاريخ
بالجزائر ، والدكتور احسان عباس الذي لبى رغبتي بما طالبت منه ، وجامعة
الخرطوم ، وزملائي من طلبة قسم الماجستير ، وان انس فلا أنس الدكتور
عبد الحميد حاجيات الذي وافق على الموضوع ، والاشراك عليه ، حيث استفدت
من ملاحظاته القيمة وأرشاداته السديدة ، وتوجيهاته الحكيمة .

نقد المصانير والمراجع

- 1 كتب الفقه والأحكام
- 2 كتب الحسبة
- 3 كتب الرحالة والجغرافيين
- 4 كتب الطبقات والتراجم
- 5 كتب التاريخ والأدب والثقافة العامة
- 6 المراجع العامة الحديثة
- 7 أهم المقالات التي عالجت الموضوع.

وقد اعتمدت على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع التي تحدثت عن اليهود في المغرب وهي في الحقيقة كثيرة ، ولكن المعلومات التي تقدمها تختلف من حيث الزاوية والشمولية واللاحقة الهامة التي أشير إليها ، وهي أن المصادر الإسلامية شحت من المعلومات عن اليهود ، حيث نجد المؤمنين يطلبون في الحديث عن أخبار الأمراء والحروب والاحتصانات والمزائيم ولكن الأخبار المتعلقة بالجاليات غير الإسلامية فهي قليلة وإن ذكرت فتذكر عرضاً ليس المقصود منها شرح وضعية هذه الجاليات أو دورها ، ومميزاتها والخصائص التي تفرق بها عن بقية المجتمع الإسلامي عموماً ، وإنما هذه الأخبار تدخل ضمن السرد العام للأحداث .

ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها كتب الفقه والأحكام التي تعد أصولاً
يمكن أن يستفيد منها الباحث في التعرف على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي
تحتوي على معلومات لا يمكن أن نجد ما في الكتب التاريخية أو الجغرافية أو الأدبية.
(١) "المدينة المنورة" للإمام مالك بن أنس رواية الإمام سحنون بن سعيد
بن حبيب الطبري، (١٠٠/٤٤٠هـ) فقه أهل زمانه وشيخ عصره وعالم وقته (١)
عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العجلي (٢) (١٣٢/١٩١هـ) عن الإمام مالك
والمدينة من أهل الكتب في الفروع المالكية (٣) إذ يعتبر أحد مصادر المذهب
المالكي بعد الموطأ، وهي كما قيل في مقدمة الكتاب "كتاب من كتب
أهل المدينة" (٤)

- 1) القاضي أبو الفضل عباس بن موسى بن رياض النخعي السعدي (الترتيب المذكور)
وتعريب المسالك لمصوفة أعلام من كتب مالك "، يهودته مشهورات. دار مكتبة الحياة
بيروت تاريخ 3 هـ ص 110 .
- 2) ابن التميمي العتقي : من أصحاب مالك ، توفاه عليه ، ولازمه مدة عشرين سنة
جمع بين الزهد والعلم وتوفي بمصره انظره أبو اسحاق الشيباني الشافعي
"طبقات الفقهاء" ، تحقيق وتقديم احسان عباس ، بيروت دار التراث العربي
1961 هـ ط 2 ، ص 150 .
- 3) يوسف النحاس سريكي : "معجم المداييعات العربية والمصرية" ، مصر مطبعة
سريكي ، 1929 هـ ط 1 ، ص 11 .
- 4) مصطفى الشكعة : "الامام مالك بن انس" ، بيروت دار الكتاب اللبناني 1983 هـ
ط 1 ، ص 45 . سعدي أبو حبيب "سنة ابن رستم وحق" ، دمشق
دار الفكر ، 1986 هـ ط 2 ، ص 33 .

وقد استفدت من المذونة في مواقع عدة من البحث ، منها مسألة الجزية ، وتجارة أهل الذمة ، وما يترتب عنها ، كما استفدت من رواية سحزون في كثير من مواطن البحث في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للجالية اليهودية في المغرب الاسلامي .

(2) " الرسالة " التي أنشأها أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (385/310 هـ) يطلب من الشيخ مجز بن خلف (5) . وقد نالت الرسالة شهرة واسعة في المغرب والمشرق . فقام العلماء بشرحها ووضع الحواشي عليها لاهميتها (6) . والرسالة مختصر في الفقه المالكي تحتوي على خمسة وأربعين بابا ، أما الهدف من نشرها كما أورد المؤلف لتكون منطلقا لتعلم الضبيان كما هي وجهة للكبار لفهم دينهم ومعرفة الفرائض والتعرف على أصول الفقه وفنونه والسنن والآداب (7) . والرسالة تحتوي على مادة طبية تخص أهل الذمة بضرورة عامة ، لذلك عولت عليها في باب الجزية . وما يترتب عنها من التجار الذميين أثناء تجرحهم بالامصار العربية ، وتحتوي الرسالة على اشارات عامة في المعاملات بين المسلمين وأهل الذمة عموما واليهود خاصة كسأنة تحريم أو تحايل طعام أهل الكتاب وذبايحهم ، كما استفدت من مسائل أخرى تهتم الحواشي الاجتماعية كالزواج ، والقضاة .

(3) " أصول الفتيا " لمحمد بن الحارث الخشني (المتوفى حوالي 361 هـ) خاصة في باب أحكام الذميين وهو آخر أبواب الكتاب الذي يحتوي على مسائل كثيرة تتعلق بأهل الذمة كالحكم على الذمي عند النزاع ، وحذف الذمي ، وضمان ما اتلف الذمي وقد وجدت في هذا الكتاب معلومات لها أهميتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية . وفتاوي الخشني قصيرة وواضحة بحيث لا يجد القاري صعوبة لفهم مقصود المؤلف ، ان شرح منهجه قوله ((فأنني جمعت في هذا الكتاب أصول الفتيا على مذهبي مالك بن أنس والرواية من أصحابه جميعا معكسبا قديت فيه المعاني المكرة والمسائل النقية بالانفاظ الموجزة ، والإشارات المفهومة)) (8) .

- (5) محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، دون تاريخ ، 6 ص 95 ، وقيل يطلب من أبي إسحاق السبائي ، راجع ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأسدي ، الدباغ ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1978 هـ ، 3 ص 110 .
- (6) لاخذ فكرة عن كتابه ، راجع ، مصطفى بن عبد الله الشهبازي ، خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت ، دار العلم الحديث ، دون تاريخ ، ج 1 ، ص 841 ، كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مصر ، دار المعارف ، 1974 هـ ، 3 ص 287 .
- (7) ابن أبي زيد ، الرسالة ، ص 328 .
- (8) محمد بن حارث الخشني ، أصول الفتيا ، تحقيق وتعليق الشيخ محمد المجدوب ، د . محمد أبو الإحسان ، د . عثمان يطبع ، تونس ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص 44 ، 1985 .

- (4) "فصول الاحكام" لابي الوليد سليمان بن خلف الباجي الاندلسي (403/474 هـ) المعروف بمناظراته الساخنة خاصة المناظرات مع ابن حزم الظاهري (9) وكان الباجي ممن جسر في نفسه وضعية الاندلس التي آلت اليها في عهد الطوائف فكان من العاملين الجادين الي ((تكوين قوة تنصر الاسلام بالجزيرة الاندلسية ويلتزم بها شمل ملوك الطوائف ومليك المغرب المرابطيين ولكن عوامل الانحلال أقوى من جهوده)) (10) وكتاب "فصول الاحكام" للباجي يشبه كتاب الخشني حيث توخى المؤلف الايجاز والاختصار وترك التطويل والاكتثار. وجدت في هذا الكتاب بعض المسائل التي استفدت منها في البحث كالسرقة ان قال بقطع يد الذي في حالة تلبسه بهذه الجريمة مثله مثل المسلم. وكذلك استفدت من مسائل أخرى تتعلق بالزواج.
- (5) "المقدمات لبيان ما اقتضته المدونة من الاحكام" لابن رشد (405/520 هـ) المعروف بالجد ((زعم الفقهاء)) وقته بأقطار المغرب والاندلس ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف، ردة الفقه، وكان اليه المفرع في المشكلات، بصيرا بالاصول، والفروع، والفرائض، والمتقن في العلم ((11)) طبع الكتاب مع المدونة الكبرى لسحنون. استفدت من هذا الكتاب في المسائل التي تخص الاحكام المتعلقة بالجزية وكذلك تجارة المسلمين مع أهل الذمة عن "كتاب الجهاد" وكتاب ابن رشد لا يختلف في معارفه عن أهل الذمة عن الفقهاء الذين سبقوه فهو يأخذ عن الامام مالك، وسحنون، وابن القاسم العتقي، وغيرهم من فقهاء المالكية، وكذلك يتعرض الى ما جاء عند الشافعي في كثير من المسائل.

- (9) عن هذه المناظرات أنظر = عبد المجيد التركي، "مناظرات في اصول الشريعة الاسلامية"، بين ابن حزم والباجي، "تعريب عبد الصابور شاهين"، مراجعة محمد عبد الحليم محمود، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1986 ط 1.
- (10) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، "فصول الاحكام وبيان ما مضى عليه العميل عند الفقهاء"، والحكام، تحقيق وتقديم محمد أبو الجفان، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- ص 47 ((مقدمة المحقق)) ٤٢٠٣٧٤
- (11) حمادي السبيدي، "ابن رشد الحفيد، حياته، علمه، فقهه"، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 59.

(6) "جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتيين والحكام" لابي القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني المعروف بالبيزلي (1241/844هـ) (12) وهو من كبار الفقهاء المالكية بالمغرب وكان ينصت بشيوخ الاسلام. والجامع عبارة عن مجموعة من النوازل أثيرتها في كتابه الذي يوجد الجزء الاول منه بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1333 قسم المخطوطات.

والمنهج الذي اعتمد البيزلي في جمعه انه جمع عدد كبير من المسائل الفقهية بأسئلتها وأجوبتها، ثم رتبها الى أبواب. وقد جاءت الاسئلة في البداية تتبعها الاجوبة. ولم يقتصر البيزلي على نقل المسائل الفقهية فقط بل يتدخل في كثير من الحالات شارجياً، وصعباً، كأن يقول ((قلت في المدونة كذا...)).

وعلى الرغم من أن البيزلي، عاش في مرحلة تاريخية بعيدة عن البحث أي ما بين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن التاسع الهجريين، نجد أنه قد أثبت فسي جامع فتاوي كثيرة لكل من أبي زيد القيرواني، والمازني، (وغيرهما) وهو لا يأمثالهم عاشوا خلال القرون التي يهتم بها البحث.

وأما عن مدى استفادتي من الجزء الاول، فهي تتمثل في الحصول على معلومات هامة تتعلق بأهل الذمة بالمغرب الاسلامي كاللباس، والسكن، والتجارة مع المسلمين، والصنائع التي يحمل بها اليهود، وبعض القضايا الاجتماعية التي تهم اليهود في الاندلس والمغرب.

(7) "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والاندلس والمغرب" لأحمد بن يحيى الوشرسي (334-914هـ)، وهو أفضل كتاب فتاوي قد عولت عليه كثيراً لأنه يعد موسوعة فقهية أحتوت فتاوي أهل المغرب الاسلامي بل ((يعتبر موسوعة حية للفقه المالكي)) (14).

- (12) عن البيزلي، راجع: بدر الدين القرافي، توشيح الدباج وحلقة الابتهاج، تحقيق وتقديم أحمد الشثوي، بيروت، دار المغرب الاسلامي، 1983 ط1، ص 266، محمد بن محمد الاندلسي، الوزير السراج، الحل السندسية في الاخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيللة تونس، دار التونسية للنشر، 1970، القسم الثالث، ص 705 وما بعده، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب ابن مريم، البستان في ذكر الاولياء والعلماء في تلمسان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص 150، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، منشورات دار مكتبة المدينة، دون تاريخ، ج 6، ص 133 و 189، خير الدين الزركلي، الاعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1980، ط 5، ج 5، ص 172.
- 13) المازني، فقيه، ومحدث مالكي توفي سنة 536هـ بالمهدية له شرح صحيح مسلم، سماه "كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم" و "كتاب ايضاح المحصول في برهان الاصول" أنظر، محمد الشاذلي النيفر، المازني، "الفقيه والمتكلم وكتابه المعلم" تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982.
- 14) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن الماشر الى القرن الرابع عشر الهجري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1931، ج 1، ص 124.

وكتاب المعيار انتهج فيه الونشريسي منهج البرزلي في جامعه ، ويبدأ
بباب نوازل الطهارة ، وينتهي باب عن الاحكام العامة يحتوي مسائل كثيرة منها
((في بيان توازن القرآن والفق بين القرآن والقراءات)) واسئلة في التفسير
وعلم التصوف .

وبما ان الونشريسي من علماء القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين
فانه اعتمد على فقهاء عاشوا في المرحلة التي يغطيها البحث في كل أجزاء المذهب
الاسلامي كابن ابي زيد القيرواني ، والمازني ، ونحي بن عمر صا حب ((أحكام
السوق)) .

وقد اعتمدت عليه كثيراً في المسائل الاجتماعية التي تهم اليهود كالأعياد
التي يحتفل بها اليهود ، وتبادل الهدايا بين المسلمين واليهود في الأعياد
والمواسم ، والسكن واللباس ، وعلاقات المسلمين باليهود ، والصنائع التي اشتغل
فيها اليهود ، وكذلك الدور الاقتصادي لليهود في المغرب الاسلامي ، وبعض
الصنائع التي تحتكرها الجاليات اليهودية في الحواضر والمدن .
فالمعيار يحتوي على مسائل اجتماعية واقتصادية هامة يمكن للباحث أن
يستفيد منها وهو ((عبارة عن التجارب المعاشة الموثقة وليس دراسة نظرية
أو افتراضية لمسائل فقهية)) (15) . ولهذا نجد الفتاوي التي نقلها الونشريسي
في ثانيا البحث كثيرة ، لأنها تعتبر شواهد من العصر الذي ظهرت فيه هذه
النوازل .

(8) " الاحكام السلطانية والولايات الدينية " لملي بن محمد حبيب
البصري الماوردي (450/370 هـ) وهو من اشهر وأهم كتب الاحكام وأجبل
كتاب في هذا الموضوع ، اذ عول عليه كل من كتب في الخلافة وسياسة الملك .
وقد قسم المؤلف كتابه الى عشرين باباً ، استهلها بالامامة ، والوزارة ، أما
الباب الاخير فتحدث فيه عن احكام الحسبة .

وكتاب الماوردي يحتوي على جوانب هامة كثيرة استفدت منها في البحث
اذ عولت كثيراً على الباب الاول في عقد الامامة ، وباب الوزارة حيث أنه لا يرى
مانعاً تقليد منصب الوزارة لذي شريطة ان تكون وزارة تفويض . واقتبست من
الباب الخاص بالجزية والخراج ، والباب الاخير في الحسبة .

(15) نفسه ، ص 121 .

(9) " أحكام أهل الذمة " للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (1/691/751هـ) والكتاب يعالج القضايا المتعلقة بتنظيم الجاليات غير الإسلامية في دار الإسلام . وكتاب ابن القيم لا يحصر الاوحد في بابيه لانه لم يكن سابقا في دراسة أهل الذمة ، بل هناك من سبقه غير أن كتاب " أحكام أهل الذمة " (1) امتاز عن كل ما سبقه بالدقة والعمق والشمول . فكان أول كتاب جامع في بابيه (16) .

وقد بين ابن القيم الجوزية في كتابه : مسألة الجزية بالتفصيل ، ومسألة الخواج ، وأحكام أهل الذمة في أموالهم ، ومعاملتهم عند اللقاء ، وأحكام ذبائهم ، وأحكام معاملتهم بصورة شاملة وجامعة . وأحكام زواج أهل الذمة ، وأحكام العوايش ، وأحكام الاطفال الذميين والشروط العصرية وأحكامها ، وموجباتها .

اعتمدت تقريرا على كل الابواب في هذا الكتاب الهام والشامل عن أهل الذمة ، والكتاب يوضح حقيقة مدى الحرية التي تتمتع بها الجاليات غير الإسلامية في دار الإسلام ، اذ حافظت على حريتها ، وكرامتها ، اذا لم تطعن في الدين الإسلامي وحرمته ، ولا تعرض بمصالح المسلمين ، واهتمام المسلمين بأهل الذمة مسألة معروفة لدى الجميع على الرغم من الصورة القاتمة التي يرصد بصورها بعض رجال الاستشراق (17) . اذ يدرك أن يخلو كتاب في الفقه من مسألة التعرض لأهل الذمة وحقوقهم وواجباتهم .

(10) " كتاب الولايات " لأحمد بن يحيى الوشيري صاحب المعيار الذي يتضمن الحديث عن مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية . اعتمد الوشيري في كتابه على الماوردي ، وقسم الكتاب الى قسمين ، الاول يهتم بالخلافة والامامة العظمى ، والوزارة ، والقضاء ، والشرطة ، وولاية الامارة على البلاد وولاية الامارة على الجهاد ، وولاية المظالم ، وولاية الحسابات لسوق ، وبعض الخطط الاخرى الاقل أهمية . أما القسم الثاني فقد خصصه للقضاء .

(16) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق وتعليق الدكتور صبحي الصالح ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1983 ، ط 3 ، ج 1 ، مقدمة المحقق ص 6 .

(17) أنظر مثلا :

ANTOINE FATTAL, le Statut des non musulmans en pays d'Islam, Beyrouth, imprimerie Catholique, 1958, Ch. E. DUFOUREQ, La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination Arabe, Paris, Hachette, 1978.

II - كتب الحسبة :

تعتبر كتب الحسبة ذات أهمية لدراسة التاريخ الاسلامي ، فهي تبرز حياة المجتمع في المدن ، وصين من الناحية الاجتماعية المشكلات التي ظهرت في المجتمع الاسلامي ((مما أدى الى الفتن في الغش والكسب بالمهين الخسيسة والشعوذة والاحتيال)) (18) . لذلك فهي تحتوي على نقد للمجتمع (19) والطريقة الناجمة لدوره الفاسد في اطار الشرع الاسلامي . ومن أهم كتب الحسبة العلمية التي عولت عليها في هذا البحث :

- (11) " أحكام السوق " لبحي بن عمرو (289/213 هـ) وهو من كتسب فروع الحسبة الهامة في بابها . (حيث أنه وصل الى درجة ملحوظة في التحري والدقة) (20) . وتكمن أهمية " أحكام السوق " في أنه يبين حياة أهل الذمة في المجتمع الاسلامي بمدينة القيروان اذ أن هؤلاء قد تشبهوا بالمسلمين في لباسهم ، كما يبرز الاعمال التي كان يقوم بها بعضهم في أسواق مدينة القيروان .
- ويتحدث يحي بن عمرو عن مسائل قد حدثت في الأسواق بحكم الوظيفة التي تصد رها وهي وظيفة القضاء ، اذ عاش هذه الاحداث وعاصرها في المغرب ، لذلك نجد كتابه قد دخل ضمن كتب الحسبة العملية ، لانه لم ينطلق من الفكر النظري البحث كالمؤردين والغزالي وابن تيمية وابن قيم الجوزية والقلقشندي (21) .
- (12) " كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة " لعبد الرحمن بن نصر الشبلي المتوفي سنة 589 هـ / 1193 م ، وعلى ما يبدو وحسب اتفاق الكثر ممن كتبوا عن الحسبة أنه أقدم كتاب في هذا الباب (22) .

(18) عبد الحميد العبادي ، صور وبحث من التاريخ الاسلامي ، عصر الدولة العباسية والمغرب والاندلس ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، 1953 ط 1 ، ص 119 ، وللتعرف على أهمية كتب الحسبة أنظر : سيدة اسماعيل كاشف مصادير التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه ، بيروت : دار الفوائد العربي 1983 ، ص 104 .

(19) نفسه ، ص 119 .

(20) موسى لقبال ، الحسبة العذمية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها) الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971 ، ط 1 ، ص 45 .

(21) نفسه ، ص 25 .

(22) نقولا زيادة ، الحسبة والمحتسب في الاسلام ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية 1963 ، ص 50 ، لقبال ، الحسبة ، ص 25 ، عبد الرحمن بن نصر الشبلي ، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة وتحقيق ومراجعة السيد / الهاز العويني ، بيروت : دار الثقافة ، 1969 ، ط 2 ، مقدمة المحقق ، ص

ويرجع الاستاذ عبد الحميد العبادي بأن المؤلف وضع كتابه بطلب من صلاح الدين الايوبي ، لمراقبة أرباب المهن والصناعات وأهل الذمة الذين كانوا يؤيدون الفاطميين (23).

ويحتوي " كتاب نهاية البرقة في طلب الحسبة " على أربعين بابا استفدت من الباب التاسع والثلاثين المتضمن " في الحسبة على أهل الذمة " حيث يوضح صحة عقد الذمة وشروطها . وقد احتوى الكتاب معلومات هامة تتعلق بالذممي كدفع الجزية ، واللباس ، والسكن ، وبعض القضايا الاجتماعية التي يجب على المحتسب أن يطبقها على الذمي .

وعلى الرغم من أن الكتاب ألف في المشرق الاسلامي ، فإن معاملة أهل الذمة لا تختلف نظريا كثيرا عن معاملتهم في المغرب ، لذلك يمد الكتاب مكملا لما كتب عنهم في المغرب الاسلامي .

(13) " معالم القرية في أحكام الحسبة " لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الاخوة (المتوفي سنة 729 هـ / 1328 م) اعتمد المؤلف كثيرا على كتاب الشيزي مضافا اليه مسائل كثيرة (24) . والمهم هنا ان المصنف شافعي المذهب وقد خصصه لمن يتصدر منصب المحتسب ليستفيد منه ، معتقدا في نصوصه على أقوال العلماء ، ومستندا على الاحاديث النبوية ، ويتوزع الكتاب على سبعين بابا . استفدت منه في هذا البحث عن الباب الرابع " في الحسبة على أهل الذمة " وبالمقارنة مع كتاب الشيزي في هذا الباب فان ابن الاخوة توسع أكثر من حيث المحتوى ، وقد يفهم من ذلك تطاول أهل الذمة على المسلمين ، حيث استهل الباب بقوله ((أعلم ان التساهل مع أهل الذمة في أمور الدين خطر عظيم ...)) (25) فهذا التحذير يوضح خروج أهل الذمة عن قواعد المعهدة العمرية ، فيدخل ابن الاخوة لاعادة النظر في هذه المسألة بقوله ((يجب على المحتسب النظر في أهل الذمة وأن يلزمهم بما هو مشروط عليهم وبما التزموه على أنفسهم من قديم الزمان ولا يخصص لهم في ترك شيء منه قولا ولا فعلا ويلزمهم بما كتبوه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه)) (26) .

(23) العبادي ، صور وبحوث من التاريخ الاسلامي ، ص 117 .

(24) نقولا زيادة ، الحسبة والمحتسب ، ص 51 ، لقبال ، الحسبة ، ص 26 .

العبادي ، صور وبحوث ، ص 118 .

(25) محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الاخوة ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، علي بنقله وتصحيحه ، روبن ليو ، كمبرج ، مطبعة

دار الفنون ، 1937 ، ص 38 .

(26) نفسه ، ص 40 .

ومجدر القول لا يخرج هذا الباب المقتود لأهل الذمة عن بقية كتب الحسبة الأخرى الشخصية أو المشرقية في مسألة التشدد إزاء اليهود والنصارى حتى لا تتضمن مصالح المسلمين مع عدم انفعال حقوقهم كأقليات تعيش داخل المجتمع الإسلامي.

(14) "كتاب التوسير في أحكام التسخير" لأحمد سعيد المجيلدي (المتوفي سنة 1094 هـ / 1683 م) فعلى الرغم من العصر الذي عاش فيه المؤلف لا يدخل في الإطار الزمني للبحث ، فإني اعتمدت عليه في الباب التاسع الذي يحمل عنوان "في حكم الاختلاط المسلمين في أسواقهم مع أهل الذمّة والتشبه بهم في زيهم" لأنه استفاد من أخبار القاضي يحيى بن عمر صاحب "أحكام السارق" في مسألة اختلاط المسلمين بأهل الذمة في الأسواق والتزيي بلباس المسلمين ، وهذا ما جاء طبقاً للمعلومات التي نجدها في "أحكام السارق" (27).

واستفدت من كشف المصطلحات الذي وضعه الدكتور موسى إقبال فسي أخيراً الكتاب كدليل حيث شح مثلاً مصطلح "الزوار" الذي يتخذ به أهل الذمة في أساطيرهم كعلامة مميزة.

III - كتب الجغرافيا والرحلات:

اهتم المساهمون بالجغرافيا اهتماماً خاصاً (28) ، وقد احتوت الكتب الجغرافية وأصبحت في المعلومات زاخرة عن الحياة في المدن والأصاار الإسلامية وغير الإسلامية لذلك تعتبر هذه المؤلفات مصدراً هاماً لكتابة التاريخ . ومن أهم المؤلفات التي اعتمدت عليها :

(15) "الممالك والممالك" لأبي القاسم سعيد الله بن عبد الله المعروف بـ"أبي خروما" (المتوفي في حدود 300 هـ / 920 م) وكتابه هذا أول من حمل هذا الاسم (29).

(27) ونقل المؤلف في هذه المعلومات في دبراه ، أنظره أحمد بن يحيى الزهرسي ، استعبار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والأندلس ، خريجه جماعة من العلماء بأشراف الدكتور محمد حجي بهروت ، دار المغرب الإسلامي ، 1931 ، ج 6 ، ص 69 ، 406 ، 407 .

(28) من اهتمام المساهمين بالجغرافيا ، جامع جمال الفندي ، الجغرافيا عند المسلمين ، كتب دائرة المعارف الإسلامية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ومكتبة دار المعارف ، القاهرة ، 1931 .

(29) كتاب الممالك والممالك ، ص 11 .

اشتغل ابن خرداذبة عاملاً في البريد في منطقة فارس، وقد استفاد من عمله في جمع عدد كبير من المعلومات عن الأقاليم البعيدة، فظهر كتابه زاخراً بالمعلومات عن الخراج وتحديث عن المسافات بين المدن وطرقها (30) وقد استفاد صاحب "المسالك والممالك" من الجغرافي اليوناني بطليموس وعموماً يؤكد في مقدمة كتابه بقوله ((فوجدت بطليموس قد أثان الحدود وأوضح الحجة في صفتها بلغة أعجمية فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة لتقف عليهما (...)) (31).

وقد استفدت من هذا الكتاب، فيما يخص اليهود الراذانية الذين يحسنون لغات عديدة ويتنقلون ما بين الشرق والغرب، ولوعية السلع التي يقومون بنقلها من منطقة إلى أخرى، وهو أول من تحدث عن هؤلاء التجار، وأوضح المسالك التي تعتمد عليها تجارتهم.

(16) "المسالك والممالك" لابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي (المتوفي سنة 350 هـ/961 م) (32)، وقد زود الاصطخري كتابه بمجموعة من الخرائط معتمداً على نفس النظام الذي سلكه البلخي (33). واعتمد في تأليفه على المشاهدة، والرواية. وكان الاصطخري قد حاول أن يرسم خطة منهجية مدروسة يسير عليها، وبالمقارنة مع عصره. يتميز الاصطخري دقياً في معلوماته فهو يتحرى الحقائق الصحيحة المقبولة والمقبولة بحيث يرفض الخرافات (34).

واستفدت من كتاب الاصطخري في الباب الذي خصصه للمغرب الموسوم "ديار المغرب" وتوجد به مادة ذات فائدة عن مملكة الخزر اليهودية إذ تحدث عن تعدد الشرائع الاجتماعية بالخاصة "أهل" والديانات الأخرى التي يدين بها السكان، وعلاقة اليهود بالمسلمين.

(17) "صورة الأرض" لابي القاسم بن حوقل النسيبي (المتوفي 330 هـ/990 م) والذي سجل فيه رحلته، التي بدأت سنة 331 هـ/943 م وذلك لدراسة الممالك والبلدان، وطلباً للارتزاق من التجارة، وانتهت رحلته إلى دامت حوالى ثلاثين سنة، بعد أن زار الديار الإسلامية في المشرق والمغرب، وزار مناطق من أوروبا كبلاد البلغار (35).

(30) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص 185.

✳ هكذا في النص المطبوع.
(31) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، بغداد، مكتبة المثلث، دون تاريخ، ص 3.

(32) ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ومراجعة محمد شفيق غريال، القاهرة، دار القلم، 1958، مقدمة المحقق، ص 9.

(33) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون، ص 189.

(34) الاصطخري، المسالك والممالك، مقدمة المحقق، ص 9.

(35) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون، ص 190.

اعتمد ابن حوقل على المشاهدة والمعاينة، وعلى كتب كل من الاصطخري وابن خرداذبة، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزهر الساماني (36).

ومادة ابن حوقل أغزر وأدق من المعلومات التي تركها الاصطخري، إذ توسع في المادة التي دونها خلال زيارته للمغرب. وفي القسم المغربي توجد اشارات عن أهل السدنة في بعض المدن المغربية كمدينة قابس التي يقول عنها: ((وبها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود)) (37). كما سجل مادة عن برغواطة وأخبارها، وأنفسرد ابن حوقل بنصيب من الموضوعية حيث لم يلاحظ ما سجله المؤرخون والجغرافيون من فساد عقيدة برغواطة، بل نجده قد أثبت على غيرها، وهو ما لم نجده في المصادر الأخرى.

(13) " المسالك والممالك " لابن عبيد الله بن عبد العزيز البكري (المتوفى سنة 487 هـ / 1094 م) والذي نشر جزء منه تحت عنوان ((المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب)) ويعتبر هذا المؤلف من أهم الكتب الجغرافية التي تناولت المغرب، اتساعاً وشمولاً على الرغم من أنه لم يفادراً الاندلس، إذ اعتمد في تأليفه على الجمع والتصنيف (38) حيث استفاد من سبقه أمثال " ابن الوراق " (39) وبرايم بن يعقوب الطرطوشي (40). وقد استفدت من كتاب البكري كثيراً خاصة فيما يتعلق بمراكز اليهود في العديد من المدن المغربية، والمهين التي يحملون بها، إضافة إلى المعلومات التي سجلها عن دولة برغواطة حيث أطلب في الحديث عنها، وروايته عنها تعتبر أقدم رواية وصلتنا، نقلها عنه المؤرخون الذين جاؤوا بعده.

-
- (36) نفسه، ص 191.
- (37) أبو القاسم بن حوقل النصيب، صورة الأرض ببيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1979، ص 72.
- (38) أنخل جنثالث بالثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955، ط 1، ص 310.
- (39) هو محمد بن يوسف الوراق المتوفى سنة 363 هـ / 973 م عاش في مدينتي القيروان وقربة، ألف كتاباً في وصف المغرب بعنوان " مسالك إفريقيا وممالكها " للحكم المستنصر، راجع، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تحقيق وتقديم، إبراهيم الأبياني، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983، ط 2، ص 158، أحمد بن محمد المقبي، نفح الطيب من غصن الاندلس للطبيب، تحقيق أحسان عباس ببيروت، دار صادر، 1968، ج 3، ص 163 بالثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص 309.
- (40) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب " المسالك والممالك " تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الإرشاد، 1965، ط 1، ص 155، 170، 177، 178، 179.

(19) "كتاب الجغرافية" لابي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، المتوفى في أواسط القرن السادس الهجري / أواسط القرن الثاني عشر للميلاد، وهو من معاصري الادريسي وأبي حامد الغرياني (41). اعتمدت على كتاب الزهري في تحقيق بعض المدن المغربية، والمعلومات التي تتعلق باقتصاديات الامصار والموادي بالمغرب والاندلس، وهي معلومات مكملة لها جاء في الكتب الجغرافية الاخرى.

(20) "نزهة المشتاق في اختراق الافاق" للشريف الادريسي (42) المتوفى عام 564 هـ / 1160م، نشر الكتاب عدة نشرات، ويحتوي على مادة طيبة في وصف أحوال البلاد وأرضها، والمسافات، والناس والصداعات التي يحطون بها، وملهم، ومبذاهبهم، وملابسهم، ولغاتهم.

وقد افادني في التعرف على مراكز اقامة اليهود في المغرب، والاعمال التي كانوا يقومون بها في هذه الديار، وحالتهم الاجتماعية والاقتصادية خاصة المدن الاندلسية، ويحتوي على شذرات من أخبار اليهود في العهد المرابطي وعلاقتهم بالسلطنة.

(21) "معجم البلدان" لياقوت الحموي توفى (626 هـ / 1228م)، شمل هذا المصنف جغرافية العالم معتمدا على المشاهدة، اذ زار العالم الاسلامي للتجارة، واعتمد كذلك على النقل من المصادر المعروفة حيث نسب مصادره عن الآخرين الى صاحبه (44).

وقد احتوى "معجم البلدان" مادة غزيرة عن المغرب ومدنه، فاستفدت من المعلومات التي ذكرها عن اليهود في المغرب، وكذا بعض الاحداث التاريخية التي نجدتها في ثنايا الحديث عن الامصار المغربية.

(41) أبو عبد الله بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق. Bulletin d'études orientales, Institut Français de Damas, T. XXI, 1968 القسم العربي، مقدمة المحقق، ص 308.

(42) عن الادريسي، راجع، محمد عبد الغني حسن، الشريف الادريسي، أشهر جغرافي العرب والاسلام، القاهرة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، سلسلة اعلام العرب، رقم 97، 1971.

(43) كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، القسم الاول، ص 332.

(44) نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت، مكتبة المدرسية، ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1962، ص 63.

(22) " آثار البلاد وأخبار العباد " لـ زكريا بن محمد القزويني (ت 682 هـ / 1283 م) وصف القزويني أقاليم الأرض حسب التقسيم لبطليموس ، معتمداً على مبن سبقه أمثال الخرناطي ، والحذفي ، وأبراهيم الطرطوشي (45) وياقوت الحموي (46) .

استفدت من الاشارات الهامة التي جاءت عن اليهود - في هذا الكتاب - حينما تطرق للمدن المغربية اذ من خلالها يمكن تأكيد بعض الحقائق التي نجدها في المصادر المغربية حيث أشار الى المدن التي تتركز بها الجاليات اليهودية وبعض عاداتهم ، ومذهبهم ، وعلاقتهم بالمسلمين ، كما يتضمن المؤلف مادة تخص اليهود لما دون المعلومات التي استطاع التحصل عليها عن بلاد الخزرة .

(23) " الروض المصنوع في أخبار الاقطار " لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت بعد 866 هـ /) يحتوي على مادة جغرافية جيدة للعالم ، ولم يقتصر الحميري على ذكر الأماكن ووصفها ، بل نجده يتوسع في ذكر الحوادث التاريخية الهامة ،

ومعلومات الحميري منقولة عن البكري ، والادريسي ، لذلك فهي ذات فائدة اذا علمنا انهما يغطيان المرحلة التي يهتم بها الباحث فالاشارات عن الجاليات اليهودية بالمغرب عديدة ومهمة على الرغم من اقتضابها ،

(24) " وصف أفريقيا " للحسن الوزان المعروف بـ بيلون الافريقي (ت بعد عام 957 هـ / 1550 م) ، خصص الوزان كتابة الجغرافية افريقيا العامة ، ومباحثها ، وخصائص شعوبها وأخلاقهم (47) .

وفي هذا الكتاب اشارات الى مواضع اليهود (48) وإلى أعمالهم ، وبعض عاداتهم ، وأخلاقهم ، تسمح بتكوين فكرة عن التطورات والتغيرات التي طرأت على الجاليات اليهودية ، إضافة الى ذلك المعلومات الهامة المنبثقة عن الملاحظة والمشاهدة والمعينة لاقليم تامسنا معقل برغواطية .

(45) السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون ، ص 188 .

(46) كـ كـراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، ص 365 .

(47) الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1983 ، ط 2 ، المقدمة ص 15 .

(48) نفسه ج 1 ، ص 67 ، 84 ، 88 ، 98 ، 99 ، 101 ، 105 ، 106 ، 111 ، 117 ، 119 ، 140 ، 142 ، 147 ، 154 ، 158 ، 164 ، 176 ، 178 ،

183 ، 185 ، 273 ، 326 .

II- كتب الطبقات والتراجم :

من الوثائق التاريخية الهامة كتب الطبقات ((التي تعد مصدرا أساسيا من مصادر التاريخ الاسلامي ، ولكن ليس لما تقدمه لنا من معلومات عن الحياة الدينية والفكرية في المجتمع الاسلامي في عصر من عصوره فحسب ، بل لما تحتوي عليه أيضا من مادة ذات طابع اقتصادي واجتماعي قلما هدف اليها المؤلف ، وهي مادة ذات أهمية بالغة اليوم)) (49) . والكتب التي عولت عليها في البحث كثيرة ومتنوعة أهمها :

- (25) " طبقات علماء افريقية وتونس " لابي الصرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني (ت 333 هـ / 944م) ، وقد استخلصت منه معلومات قيمة عن مدينة القيروان والجالية اليهودية بها ، من حيث المسكن ، واللباس ، والأعمال التجارية ، وعلاقات اليهود بالمسلمين ،
- (26) " رياض النفوس " للمالكي (ت خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد) ، من أهم كتب الطبقات التي تغطي منطقة افريقية ، استفدت منه في العديد من مواضعه خاصة مسألة ذيانة الكاهنة التي كتب وقيل عنها الكثيرون غير أن المالكي يوضح بصورة قاطعة عدم يهوديتها ، إذ يورد بأنها كانت تحصل صما عظيمًا من خشب كانت تعبد به (50) وهذه الرواية ينقدها بها المالكي دون غيره . كما عولت على هذا الكتاب في التعرف على مكانة اليهود في المجتمع القيرواني وغير ذلك من الاخبار المقتضية عن بعض وجهاة القوم من اليهود كالطبيب موسى بن الحازار الذي خدم المنصور والمعز لدين الله الفاطمي .
- (27) " ترتيب المدارك وترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك " للقاضي عياض السبتي (ت 544 هـ / 1149م) الذي ألفه صاحبه انتصارا لمذهب مالك ، وتخليدا لرجالته ، وقد أفادني في الكثير من الاشارات التي يتحدث فيها عن اليهود عرضا في المغرب كالمهادنة في مدينة القيروان ، وتقييد اليهود والنصارى عن بقية السكان المسلمين في اللباس (51) وقد جاءت هذه المعلومات مؤكدة ما جاء لدى المالكي في " رياض النفوس " .

- (49) الحبيب الجحاني ، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، بيروت ، دار الطليعة ، 1980 ، ط1 ، ص 91 ، وانظر طريف الخالدي ، دراسات في تاريخ الفكر العربي الاسلامي ، بيروت ، دار الطليعة ، 1979 ، ط 2 بحث " مدخل الى كتاب طبقات والسير " ص 84 ، 99 .
- (50) أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1981 ، ج 1 ، ص 54 .
- (51) عياض ، ترتيب المدارك ، ج 2 ، ص 304 .

(28) "معالم الايمان في معرفة اهل القيروان" لابي زيد عبد الرحمن ابن محمد الانصاري الاسدي المعروف بالدباغ (605 هـ / 1208 م) (699 هـ / 1299 م) (52).

يحتوي هذا المصنف على اشارات كثيرة للجالية اليهودية بالمغرب الاسلامي كفلسة الرمادنة الذين لهم سوق في مدينة القيروان ، وبعض الاشارات المتفرقة كالتحبار الطيب ابن عطاء وما حدث له لما حضر بين ايدي الشيخ ابي عمراق موسى الفاسي (53). ويحتوي الكتاب اخبار احد اليهود سب للشيخ وموقف الشيخ الفاسي من القضية . واكمل المعالم ابن ناجي (54) وعلق عليه تعليقات هامة زادت من قيمته التاريخية .

(29) "طبقات المشايخ" للشيخ ابي العباس احمد بن سعيد الدرجيني المتوفى حوالي 670 هـ / 1271 م) من أهم الكتب الباضية ألفه كي يطلع عليه أهل عمان والتعرف على سير اسلافهم (55). ينقسم الكتاب الى قسمين ، فالاول هو عبارة عن تهذيب لسير ابي زكريا ، والثاني تراجم لاهل المذهب بالمغرب اذ ((يعطينا صورة اجمالية عن رجال الباضية الى حدود القرن السابع)) (56) للهجرة . وقد استفدت من الجزئين للتعرف على بعض المناطق التي استقر بها اليهود ، وبعض المهن التي يتحاطونها بجبل نفوسة ، وسكن اليهود بجانب منازل المسلمين . وعلى الرغم من ان هذه الاخبار قصيرة ومقتضبة جاءت عرضا ، الا انها ذات أهمية بالنسبة للبحث ، وهي في الوقت نفسه ، تؤكد حقائق لجدوها فسي كتب أخرى تاريخية وجغرافية .

II - كتب التاريخ والادب والثقافة العامة :

وتناولت كتب التاريخ والادب والثقافة العامة أخبار اليهود بصورة مقتضبة جدا في كثير من الاحيان ، لان الحديث عن هؤلاء ليس المقصود في حد ذاته وانما جاءت في ثنايا ذكر الحوادث التي لها علاقة بالمجتمعات الاسلامية .

(52) عن الدباغ ، راجع محمد بن جابر الوادي آشي ، برنامج الوادي آشي ، تحقيق محمد محفوظ ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1981 ، ط 2 ، ص 60 ، 61 محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية لطبقات المالكية ببيروت ، دار الكتاب المغربي ، ج 1 ، ص 193 .

(53) الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ، ص 161 .

(54) القرافي ، توشيح الدباغ ، ص 266 ، 267 .

(55) الجناحي ، درامات مغربية ، ص 100 ، بحاز ، الدولة الرستمية ، المقدمة ، ص 29 .

(56) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 1 ، مقدمة المحقق ، ص ((ن)).

وهذه الشذرات على الرغم من اقتضاها قد اوضحت الكثير من المسائل المتعلقة بالبحث وأهم هذه الكتب :

- (36) " فتوح افريقية والاندلس " لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (187هـ / 803م - 257هـ / 871م) ويعد الكتاب أقدم رواية عن الفتح الاسلامي للمغرب (57) ومن هنا تكمن أهمية الكتاب . وكانت استفادتي كبيرة من هذا المؤلف ، حيث تعرفت من خلاله على العناصر السكانية التي كانت مستقرة بالمغرب ، والجيالات الاسلامية التي تواجدت أثناء الفتح . وابن عبد الحكم لم يتحدث عن اليهود تماما أثناء سرده لاحداث الفتح . فذكر الافارقة ، والنصارى ، والجزية ، وأهل الذمة ، ودون الاشارة الى اليهود مما يبين قلة العنصر اليهودي .
- وقد اشار ابن الحكم الى الكاهنة ، ولم يقل بيهوديتها ، مثلما اشار الى ذلك بعض المؤرخين الذين جاؤا بعده . وان تميز هذا الكتاب بعدم ذكر العنصر اليهودي ، فهو قد ساعدني في الحوادث التاريخية ، للقيام بمقارنة مع بقية المصادر التاريخية الاخرى ، للوصول الى اقرب حقيقة ممكنة للاحداث .
- (31) " فتوح البلدان " لابي العباس أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ / 892م) ، ساعدني على تكوين فكرة عن حالة المغرب أثناء الفتح ، وطريقة معاملته المسلمين لاهله ، والغزوات المتلاحقة التي قام بها المسلمون ، لدعم ركائز الدين الاسلامي في هذه الديار . ولما تحدث البلاذري عن عملية الفتح بالمغرب لم يذكر العناصر اليهودية التي يمكن ان تتواجد بالمنطقة ، كما انه لم يشر الى يهودية الكاهنة لا من قنبريب أو من بعيد ، مما يدل على ان هذه النسبة يبدو و جاءت متأخرة . ويبين ثانيا النص نجد اشارة الى أصل السكان المغاربة وموطنهم الاصل فلسطين (58) .

(57) انظر ، سعد زقلول عبد الحميد ((فتوح المغرب والاندلس في رواية ابن عبد الحكم)) ضمن كتاب " دراسات عن ابن عبد الحكم " القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 ، ص 160 .

(58) قال البلاذري : ((وحدثني بشر ابن الهيثم ، قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر ، فقال : هم يزعمون أنهم ولدوا بربر قيس وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بروا ، إنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام وكانت منازلهم على ايادي الدمر فلسطين وهم أهل عمود فاتوا المغرب فقتلوا به)) أبو الحسن البلاذري ، فتوح البلدان ، مراجعة وتحليق رضوان محمد رضوان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1983 ، ص 226 .

(32) "كتاب سير الاثمة وأخبارهم" لابي زكريا يحيى بن ابي جابر
(ت 471 هـ / 1078 م) من أهم كتب الطريخ الاباضية ، اعتمد عليه الدرجيني
في طبقاته ، طبع عدة طبعات . يحتوي بعض اخبار اليهود القصيرة التي تسدل
عليه تواجدهم بالمغرب بعد الفتح الاسلامي ، كمدينة زويلة حيث ناظر أبو نوح
يهودي في مجلس والي المدينة ابن خطاب ، وبحضور عبد الله بن زرتين
الوسياتي (59) .

(33) "اخبار مجموعة في فتح الاندلس" لمجهول (من أهل القرن الرابع
أو الخامس الهجري) ، استفدت منه في العديد من المواضع فهو يحتوي على اخبار
هامة تتعلق باليهود ، كوجودهم في الكثير من المدن الاندلسية ، ولم يكتفي بذكرهم
فقط ، بل أوضح كيف أن المسلمين اذا فتحوا مدينة ضومهم اليهم وتعاونوا معهم ،
وتركهم حراسا مع طائفة من المسلمين ، ثم يتقدمون لاتمام عملية الفتح (60) . وهذه
المواقف تبين مدى التسامح الاسلامي مع اليهود وتمسك المسلمين بالقيم الانسانية
الحالية المستمدة من الشريعة .

(34) "رسالة في الرد على ابن التفريلة اليهودي" لابن حزم الظاهري
(ت 456 هـ / 1063 م) وهي واحدة من الرسائل الكثيرة التي نشرها وحققها
الدكتور احسان عباس وهي رسالة عظيمة الامة توضح ما وصل اليه اليهود من
القوة والعظمة والظفرسة خلال القرن الخامس للهجرة في عهد وزارة ابن التفريلة .
كما تبرز أهمية الصراع الديني والفكري الحادين بين المسلمين واليهود ، وذلك الجدل
العميق والخطير بين أحدي أساطين الفكر في الاندلس ، ولا يمكن ان يسرى
في هذه الرسالة مناظرة فردية بين مسلم ويهودي للدفاع عن آرائهما الشخصية ،
وانما تمثل الصراع الحاد والحيث بين الديانتين الاسلامية واليهودية . وتبرز
الرسالة المستوى الثقافي الذي وصل اليه يهود الاندلس من امتلاك ناصية اللغة
العربية اذ يعد ابن تفريلة من شعرائها البارزين (61) . وابن حزم تصدى
للدفاع عن الاسلام والمسلمين وله مع اليهود وغيرهم مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة (62) .
(35) "الفصل في الملل والاهاواء والنحل" لابن حزم ، تناول في هذه
الموسوعة الدينية بالدراسة الاديان والمذاهب والفرق الدينية المختلفة ، وقام بمقارنة
بعضها ببعض الآخر ، فاستحق لقب مؤسس علم الاديان المقارن .

- (59) أنظر ترجمته لدى الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 2 ، ص 395 وما يليها .
(60) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الاندلس ، ص 22 ، 23 ، 25 .
(61) كان اسماعيل ابن تفريلة ، شاعرا ، وله ديوان ، قيل انه نظم أكثر من ألف
وسبعمائة مقطوعة وقصيدة وتناول في شعره الاغراض الدينية والدينية ، أنظره
احسان عباس ، مقدمة رسائل ابن حزم الاندلسي ، ج 3 ، ص 10 .
(62) ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد 1 ، قسم 1 ، ص 170 .

استفدت من هذه الموسوعة الضخمة من الباب الخاص باليهود ((فصل في متناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراث ، وفي سائر كتبهم وفي الانجيل الاربعة يتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير التي انزل الله عز وجل)) . ففي هذا الفصل يوضح ابن حزم التناقضات التي توجد في الكتب اليهودية ، والاكاذيب الصارخة التي تحتويها ، ليصل في النهاية الى نتيجة مفادها ، ان التعيين التي بأيدي اليهود هي كتب مزورة ومخرقة وموضوعة من اكابر اليهود (63) .

36 " طوق الحمامة في الالف والالاف " لابن حزم ، والذي ألفه سنة 410 هـ / 1019 م ، فان كان طابع الحب في صفاته ومعانيه هو المحور الرئيسي للكتاب ، فان الرسالة تعج بالاخبار الادبية والتاريخية في الاندلس خلال القرن الخامس للهجرة . وقد استفدت من الكتاب خبر علاقة ابن حزم باسماعيل بن يونس الطبيب الاسرائيلي ، وجلوسه في دكانه بالمدينة . وبقدرة ما كانت لابن حزم ملاحظات ساخنة مع اليهود خاصة ابن التفريلة ، فقد كانت مع بعضهم جلسات هائلة أخوية تستشف منها الروح الانسانية في اسمى معانيها .

37 " الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة " لابي الحسن علي بن بسام الشلتيني (ت 542 هـ / 1147 م) (64) ، وهي موسوعة أدبية وتاريخية ضخمة . قسم المؤلف كتابه الى أربعة أقسام خض الاول قرطبة وما جاورها من بلاد الاندلس مع ذكر الاعيان الذين اختارهم من رجال القلم والسيوف والسيادة ، والقسم الثاني تناول فيه ذكرى غرب الاندلس وحضرة اشبيلية ، والقسم الثالث شرق الاندلس ، اما الرابع والاخير فذكر فيه الواردين على الجزيرة الاندلسية من المغرب أو المشرق (65) . وقد بدأ تأليفه بمدينة قرطبة سنة 493 هـ / 1100 م حيث تجاوزت هذه المدة أربعة سنوات (66) . وهذه الموسوعة تحتوي على أخبار كثيرة عن اليهود بالاندلس وأهم رجالهم كابن تفريلة الوزير ، وابن حسداي الشاعر ، ويوسف بن اسحاق الاسرائيلي احد تلاميذ ابن شهيد النجباء (67) . وأورد بعض الابيات الشعرية لابي الحسين يوسف بن الجدي يصور فيها نقمته على تحكم اليهود أثناء الدولة الزيرية بقرطبة (68) وتطاولهم على المسلمين .

(63) ابن حزم ، الفصل ، ج 1 ، ص 329 .

(64) عن المؤلف ومحتوى الكتاب ، انظر ، حسين يوسف حسين خربوش ، ابن بسام وكتابه الذخيرة ، عمان ، الاردن ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، 1984 .

(65) ابن بسام ، الذخيرة ، م 1 ، ق 1 ، ص 22 - 32 .

(66) أمين توفيق الطيبي ، ((كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة " لابي الحسن علي بن بسام الشلتيني (ت 542 هـ / 1147 م) لمحة عن الكتاب وتاريخ التأليف)) ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 254 .

(67) ابن بسام ، الذخيرة ، م 1 ، ق 1 ، ص 233 .

(68) نفسه ، م 2 ، ق 2 ، ص 562 .

(38) "كتاب التبيان" للامير عبد الله بن بلقين سليل أسرة بني زبيدي وآخر أمرائها (حكم ما بين 465 هـ - 483 هـ / 1072-1090 م) بقلم كتاب "التبيان" صورة من الداخل عن الاوضاع التي سادت قصور الامراء الزبيديين وأوضح الاسباب التي أدت بهم لاتخاذ وزراء من اليهود (69). وصور عبد الله عائلة ابن تغريلا أحسن تصوير، بحيث سجل ما يعرفه عن يوسف، وابنه اسماعيل، وأوضح المؤامرات التي قام بها هذا الأخير لتدعيم سلطته وما وصل اليه من تجسس وقساوة، وتمتعت أدت كلها في النهاية الى الثورة المعروفة وقتله، لكل ذلك محمد "التبيان" أهم مصدر تاريخي عاصر أحداث غرناطة خلال الحكم الزبيدي.

(39) "تاريخ المن بالامامة على المستضعفين" لعبد الملك بن صالح الصلاة (ت 94 هـ / 1198 م) استفدت طبعاً في أخبار اليهود الاسلاميين وحليفهم ابن دمي، وكيف تعامل مع ابن ممشك - الشاعر على الموحدين - للدخول الى مدينة غرناطة واحتلالها سنة 557 هـ / 1161 م. فان كان هذا الحدث التاريخي هاما في عهد ذاته بالتسمية لتعاون اليهود مع الفاتحين فهذا الحدث يبرز لنا مواقف اليهود في أحد أجزاء المغرب الاسلامي إذ يتظاهرون بالاسلام كلما دعت الحاجة أو الضرورة الى ذلك، الشيء الذي يجعلنا نتعرف على احدى صور النفاق المتعددة لهؤلاء القوم.

(40) "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لابي محمد عبد الرحمن علي محي الدين عبد الواحد المراكشي (ولد سنة 581 هـ / 1185 م) الذي انتهى من منه سنة 621 هـ / 1224 م فهو يحتوي على أخبار اليهود في عهد الموحدين خاصة لما فرض المنصور عليهم لباسا مميزا عن المسلمين، ومدى شكوك الامير الموحدي حول الاسلام الحقيقي لمن أعلن اسلامه من اليهود. فالموقف الذي اتخذته الرجل لم يكن الا موقفا وقائيا من الاخطار التي تهدد المسلمين في عقر دارهم.

(69) أمين توفيق الطيلي ((الامير عبد الله بن بلقين)) آخر امراء بني زبيدي فسي كتاب غرناطة وكتابه "التبيان" ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندرلس، ص 200.

(41) " أخبار ملوك بني عبید وسيرتهم " لابن عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت 626هـ/1228م) طبع هذا الكتاب عدة طبعات، تجد به شذرات عن اليهود، وخاصة المكانة والحضوة التي تمتع بها بعضهم لدى خلفاء الدولة الفاطمية في بدايتها بالمغرب على عهد عبید الله المهدي حيث اتخذ من اسحاق الاسرائيلي طبيباً له .

(42) " الكامل في التاريخ " لابن الاثير (ت 630هـ/1232م) (70) المتضمن لحوادث العالم من بداية الخليفة الى عصره . ولم يهمل ابن الاثير حوادث المغرب في تاريخه بل تجد الكثير من الاخبار المنقولة عن الطبري والامير عبد العزيز (71) وابن عبد الحكم والحبيدي . ومن أهم ما استفدت من ابن الاثير حديثه عن الخلافة الفاطمية وموقفه المحايد والموضوعي في نسب بني عبید بقوله ((وهذه الاقوال فيها ما فيها، فيها ليت شعري ما الذي حمل ابا عبید الله الشيعي وغيره ممن قام في اظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا هذا الامر من انفسهم وعلقوه الى يهودي)) (72) . كما عولت عليه في اخباره عن ملوك الطوائف التي تتضمن اخباراً عن اليهود التي تؤكد المصادق المغربية .

(43) " عيون الانباء في طبقات الاطباء " لابن أبي أصبحة (ت 668هـ/1269م) موسوعة فريدة خاصة بالاطباء، يشتمل أخباراً عن اليهود في بلاد المغرب ولاعمالهم، ومؤلفاتهم، وعلاقتهم بالمجتمع الاسلامي، استخلصت منه حقائق هامة لا يمكن أن نجد ما في مؤلفات أخرى خاصة كتب التاريخ التي لا تهتم بالجالية اليهودية الا عرضاً .

(44) " وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان (ت 681هـ/1282م) كانت معلوماته مكتملة لما يوجد في كتب التاريخ . ومؤكدة لهـ استقى معلوماته من كتب التاريخ العام، والطبقات، فيما يتعلق باليهود في المغرب الاسلامي . استعملت به في : مواضع عدة قصد تحقيق سير الاعلام، وتحقيق أسماء الرجال .

(70) عن ابن الاثير، راجع، عبد القادر أحمد طليمات، ابن الاثير الجزري المورخ، مصر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، سلسلة اعلام العرب، رقم : 83، 1969 .

(71) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتحقيق د خبة من العلماء، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985، ط 5، ج 6، ص 125 .

(72) نفسه، ص 129 .

(45) "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن هذا المراكشي (كان حيا عام 712 هـ / 1312 م) أفادني بمعلومات عامة جدا عن اليهود في مواضع كثيرة من الكتاب، من أهمها "خبر برغواطة" وقد نقل ما كتبه عن ابن الوراق في "مسالك افريقية وممالكها" دون أن يصل الى مستوى ما نقله البكري، اذ نقل النص بصورة مشوية وناقصة (73).

وسجل ابن عذابي في بيانه اخبارا عن الوزير اليهودي ابن النغيلة وسيرته ومقتله وبعض الحوادث التي كانت قرطبة مسرحا لها، كثرة العامة على اليهود سنة 529 هـ / 1134 م. والدور الذي لعبه اليهود عندما سقطت مدينة بلنسية سنة 487 هـ / 1094 م. في ايدي المسيحيين، وموقف المرابطين من اليهود. وكتاب "البيان" من المصادر الاولى، والاكثر أهمية من حيث المادة التي يتضمنها.

(46) "مفاخر البربر" لمؤلف مجهول (ألفه عام 712 هـ / 1312 م) (74) ذكر احداث تاريخية هامة تتعلق بالبحث، فهو يقول بتهود قبيلة جراوة قبل الاسلام، ويذكر اخبارا عن برغواطة حيث لم يتعرض بالذكر الى أصولها اليهودية، وانما اقتصر على سرد نبذ من اخبارها، ومحاربة المثلثين لها.

(47) "الاحاطة في أخبار غرناطة" لابن الخطيب (ت 776 هـ / 1374 م) يحتوي بعض التفاصيل عن الوزير اليهودي ابن النغيلة ومقتله نقلا عن ابن عذابي بتصريف طفيف، ويذكر المكان الذي دفن فيه في باب البيرة حيث كان اليهود في وقته يحرقون قيصره، وهو ما يكذب بعض المصادر اليهودية التي تقول بوفاته في فراشه خارج الاندلس.

(48) "كتاب أعمال الاعلام" لابن الخطيب. تعرض المؤلف لدولة بني زيري وأمرائها ودور اليهود حينما ذكر الوزير ابن النغيلة، وأضاف الى المعلومات التي نجدها في كتاب الاحاطة، القصيدة التي قالها أبو اسحاق الالبيري محسرا باديس على وزيره.

(73) عبد الواحد ذنون طه ((موارد تاريخ ابن عذابي المراكشي عن شمال افريقيا من الفتح الى بداية عهد المرابطين)) فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء 4، المجلد 36، كانون الاول، 1985، ص 250.

(74) ذكر المؤلف تاريخ التأليف في ترجمة أبي علي صالح بن الشيخ الصالح بقوله ((ومنهم الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي أبو علي صالح بن الشيخ صالح الولي الزاهد الورع أبي صالح عبد الحليم نزيل نفيس وهو يعيش الى وقتنا هذا وهو سنة 712)) مجهول، مفاخر البربر، ص 75.

- (49) "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" (ت 781 هـ / 1379 م) استفدت مما كتبه عن أهل الذمة حيث سجل بعض الأخبار عن اليهود بمدينة تلمسان ، وأثبت قصيدة الأبيهي في التجرش على قتل أبي الحسن الغزيلة ، والثورة على اليهود في مدينة غرناطة معتمداً على المؤرخ السالمي (75) .
- (50) "المبصر" لابن خلدون (ت 808 هـ / 1405 م) اعتمدت عليه في مواضع كثيرة لأن هذا الكتاب يحتوي على مادة غزيرة تتعلق بالموضوع منهجاً انتشار اليهودية بالمغرب قبل الإسلام إذ ذكر تهود الكثير من القبائل المغربية دون أن يقول الكلمة الفصل في ذلك . وناقش ابن خلدون مسألة نسب الفاطميين إذ أقر بصحته . وفصل في دولة برغواطة التي كتب عنها الكثير ، ولكنه انصفها حيث لم يأخذ بالزعم القائل بنسبهم لليهودي .
- (51) "تأريخ الدولتين الموحديّة والحفصية" لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي (كان حياً سنة 894 هـ / 1488 م) سجل شذرات هامة تخص اللباس الذي فرضه الأمير الموحدي المنصور على اليهود كالشلة والقمصان والبرانس والقلاص ، وهو ما يبيد ما ذكره المراكشي في كتاب "المعجب" .
- (52) "الموسس في أخبار إفريقية وتونس" لابن أبي دينار القيرواني (كتبه عام 140 هـ / 1698 م) ينفرد برواية تقول بوجود اليهود أثناء الفتح الإسلامي في مدينة بنزرت بإفريقية - المغرب الأدنى - ويذكر بأن هؤلاء كانوا يحملون أيام السبت . فإن أخذنا بالأبعاد الحقيقية لهذه الرواية كوجود اليهود في هذه المدينة أيام الفتح الأولى ، وهو ما لم ينكره غيره ، فإن قبول فكرة عمل اليهود يوم السبت تحتاج إلى وقفة ، لأن هؤلاء تفرض عليهم نصوصهم الدينية عدم القيام بذلك ، فربما كان ذلك من باب المبالغة ، فالمصادر تؤكد على وجود جالية كبيرة من الروم (76) ولم تذكر اليهود .

- (75) السالمي ز هو محمد بن أحمد بن عامر البلوي من أهل طوطوشة ، كان من أهل الأدب والعلم والتاريخ الف " دور القلائد وغير الفوائد " وكتاباً فسي اللغة ، و " الشفا " في الطب ، وكتاباً في التشبيهات ، راجع ابن الأبار ، التكملة لكتابة الصلة ، بشر وتصحيح السيد / عزت الخطار الحسيني ، مكتبة الخانجي بدمشق ، والمثنى بفسداد ، 1956 ، ج 2 ، ص 495 .
- (76) البكري ، " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " ص 57 ، 58 .

(53) "نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب" للمقري التلمساني (ت 1341 هـ / 1631 م) (77) يمتاز هذا الكتاب بأفراد قسم خاص للشعراء اليهود باللغة العربية حيث ترجم لهم ، وسجل أخبارهم ، وأورد أبياتا من أشعارهم تدل على تمكنهم من لغة المسلمين (73) .

واستفدت كذلك من الشذرات الهامة عن أخبار اليهود في الاندلس - المتفرقة في الكتاب - كالأعمال التي يقومون بها ، وعلاقتهم بالمسلمين ، ولباسهم ، وطريقة المسلمين في معاملتهم أثناء الفتح .

(54) "الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى" للناصي السلاوي (ت 1315 هـ / 1897 م) احتوى مجموعة من الأخبار عن اليهود في المغرب قبل الفتح وأثناءه وبعد انتهائه ، إذ يروي روايات كثيرة عن المؤرخين الذين كتبوا عن القبائل المغربية كبن خلدون في تقسيمهم وحالتهم قبل الفتح الاسلامي ، وتحديث عن دولة برغواطة انطلاقا من الروايات التي تقول بديانتهم اليهودية دون مناقشة ، وإنما اكتفى بالنقل ، واستفدت منه في رواياته عن حوادث الاندلس والدور اليهودي في عصر الطوائف .

وخلاصة القول أن المؤرخين القدماء أهملوا الجاليات اليهودية ، ولم تأت أخبارهم الا عرضا في سياق حديثهم عن حدث معين ، أو ذكر آثار الرجال ومآثرهم ، أو التأريخ لمدينة معينة ، لذلك لم تصل اليها الا شذرات عن هؤلاء ، مما يقصده من مهمة الباحث في الحصول على معلومات دقيقة ، وتكوين فكرة شاملة عن اليهود الذين كانوا يعيشون بين ظهرائي المسلمين في دار الاسلام .

ولم يهتم العلماء والفقهاء المسلمون اليهود في العصور الوسطى ، إذ افردها كتابات كثيرة تمثل الجدل والصراع الفكري والديني بين اليهود والمسلمين ، كالطرطوشي المتوفى سنة 520 هـ / 1126 م (79) الذي ألف "السمود في السرد على اليهود" (80) وكذا ابن بدران "الفصول الجامعة فيما يجب على أهل الذمة من أحكام الملة" (81) .

(77) عن المقري وكتابه راجع ، الحبيب الجناحي ، المقري صاحب نفح الطيب ،

دراسة تحليلية ، تونس ، دار الكتب الشرقية ، 1955 ، ط 1 .

(78) المقري ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 525 .

(79) عن الطرطوشي ، أنظر جمال الدين الشيال ، أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثالث ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، سلسلة أعلام المغرب ، رقم 74 ، 1968 .

(80) أبو الفضل القاضي عياض الغنية "فهرست شيوخ القاضي عياض" دراسة وتتحقيق محمد بن عبد الكريم ، ليبيا ، تونس ، دار العربية للكتاب ، 1978 ، ص 131 .

(81) الوشيشي ، المعيار ، ج 2 ، ص 258 .

وألف الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ/1111م) "المبادي" والغايات في قتل المسلم بالذمي" (82) و "أظهار وتبديل اليهود والنصارى في التوراة والانجيل وبينان تناقض ما بأيديهم من مما لا يحمل التأويل" للشيخ أبي محمد علي بن أحمد الأموي (ت 456هـ/1054م) (83) و "الأجوبة الفأخرة عن الأسئلة الفأخرة" للشيخ شهاب الدين أبي الصباس أحمد بن أدريس القوافي المالكي (ت 684هـ/1285م) كتبها رداً على اليهود والنصارى ورتبه على أبواب (84) و "الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود" لأحمد بن علي المعروف بابن الساعاتي البغدادي (ت 694هـ/1294م) في الرد على الفيلسوف اليهودي ابن كمونة (85)، كما ألف علاء الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن الباجي الشافعي (ت 714هـ/1314م) (86) "الرد على اليهود"، وقد صدق محمد ابن عبد الرحمن بن المصفي (ت 380هـ/990م) في نفس الموضوع (87). أما الشيخ عماد الدين بن حسين الاسلمي الشافعي (ت 777هـ/1375م) فألف "الرياسة الناصرية" في الرد على من يعظم أهل الذمة ويستخذمهم على المسلمين (88). كما ألف الشيخ زين الدين سريجا بن محمد الملطي "نهوض حثيث اليهود في دحسوس خبيث اليهود" رد فيه على اليهودي ابن كمونة (89)، و "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" لابن قيم الجوزية (ت 751هـ/1351م) (90). ان هذه المؤلفات تبرز بصورة واضحة وجلية أهمية الصراع الاسلامي واليهودي في الميدان الديني والفكري الذي يعد مرآة للصراع في الميدان الاجتماعي والاقتصادي، وأغلب هذه المؤلفات على ما يبدو مفقودة، أو قليلة التداول حتى يمكن للباحث الاطلاع عليها والاستفادة منها.

31) الوثائقي، المعيار، ج 2، ص 258.
82) مصداق بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتاب والفنون، بيروت، دار العلوم الحديثة، طبعة جديدة بالأوفست، دون تاريخ

ج 2، ص 1579.

83) نفسه، ج 1، ص 113.

84) نفسه، ج 1، ص 11.

85) نفسه، ج 1، ص 734.

86) نفسه، ج 1، ص 839.

87) نفسه، ج 1، ص 839.

88) نفسه، ج 1، ص 934.

89) نفسه، ج 2، ص 1994.

90) نفسه، ج 2، ص 2030.

١٧١ - المراجع الحديثة :

- أما الدراسات الحديثة التي استفدت منها فأهمها :
- (55) " اليهود في الاندلس " للدكتور محمد بحر عبد المجيد ، يغطي الكتاب المرحلة التاريخية الممتدة من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة الموحدين ، وعلى الرغم من صغر حجمه فقد أوضح الكثير من الجوانب الثقافية لليهود القاطنين بالاندلس كالشعراء والادباء ، والاطباء ، حيث ركز المؤلف على الجانب الادبي الذي يحتاج الى كشف للتعرف عليه .
- (56) " الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الاسلامية " للاستاذين علي سامي الدشار وعباس أحمد الشربيني ، والهدف من الكتاب تقديم نماذج من الفكر اليهودي ومقارنتها بالفكر الاسلامي ، لاثبات أنه لم يكن لليهود قبل الاسلام تاريخ فكري أو أصالة عقلية أو دينية ، وهذا باعتراف اليهود انفسهم . فمن خلال هذا المؤلف تحرفت على عدد كبير من المفكرين اليهود الذين نبغوا باحتكاكهم بالفكر الاسلامي بصورة مباشرة ، كما تحرفت على الابعاد الفكرية الفلسفية لهؤلاء ، وتصوراتهم للمسائل الدينية والدينية المستمدة من الاصول الفكرية الاسلامية .
- (57) " الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية " للدكتور عبد المنعم الحفني ، تعرضت هذه الموسوعة للمفكرين اليهود وفلسفتهم على طريقة المجمع . وضم الكتاب مجموعة من تراجم الفلاسفة والمصطلحات الفلسفية بمفهومها اليهودي من القديم الى العصر الحديث . وقد افادتني هذه الموسوعة في التعرف على فهم فلاسفة اليهود خلال العصور الوسطى . وفي حقيقة الامر ، احتوت الموسوعة جوهراً ثمناً يوجد في كتاب " الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الاسلامية " (91) فان كان كتاب " الفكر اليهودي " أشمل وأوسع ، فالموسوعة أبسط وأوجز وأقرب الى الفهم والوضوح بالنسبة لغير اهل الاختصاص في الميدان الفلسفي .
- (58) " التوراة واليهود في فكر ابن حزم " للدكتور ابراهيم الحارثي ، يجسد فيه معلومات قيمة وهامة عن الجدل بين المسلمين واليهود ، خاصة المناظرة بين ابن حزم الاندلسي والوزير ابن التبريزي انطلاقاً من كتاب " الفصل في الملل والايماء والنحل " . والكتاب يهيء الأرضية لفهم الصراع بين فقهاء الاسلام والعلماء اليهود ، ويوضح الابعاد الحقيقية لهذا النقاش الجاد .

(91) قارن مثلاً الفكر اليهودي وتأثيره بالفلسفة الاسلامية ، على سامي الدشار وعباس أحمد الشربيني ، الاسكندرية منشأة المعارف ، 1972 ، ص 95 وما يليها والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، عبد المنعم حفني ، بيروت ، دار المسيرة ، 1980 ، ط 1 ، ص 125 .

(59) " التلمود تاريخه وتعاليمه " لخضر الاسلام خان ، استفدت منه معرفة التطور التاريخي لهذا الكتاب ، ومحتواه ، ومدى انعكاساته على حياة اليهود الروحية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية (92) . فالتلمود يتمسك به اليهود أكثر من الكتاب المقدس " التوراة " . وقد أطلق على الذين يفضلونه التلموديون (93) .

(60) " مقارنة الأديان : اليهودية " للدكتور أحمد شلبي ، عولت عليه في النصوص المتنبئة من التلمود التي تبرز أهم مكونات وأسس الحياة الاجتماعية لليهود عموماً وعلاقتهم بخيرهم على ضوء ما جاء فيه . وهذا الكتاب من أهم المؤلفات للتصرف على الشريعة اليهودية وطغوسها .

(61) " أهل الذمة في الاسلام " لترتون ، يعالج المستشرق مسألة العلاقات بين المسلمين والأقوام المختلفة غير الإسلامية انطلاقاً من عهد عمر الذي قطع له عمل دمشق لما فتحها المسلمون سنة 14 هـ / 635 م (94) . وقد اقتصر الكتاب على أهل الذمة في المشرق ، إذ لا نشغف على أخبار اليهود في المغرب الا قليلاً ، وقد انكر تولي أهل الذمة من اليهود وظيفة الجباية والكتابة في المغرب الاسلامي (95) وهو ما تدحضه الوثائق المتوفرة لدينا اليوم ، وقد يكون عذر ترتون في عدم توفرها حينما ألف كتابه .

(62) " احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام " للدكتور عبد الكريم زيدان ، وهو عبارة عن دراسة شاملة للاحكام غير المسلمين في الديار الاسلامية تستمد أصولها من أصول الشريعة الاسلامية وقواعدها ، مبينا ما لهم ، وما عليهم ، استفدت منه من الناحية النظرية لتحديد وضع اليهود في المغرب .

(63) " اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الخرو العثماني " لقاسم عبده قاسم وهو محاولة لتتبع علاقة الدول الاسلامية المتعاقبة على حكم مصر باليهود خلال المراحل التاريخية المختلفة . استفدت من هذا السفر للتخريف على أوضاعهم بمصر ، وهي لا تبدو مختلفة عن أوضاعهم بالمغرب خاصة العادات الاجتماعية ، وتمسكهم بالشريعة الموسوية .

(92) لقد بذلت قصارى جهدي للاطلاع على هذا الكتاب ، فلم اتمكن من الحصول عليه فاكفيت بالمراجع التي اقتبست منه ، وما أضف الايمان .

(93) راجع ، الحفني ، الموسوعة ، ص 31 .

(94) عن فتح دمشق ، الأنظر ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 127 وما يليها وعن عهد عمر ، راجع ، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ، " راج الملوك " ، مصر ، المطبعة المحمودية التجارية بالازهر ، 1935 ، ص 252 وما بعدها .

(95) س. ترتون ، أهل الذمة في الاسلام : ترجمة وتعليق حسن حبشي ، مصر ، دار الفكر العربي ، ص 97 .

(64) "المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا" للاستاذ مصطفى عبد الله بعيو، كشف المؤلف في هذا الكتاب أحد المشاريع الصهيونية الخطيرة لجعل ليبيا موطناً لليهود في بداية القرن العشرين، وذلك قبل أن تضع إيطاليا يدها على هذا البلد العربي. وقد استفدت من هذه الدراسة الجيدة مما جاء في الفصل الأول حينما تطرق الاستاذ بعيو لليهود في ليبيا قبل الفتح الاسلامي حيث كانت تقطن الجاليات اليهودية أهمها في مدينة شحات (96).

(65) "النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى" للمستشرق الانجليزي هوبكتر، أفرد له للنظم السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية من الفتح الى نهاية الدولة الموحدية، وقد خصص الفصل الخامس من كتابه للاثليات الدينية اذ أبرز أوضاع اليهود والنصارى في أنظمة الحكم التي تعاقبت على المغرب الاسلامي.

(66) "ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية" للمرحوم حسن حسني عبد الوهاب، وعموم المؤلفات الطريفة جمع فيه ((كل ما يمت بصلة الى تاريخ العلم والاجتماع والادب والفن في البلاد التونسية، منذ استقرت بها دلائع الدور العربي الى هذا الزمان القريب)) (97). ويحتوي على شذرات هامة من أخبار اليهود في افريقية خلال العصر الوسيط.

(67) "تاريخ الفكر الاندلسي" للمستشرق الاسباني بالنشياء يشتمل هذا المؤلف الضخم على عدد كبير من المفكرين اليهود الذين نبغوا بالاندلس اذ تطرق الى ثقافتهم، وتأليفهم باللغة العربية، ودوره في نقل الحضارة الاسلامية الى أوروبا، مركزاً على أهمية تفاعل اليهود مع الثقافة العربية الاسلامية.

(68) "الفكر العربي ومركزه في التاريخ" لاوليبي دلاسي، خصص قسم من كتابه للمثقفين والعلماء اليهود، كما أوضح دور الثقافة الاسلامية في نبوغ هؤلاء، والدور الذي لعبه كنقله للفكر الاسلامي للدول الاوروبية انطلاقاً من الفردوس المفقود.

(69) "أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرومطية" للويس برنارد، يحتسوي على مادة تاريخية وفكرية تتضمن مناقشة أصول الفاطميين وفي هذه المسألة التاريخية الخطيرة التي اسالت أقلام المؤرخين القدماء والمحدثين. نجد لويس برنارد لا يأخذ بالنسب اليهودي للفاطميين وقد ناقش هذه القضية مناقشة طويلة النفس معتمداً على أهم المصادر التي اتمت بهذه المشكلة التاريخية القديمة الحديثة.

(96) شحات : مدينة لبيبة تدعى اليوم مدينة البيضاء تابعة لمحافظة الجبل الاخضر تعتبر من أهم وأوسع المناطق الاثرية.

(97) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، تونس، مكتبة المنار، 1972، ط 2 القسم الأول، ص 7.

(76) "دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية" لجوانتيان، مجموعة من المقالات الهامة المتعلقة بالتاريخ الاسلامي، حيث استفهت من المعلومات التي استقامها المؤلف من دفين الجنيزة بالقاهرة (98)، هذا الدفين الذي يشتمل على وثائق يهودية يرجع تاريخها الى العصور الوسطى. ويحتوي هذه الوثائق على جوانب تاريخية تتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية لليهود المغاربة من خلال مراسلاتهم لاخوانهم بالشرق. وثائق الجنيزة تمتدنا بمعلومات قد لا نجدها في كتب التاريخ، لانها عبارة عن مراسلات شخصية لم تستغل بعد خاصة من قبل الباحثين المسلمين الا بصورة جزئية.

اما الدراسات باللغة الفرنسية فهي عديدة، كتب جلها يهود يعيشون في أوروبا ومما لا شك فيه كتب مؤلفاء دراسات ضخمة، واهتموا بترائهم، ولكنهم نظروا اليه نظرة احادية تبرز مواقفهم وتخذ في مبالحتهم، لذلك جاءت هذه الدراسات مخالفة لما نجد في المصادر الاسلامية، وحتى المعلومات المستقاة من هذه المصادر جاءت محرفة ومشوهة للواقع التاريخ بالنسبة للاحداث نفسها، فمما بالك من ناحية التفسير. وعلى الرغم من ذلك اعتمدتها، وقابلتها بالنصوص العربية المستمدة من المصادر الاسلامية، وحاولت نقدها، والرد على الكتابات المحرفة لعرضها في ادارها الطبيعي.

ومن جهة أخرى وجدت معلومات غير مثبتة في المصادر الاسلامية أو المراجع العربية، فاستمعت بها بكل حذر، لانها تبين جوانب غامضة، أو غير مصروفة، فوسحت بهذا افاق البحث حتى لا تكون المعلومات مستمدة من جانب واحد. وأهم هذه الدراسات:

(98) يحاول اليهود في الوقت الحالي نهب هذا التراث للاستفادة منه واخراجهم من مصر بصورة غير شرعية بشتى الوسائل على الرغم من أن هذا التراث اسلامي، عن هذه القضية أنظر، معنات أحمد فؤاد "التراث المصني الى ابن 9" ضمن كتاب صناعة الجهل كتاب في السياسة" القاهرة، دار المستقبل العربي، 1985، ط 1، ص 262-266.

تأول المؤلف تاريخ الديانة اليهودية من القديم إلى اليوم وخصص الفصل الثاني منه لليهود في ظل الحكم الإسلامي ، تحدث فيه عن ازدهار الفكر اليهودي اللاهوتي ، والفلسفي ، مع ذكر أشهر الأعلام الذين لعبوا دوراً هاماً في الحياة الثقافية اليهودية خلال القصور الوسطى .

Le statut légal des non musulmans en pays d'Islam, (72)
ANTOINE TATTAL.

يحتوي الكتاب على أوضاع اليهود في دار الإسلام كأهل ذمة ، وعلى الرغم من أنه قد حاول أن يكون موضوعياً ، غير أنه ركز على الوضعية السيئة لليهود في إطار المجتمع الإسلامي انطلاقاً من نظرة معاصرة .

Pédagogie Juive en terre d'Islam, HAIM ZAFRANI (73)

اعتم هذا الكتاب بالثقافة اليهودية بالمغرب الأقصى ، مركزاً على الجانب التربوي للتعليم اليهودي في الوقت الحاضر ، وقد افرد قسماً خاصاً لهذه المسألة في العصر الوسيط . فاخذت منه طريقة التعليم لدى اليهود ، وهي في الحقيقة لا تختلف كثيراً عن طريقة التعليم لدى المسلمين ، وإنما الاختلاف في المناهج ، ومحتوى التعليم ، ومقاصده .

Les Juifs d'Afrique du Nord, ANDRÉ CHOURAQUI (74)

وعو عبارة عن دراسات شاملة لليهود في المغرب من أقدم العصور إلى العصر الحاضر ، وقد خصص لليهود في العصر الوسيط فصلاً ابتداءً من الفتح الإسلامي ، وحاول إبراز دور اليهود في الحواضر المغربية الكبرى ، كما ركز على الحياة السيئة التي عاشوها عموماً في ظل الحكم الإسلامي على الرغم من دورهم الخلاق .

Les Juifs d'Espagne, H. GRAETZ. (75)

ألف هذا الكتاب أصلاً باللغة الألمانية ، وترجم إلى الفرنسية ، يتضمن أخبار اليهود في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى أواخر الدولة الموحدية ، وأهم ما في الكتاب الخواص التاريخية المستقاة من المصادر العبرية ، ويتميز بتحيزه الكلي لليهود ، مبرزاً محاسنهم وعبقريتهم . وقد ظهر هذا المؤلف في الوقت الذي بدأت تظهر فيه المشكلة اليهودية ، التي كانت أساساً لميلاد الفكرة الصهيونية .

Etude sur l'histoire des Juifs au Maroc, NAHUM SLOUSCHZ. (76)

دراسة مطولة لليهود في المغرب الأقصى من أقدم العصور ، تحدث عن المرحلة الإسلامية مطولاً ، وركز على الجانب الفكري والفلسفي والديني لليهود ، والمحافظة على تراثهم ، وتمسكهم بهدياتهم . ليظهر العبقرية اليهودية في ثبوتها الباصح ، كما تحدث عن مضايقة المسلمين لليهود دون الإشارة إلى الأسباب الحقيقية الكامنة من وراء ذلك ، مركزاً على صورة الإنسان اليهودي المضطهد .

La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination arabe, Ch. E. DUFOURCQ. (77)

أبرز المؤلف أوضاع أوروبا خاصة الأندلس في ظل الحضور الإسلامي، وقد افرد لليهود فصلاً خاصاً، فتحدث عن حياتهم وأعمالهم، وثقافتهم، وعلاقتهم بالمسلمين، ولا يختلف هذا الكتاب عن سابقه في نظرتة للمسلمين ومعاملتهم لليهود.

VII - المقالات :

وقد استفدت من عدة مقالات باللغة العربية منها " 16 حقائق عن التلمود " لمحمد بركات، يشرح فيها أهمية التلمود عند اليهود، ويورد مقولات من هذا الكتاب الخطير يوضح فيها النظرة المنصرية لليهود.

"جوانب من الحياة الاقتصادية بالمغرب في القرن السادس الهجري" للأمين توفيق الطيبي، اعتمد فيها على وثائق الجيزة بالقاهرة، حيث أثبت الكثير من الحقائق الاقتصادية التي نجد في المصادر العربية.

"العرب واليهود في التاريخ" للدكتور عبد المجيد مزبان، المقال عبارة عن عرض نقدي لكتاب الاستاذ أحمد سوسة، يحتوي على مناقشات، وتعليقات هامة شجعتني على الاستمرار في الاهتمام بالموضوع.

وأما عن أهم المقالات بالفرنسية فهي :

"Le signe distinctif des Juifs au Maghreb" FAGNAN.

اهتم فيه صاحبها باللباس المميز لليهود، والاشارات الخاصة التي يهتفونها، لتمييزوا عن بقية السكان، كما اشار الى الاسباب التي أدت الى مثل هذا التمييز.

"L'Empire des Berghouata et les origines des Blad Essiba" SLOUSCH
يحتوي هذا المقال على الاصول اليهودية لدولة برغواطة، ويشرح دورهم السياسي في تاريخ المغرب ويذهب الى ابعد من ذلك حين يقول بأن فتح الأندلس كان تقريبا على يد اليهود.

"Trois études d'histoire de la médecine Arabe en Occident" RENAND.

يهتم هذا المقال بالطب العربي في الأندلس، ومخصص القسم الأول منه لابن رشد
بكلارشي، والطبيب اليهودي، الذي خدم المستعربين.

"IBRAHIM IBN YAQUB et sa relation de voyage en Europe" M. CANARD.

يتناول هذا المقال رحلة ابن يعقوب في أوروبا، ويذكر ما رآه من أوضاعها المختلفة.

أما المقالات التي لم يذكر فيها اسم المؤلفين، فهي :

"La vie des Juifs en Espagne" M. CANARD.

يتناول هذا المقال حياة اليهود في إسبانيا، ويذكر ما رآه من أوضاعها المختلفة.

"La vie des Juifs en France" M. CANARD.

يتناول هذا المقال حياة اليهود في فرنسا، ويذكر ما رآه من أوضاعها المختلفة.

"La vie des Juifs en Italie" M. CANARD.

يتناول هذا المقال حياة اليهود في إيطاليا، ويذكر ما رآه من أوضاعها المختلفة.

"La vie des Juifs en Grèce" M. CANARD.

يتناول هذا المقال حياة اليهود في اليونان، ويذكر ما رآه من أوضاعها المختلفة.

الفصل الأول

اليهود في المغرب قبل الفتح

1. الهجرة اليهودية إلى المغرب
2. اليهود في العهد القرطاجي
3. اليهود في العهد الروماني
4. اليهود في العهد الوندالي
5. اليهود في العهد البيزنطي

1) الهجرة اليهودية الى المغرب:

ان الكتابة عن هجرة اليهود — في القديم — الى المغرب عسيرة ، لان الآراء مختلفة ومتضاربة أحيانا ، اذ لم تتفق على تحديد تاريخ يحتر منطلقا لقدام اليهود الى بلاد المغرب . ومما يزيد في التعقيد ، الاختلاف على المناطق التي هاجرت منها الجماعات اليهودية ، فأدى ذلك الى القول بغموض أصل اليهود الشمال افريقي (1) .

فيروى أندري شوراكي (André Chouraqui) أن الوجود اليهودي في المغرب يعود الى العصر الموقلة في القدم ، ويحدد وصولهم ————— الفينيقيين الذين أسسوا مدينة قرطاجنة معتمدا على الاحتمالات وليس على الوثائق (2) .

ونفس الرأي يقدمه موريس ازنبيت (Maurice Eisenbeth) حينما يؤكد أن اليهود رافقوا الفينيقيين ، وهؤلاء هم الذين أسسوا النواة الاولى للجالية اليهودية في المغرب (3) .

أما ناحوم شلوش (Nahum Slouschz) فيقول بوجود اليهود في مدينة طرابلس منذ أقدم العصور ، أي قبل مجي الفينيقيين . وقد عارض هذا الافتراض الأستاذ مصطفى عبد الله بعبو بمرقة ، ويتوسع من التردد بقوله : ((ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة اذا عرفنا أن مدينة طرابلس (أويا) لم تظهر للوجود الا على أيدي الفينيقيين . واذا عرفنا أن شلوش نفسه يؤكد لنا في كتابه أيضا أن مجي اليهود الى برقة كان حوالي 320 ق م . عندما استقدم ملك مصر بطليموس الاول أعدادا من يهود فلسطين ، وأسكنهم في المعسكرات

1) أنظر: Robert Brunschvig , La Berbérie orientale sous les Hafssides des origines à la fin du X V siècle, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, 1982, T 1 , p 396. Atallah Dhina, les états d' l'Occident Musulman aux X III, X IV, et X V siècles, institutions gouvernementales et administratives, Alger, office des publications universitaires, E. N A L, 1984, p. 259. André Chouraqui, marche vers l'occident, les Juifs

2) أنظر: André Chouraqui, marche vers l'occident, les Juifs d'Afrique du nord, France, P.U.F. , 1952, p. 13.

3) أنظر: Maurice Eisenbeth, les juifs en Algerie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours (Extrait de l'encyclopédie coloniale et Maritimes) Paris, sans date, p.3.

الحربية التي أنشأها لهم في مصر وليبيا (4). وعلى الرغم من ذلك يتفق في النهاية مع أطروحة شلوش القائلة بمجيئهم منذ أقدم المصور (5) أي قبل بناء مدينة طارطلس دون تحديد لتاريخ معين .

وقد حدد م. ب. كامن (M.B. CAHEN) بداية مجيء اليهود إلى المغرب اثر حملة بطليموس سوتر (6) على بيت المقدس حوالي عام 320 قبل الميلاد وترحيل أكثر من مائة ألف يهودي إلى مصر حيث أوصل جزءا منهم إلى ليبيا (7) ومنها انتشروا في بقية بلاد المغرب .

وتطرق دارمون (DARMON) لنفس المسألة حينما حاول معرفة أصول وتكوين الجالية اليهودية في مدينة تلمسان ، إذ يرى بأنها جاءت من مصر بعد تحطيم المعبد الذي بناه أونياس (ONIAS) ففرقوا في افريقيا فاستوطنت مجموعة من اليهود المدينة وضواحيها ، معتبرا هذه الرواية مجرد فرضية (8) . ويعتبر حاييم الزعفراني اليهود أول مجموعة غير يهودية وقدت على المغرب على الرغم من عدم وجود نقوش تؤكد هذه الحقيقة التاريخية منذ عهد سحيقة من غير أن يحدد الوجهة التي جاؤوا منها ، أو يحدد تاريخ دخولهم أرض المغرب . ويرى بأن الأدلة المادية المتمثلة في النقوش الاشورية غير متوفرة لتأييد فكرة وجود مستعمرات يهودية على السواحل المغربية في عهود مذنيات صور وصيدا ، حيث يعتبر تاريخ تلك الفترة ضوبا من الاساطير (9) .

(4) - مصحافى عبد الله بعبو ، المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا ، تونس ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1975 و ص 33 .

(5) - نفسه ، ص 33 .

(6) - حكم بطليموس مصر حكما مطلقا . وصل اليها سنة 323 قبل الميلاد وفي سنة 305 قبل الميلاد أصبح ملكا عليها يتوارث ذريته الحكم وتسموا باسمه

فلقبوا بالبطالمسة . وبعد وفاته الهه ابنه تلبية لرضيته فسمي (سوتر) بمعنى المنقذ . راجع عبد الرحمن الرافعي ، تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة من فجر التاريخ إلى الفتح العربي ، القاهرة مكتبة النهضة العربية ، 1963 ط 1 ، ص 199 و 200 .

(7) - أنظر ، M.B. CAHEN, Les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, p.8.

(8) - أنظر ، DARMON, origine et Constitution de la Communauté

Israelite de Tlemcen, Revue Africaine, 1870, p. 376, 377

(9) - حاييم الزعفراني ، الف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة أحمد شحان وعبد الغني أبو الحزم ، دار قرطبة والدار البيضاء ، 1937 و ص 69 .

أما تاريخ تحديد معالم الهجرة اليهودية الى المغرب الواضحة والمقبولة ضمن مسار مجريات الاحداث التاريخية ، وان كانت لا تتعدى بعض الافراد ، فلعلها تتحدد منذ بداية الالف الاولى قبل الميلاد نتيجة لعلاقته مدينة صور الفينيقية بالبرانيين (10) أثناء حكم الملك حيرام وسليمان الحكيم ، وتبدو هذه العلاقة الودية في طابع المعاملات والمبادلات التجارية بينهما ((حيث تلقى الصوريون كميات من الاغذية مقابل الاخشاب والخبرات الفنية التي قدموها للبرانيين)) (11) ولعل هذا ما يفسر سيطرة اليهود على تجارة العبوب في تلك المدة ، لان ما ينسب لصور كان بإمكانها جلب العبوب التي تنتجها سهول تونس من مستوطنتها أوتيكا (12) .

وبعد وفاة الملك سليمان ، توقفت التجارة البحرية لان البرانيين لم يكونوا مهرة في بناء السفن ، وارتداد البحار ، اذ يرجع الفضل للصوريين الفينيقين على خوض البحار في وصول السفن التجارية اليهودية الى ترشيش (13) .

ثم تتضح الهجرة الى المغرب فيما بعد بجلاء بعد حملة " نبوخذ نصر " (NAUCHORASOR) سنة 586 ق.م على بيت المقدس (14) فتوجهت اثارها عدد من اليهود الى مصر ، ومنهم من قصد بلاد المغرب (15) دون أن نعرف الاسباب الحقيقية التي جعلتهم يختارون هذه الوجهة ولا الاماكن التي استقروا بها . ولعل العامل التجاري ، ووجود اقلية يهودية من أهم الاسباب التي ساعدت اليهود على القدوم الى المغرب .

(10) - البرانيون : مصداق يدل على اليهود ما يزال منتشر على الرغم من بعده عن الواقع التاريخي ، أنظر ، أحمد سوسة ، فصل الحرب واليهود في التاريخ الحراق ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، 1981 ، ط 5 ، صص : 494-506 .

(11) - محمد الصغير غانم ، التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1979 ، ص 94 .

(12) - نفسه ، ص 54 .

(13) - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، بغداد ، مكتبة النهضة ، 1976 ، ط 2 ، ج 1 ، صص 640-641 .

(14) - عن اسباب ونتائج الحملة ، راجع ، سوسة ، فصل العرب واليهود في التاريخ ، صص 606-607 .

(15) - عبد الرحمن الجبالي ، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ، ج 1 ، ص 54 ، أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ط 2 ، ص 147 .

ويحتبر بناء مدينة الاسكندرية سنة 332 ق م على يد اسكندر المقدوني وتحولها عاصمة للبلاد - خلفاء الاسكندرية - حدثا مهما بالنسبة لليهود - اذ استقدم هؤلاء الحكام اعدادا كبيرة منهم ، واتخذوهم عملاء وأرلياء مفدقين عليهم المزايا لضمان بقائهم الى جانبهم (16) . وقد تدر عدد اليهود المجلوبين الى مصر ما بين 100 ألف و 120 ألف ، استقرت جالية منهم بالاسكندرية - وبفضل تحاورهم مع السلطات الحاكمة ، تبوأ اليهود مراكز ممتازة في الهرم السياسي للدولة حتى قيل : ان العناصر الحاكمة هي يونانية ويهودية (17) .

وبعد أن بسط البطالمة نفوذهم على مدن برقة ، شجعوا اليهود على التنقل اليها والاستقرار بها ، مما أدى الى تكوين جالية يهودية تمتد من أدم - العناصر السكانية (13) ، تنعم بالرخاء والازدهار . واستمر هذا الوجود ، بل تدعم بفضل قدوم أفواج جديدة انتشرت في داليثمة وقورينة وتوكره وسوسة والمرج ، أهم مدن منطقة برقة ، وفي نواحي أخرى من الريف (19) .

كما تحدث من كتبوا عن اليهود في المضرب على وجود جالية في قرطاجه غير أن الشواهد الاثرية نادرة جدا باعتراف أحد المتخصصين في التاريخ القديم (20) . ولا يحرف مدى أهمية الهجرة اليهودية بعد تأسيس المدينة الفينيقية الا من خلال الاحتمالات ، والفرضيات ، وبعض الشذرات النادرة في المصادر التاريخية .

(16) - عبد الرحمن الرافعي ، تاريخ الحركة القومية في مصر من فجر التاريخ الى الفتح العربي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ، ط1 ، ص 206 .

(17) - جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة لفييف من العلماء ، القاهرة ، دار المعارف ، 1970 ، ج 4 ، ص 52 .

(18) - يحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 23 .

(19) - مجهول ، تاريخنا ، من سقوط قرطاجة الى عصر التحرير الاسلامي ، ليبيا ، دار التراث ، دون تاريخ ، الكتاب الثالث ، ص 182 .

(20) - Paul Monceaux "Les colonies juives dans l'Afrique Romaine" Cahiers de Tunisie, n° 71-72. (Année 1970) p. 159 .

وفي العهد الروماني ، وبعد سقوط تراجانة سنة 146 ق م ، بدأت بعض العناصر اليهودية تدخل بالمغرب ، اذ كشفت الآثار على وجود نقوش عبرية باليونانية واللاتينية . غير أن النقوش اليهودية السرفة لا تتجاوز الأربعة في توريطة ونوميديا وسطيف وسنرتا (21) . وقد حددت دراسة حديثة بثلاثة نقوش في سلاووليبي وق قرطاجة (22) . وبدخول الرومان كقوة عظيمة في ميدان التنافس السياسي والعسكري والاقتصادي في البحر المتوسط ، استطاع هؤلاء مع اليهود في صراع داويل يهمناً منه حملة " تيتوس " (TITUS VASPASTEN) سنة 70 م ضد اليهود في المشرق ، وتحطيم رموزهم في بيت المقدس اثر ثورة ضد السلطات الرومانية المسيطرة على المنطقة . ومن نتائج هذه الحملة تفرق اليهود وتشتتهم . فالمؤرخ أوريوس في (23) في حديثه عن بني اسرائيل ، ولدى تعرضه للحملة قال ((ثم تفرقوا التفرقة التي هم اليوم فيها)) (24) من غير أن يوضح المناطق التي قصدوها اثر هذا الشتات (25) أما " يوسفوس " المؤرخ اليهودي * فقد بين الوجهة المقصودة في المغرب محددات مدينة توريطة في منطقة برقة (26) . كما رجح القائد الروماني المنتصر 30 ألف يهودي الى مواني المغرب في 12 مركبا (27) ، واذا صدقنا هذه الرواية ، فان المغرب في الثلث الأخير من القرن الميلادي الاول ، تحول من أهم المناطق التي يتركز فيها اليهود وعلى الخصوص منطقتي برقة وقرطاجة .

(21) — Dictionnaire des antiquités Grecques et Romaines d'après les textes et les monuments, sous la direction de Lucien Daroumerget E.D.M. Saglio Paris Librairie Hachette 1933 p 622

(22) — شيبتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 198 ، 199 .

(23) — يعرف هذا المؤرخ اللاتيني عند المسلمين " بهوزيشوش " وقد اعتمد

ابن خلدون على كتابه .

(24) — أوريوس ، تاريخ العالم ، الترجمة العربية القديمة ، تقديم وتحقيق

عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1932 ،

ط 1 ، ص 177 .

(25) — الشتات : نجد ما في الكتب مرادفة لكلمة (DIASPORA) اليونانية التي

تعني التفرق ، وتطلق على اليهود خارج فلسطين ، أنظر ، سوسة ، الفصل ، ص 335 .

* — عن يوسفوس ومؤلفاته راجع ، يوسفابوس القيصي ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة

القس مرقس داود ، القاهرة ، دار الكرنك للنشر والطباعة والتوزيع ، 1966 ،

ص 122 — 126 .

(26) — مجهول ، تاريخنا ، ج 3 ، ص 233 .

(27) — Chouraqui marche vers l'occident p. 24.

— أنظر

والغريب في الأمر أن المصير اليهودي ازداد في المغرب بعد التدبير الذي أحدثه القائد الروماني " تيتوس " على الرغم من كونه مستعمرة رومانية ، بمعلسى أن اليهود ستلاحقهم روما في مكان قريب منها ، في حالة وقوع أحداث تمنى الامن به يشاركون فيها . ويمكن تفسير ذلك بمحاولة التجمع لتكوين قوة ضاغطة على السلطات الرومانية في منطقة ذات امكانيات بشرية هامة ، وكذا التمسك بها للقيام بثورة حينما تنجح الفرصة (28) هذا من الوجهة السياسية . ولقد كان للعامل الاقتصادي أثره الواضح ، في الهجرات الاجنبية . لأن منطقة المغرب أصبحت منطقة جذب في العهد الروماني لما امتازت به من تطورات اقتصادية مثلما تؤكد في دراسة ظهرت مؤخرا حيث شرح صاحبها هذه المسألة بقوله : ((غير أن أبواب الهجرة السلى بلاد المغرب لم تتسع أمام الوافدين من مختلف بلدان حوض البحر المتوسط الا في العهد الروماني الذي أوجد لهم فرص الانتقال الى هذه البلاد ووسائل العيش الافضل فيها . خاصة أثناء العهد الامبراطوري حيث أصبح البحر المتوسط وسيلة اتصال ونقطة عبور بين مختلف بلدانه)) (29) .

ان هذه الصوامل تشرح وتوضح اختيار اليهود للمغرب في هذه المرحلة . فهم يقدرون جميع قوااتهم البشرية التي تتركز في مصر والمغرب ، بالإضافة الى محاولة جمع الخببرات التي يمكن جمعها من مناطق توهم للتمكن من الثورة . بعد هذا تأتي المرحلة المادية المتمثلة في مجابهة روما في الوقت المناسب وهذا ما سيحدث فعلا .

وحيثما سقط المغرب في ايدي الوندال سنة 439 م لم نتحقق من وجود هجرة يهودية على الرغم من التسامح الذي أظهره هؤلاء لليهود ، خلافا لما حدث للمسيحيين .

وفي العهد البيزنطي تقلص عدد اليهود في المغرب خاصة أثناء حكم " جستنيان " إذ تدخلت السلطات البيزنطية في شؤونهم ، مما أدى الى نزوح عدد منهم نحو اسبانيا بينما نزح آخرون الى ايطاليا (30) فرارا من الاضطهاد . لان سياسة الامبراطور تهادف الى وضع قانون موحد وعقيدة واحدة للامبراطورية (31) .

(28) انظر : Cahen, Les juifs dans l'Afrique Septentrionale, p. 12.

(29) - شلبيتي ، التغييرات الاقتصادية ، ص 184 - 185 .

(30) - أنظر : Mathias Mièses Les Juifs et les Etablissements Rmiques, p. 2.

(31) - السيد الباز الحبريني ، الدولة البيزنطية ، بيروت ، دار النهضة العربية

للطباعة والنشر ، 1932 ، ص 96 .

وتنفيذاً لهذه السياسة ، استعمل الشدة والقسوة ، مما أدى إلى اصطدامه باليهود والوثنيين والهرطقة من أتباع ماني وغيرهم (32) .
وآخر هجرة لليهود عرفها المغرب قبل الفتح الإسلامي ما بين سنتي 612 - 613 م من اسبانيا حينما اعتلى العرش الملك " ششبرت " (SISHUTO) القوطي الذي أقر مبدأ اضطهاد اليهود (33) فضيق عليهم الخناق ، كما حرم عليهم إقامة الشعائر الدينية وأعطاهم مهلة سنة للتفكير في الاختيار بين اعتناق الديانة المسيحية أو الرحيل عن اسبانيا . فممن من تظاهروا باعتناقها للحفاظ على أرواحهم وأموالهم ، وما جر عدد آخر (34) فالتحق جزء منهم بسواحل المغرب (35) لوجود نوع من التسامح معهم في أواخر العهد البيزنطي بالمغرب .

(2) - اليهود في العهد القرطاجي :

بدأت مرحلة الارتداد الباكورة للفنيقيين إلى بلاد المغرب أثناء فترة ازدهار المدن الفينيقية منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد (36) إذ كان هؤلاء يحملون على جلب الموارد الاقتصادية التي يحتاجون إليها خاصة المعادن التي تستخرج من شبه جزيرة إيبيريا (37) . وبما أن المسافة طويلة والرحلات البحرية شاقصة ، أنشأوا المراكز الكثيرة للتوقف والراحة . وفي نفس الوثائق للتبادل التجاري . فأحتل الساحل المغربي للبحر المتوسط مكانة هامة حيث برزت فيه شبكة من المراكز والمخيمات والمدن ، قدرها المؤرخون بحوالي ثلاثمائة مركز ولجئوا المائتي مدينة (38) بسواحل المغرب .

أما المدن الباقية في المغرب فقد كانت تسمى بـ " قرطاجات " أو " قرطاجات " .

(32) - نفسه ، ص 98 .

(33) - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وأثرهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1981 ، ص 56 .

(34) - محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الأندلس ، المكتبة الثقافية عدد 237 مصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 ، ص 15 .

(35) - أنظر : Ismael Hanet Les juifs du Nord de l'Afrique (Noms et prénoms) Paris Sociétés d'Éditions, Géographiques, maritimes, et Coloniales, 1926, p. 5.

(36) - غانم ، التوسع ، الفينيقي ، ص 68 .

(37) - نفسه ، ص 68 .

(38) - الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 49 .

أما المدن الباقية في المغرب فقد كانت تسمى بـ " قرطاجات " أو " قرطاجات " .

أما المدن الباقية في المغرب فقد كانت تسمى بـ " قرطاجات " أو " قرطاجات " .

أما المدن الباقية في المغرب فقد كانت تسمى بـ " قرطاجات " أو " قرطاجات " .

وفي بداية الرحلات الفنية إلى المغرب حل معهم اليهود بفضل حذقهم للتجارة (39) ولكن لا يعرف بالتحديد مدى أهمية هذه الهجرة.

أما عن حالة اليهود في هذا العهد، فإن المعلومات التي وصلتنا قليلة جداً وبالتالي لا يمكن إبراز حقائق واضحة ومطلقة. فالاستاذ: "مانسسو" (Monceaux) يؤكد أنه ((ليس لدينا عن اليهود - في هذا العهد - معلومات دقيقة)) (40) مما أدى به إلى التساؤل في النهاية: ((هل توجد جالية يهودية في قرطاجة التي تحتل المركز الرئيسي أثناء العهد البويي ؟)) ويحيب بقوله على هذا السؤال ((لا يمكن الجزم بذلك إلا بظهور اكتشافات أثرية جديدة (41).))
وفعلاً فالأثار المكتشفة لعهد قريب لا تؤكد الحقيقة التاريخية القائلة بوجود جالية يهودية في العهد القرطاجي. فلم يعثر الباحثون إلا على قطعة أثرية واحدة تعود إلى هذا العهد وهي عبارة عن خاتم (42). وتدرة هذه الآثار تبين قلة العنصر اليهودي في المغرب، أن لم تتف وجوده تماماً.

ومسح احتمال وجودهم في رأي الأكثرية على الرغم من ندرة الشاهد التاريخي، فإن اليهود في المغرب قد تسكوا بديانتهم وشعائهم، وهي ديانة الآباء قبل دخولهم فلسطين (43) كما أن هذه الديانة لم تمنعهم من عبادة "بعل" (44) إليه الجبان والمطر والعواصف والجو (45). أن هذه العبادة المزدهرة لليهود في إقامة الشعائر الدينية توضح مدى الأثر الفني في حياتهم. وقد يعتمد هذا التأثير إلى جوانب عديدة لدى الجالية اليهودية.

(39) - مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، 1963، ج 1، ص 220.

(40) - أنظر: Monceaux Les colonies juives. p. 172.

(41) - أنظر: Ibid. p. 160.

(42) - أنظر: Y. Le Bohec Inscriptions juives et judaïsants de l'Afrique romaine Antiquités Africaines, 17 (1981) p. 202.

(43) - مرت ديانة اليهود بثلاثة أدوار: الأول دور إبراهيم وإسحاق ويعقوب داود

حوادثه في القرنين 19 و 18 ق م وهي ديانة وحدانية إبراهيم والدور الثاني حملة موسى على فلسطين وجرت حوادثه في القرن 13 ق م بدأت بوحدانية اختاتهن ثم انتقلت إلى الوثنية والدور الثالث وقعت حوادثه في القرن 6 ق م وهي ديانة وحدانية يهوه، أنظر سوسة، فصل العرب واليهود ص 348 - 349.

(44) - أنظر: Eisenbeth, Les Juifs, p. 3.

(45) - عصفور، المدن الفنية، ص 45.

أما عن تنظيمات الجالية، وحياتها الاجتماعية والثقافية في العهد الفينيقي، فلا توجد الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها لمعرفة أسرارها، ما عدا الدراسة المقارنة للتحريف على بعض الجوانب. فالاستاذ "بيكار" (PICARD) في حديثه عن التربية في العهد القوطاجي، عقد مقارنة قد تبدو مفيدة على الرغم من أنها تعتمد على التخمين ((يجوز أن يظن، أن التوجيه التربوي بقوطاجية كان يرمي إلى إعداد الولدان للتجارة والأسفار البعيدة. ومن الواضح أن أسرار الكهنة كانت لها مدارسها الخاصة الشبيهة ببيع الرهبان الاسرائيليين. ففي هذه المدارس كانوا يعلمون الأحداث القراءة والكتابة باللغة الفينيقية ويحفظونهم القصائد والأحكام التي تضمنت القصص والطقوس الدينية)) (46). فالنص يقدم لنا على الأقل الشبه الموجود بين المدارس اليهودية والفينيقية والمواد التي تدرس بهما.

ولكن إذا اعتمدنا على التلمود (47) في المجال التعليمي فإن المدارس لم تظهر لدى اليهود إلا بعد القرن الأول قبل الميلاد، إذ كانت المائتات هي التي تتكفل بالتربية والتعليم حيث تعمل على تعليم الأولاد حب الإله والتقيد بتعاليمه (48).

فإن كانت المعلومات حول الجالية اليهودية في منطقة قوطاجية والمناطق الغربية حتى ليكسوس قليلة لا تسمح بأخذ فكرة واضحة عنها، فإن منطقة بوقنة ومدينتها تعتبر أحسن حالا، فهي تحتوي على أعظم جالية يهودية في المغرب خاصة مدينة قورينة (Cyrène) (49) التي كانت تابعة للأفريق.

(46) — نقلا عن إبراهيم لحبيدي التوزي، تاريخ التربية بتونس، تونس، الشوكية

التونسية للتوزيع، دون تاريخ، ج 1، ص 21.

(47) — التلمود: هو كتاب تعلم ديانة وأداب اليهود يحتوي على مجموعة الشرائع

اليهودية الشفوية وشرح وتفسير رجال الدين عليها. ((وينقسم التلمود إلى

قسمين: ((المشنة)) وهي النص ومحتاها الدرس والمطالعة و ((الجمارة))

وهي التفسير مع تكملة النص ومحتاها الإتمام والتكميل. والمشنة هي خلاصة

الشفوية الشفوية ومجموعة قوانين اليهود السياسية والمدنية والدينية

المتفق عليها. أما الجمارة فتشتمل على روايات وأحاديث ومسموعات عن الحاخامات

وتحتوي على إيضاحات وشرح وتفسير على المشنة)) أنظر محمد بركات

((حقائق عن التلمود)) الهلال، 5، السنة السابعة والسيحون (

(1 مايو 1969) ص 32 و ظفر الاسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه،

بيروت، دار النفائس، 1972، صص 11-22.

(43) — عمر رضا كحالة، جولة في ربوع التربية والتعليم، بيروت، مؤسسة الرسالة.

1980، ط 1، ص 30.

(49) — قورينة: ميلة قرب مصر وشرقي ليبيا في منطقة بوقنة تأسست حوالي 631 ق.م.

أنظر: D'AVEZAC Afrique Tableau général. Tunis Éditions

Buslana, 1981. T1 p. 13.

على الرغم من تحدث المصادرين عن يهود قونية ، فلا يعرف عدد دم بصورة دقيقة ، كما يصعب تحديد الاعمال التي كانوا يمارسونها . غير أن دورهم الواضح يتمثل في النشاط الاقتصادي في منطقة برقة . حيث اشتغلوا بالزراعة والريعي والاعمال الزراعية (50) . وليس من المستبعد أنهم اشتغلوا أو مارسوا التجارة كأكثرية اليهود المتوزعين في العالم .

ويبدو أن اليهود برقة أحياء خاصة بهم على غرار يهود مدينة الاسكندرية الذين استقروا في شرق عاصمة البطالمة (51) . وهي عادة ما زالت متبعة الى اليوم لديهم إذ يستوطنون في أحياء تدعى ((الحارة)) ،

وعلى الرغم من حسن معاملة خلفاء الاسكندرية لليهود ، فإنهم لم يمكنوا المستقرين في برقة من مرتبة المواطنة . ومع ذلك تمتعوا بالاستقلال القضائي حسب شريعتهم في المسائل المتعلقة بالاحوال الشخصية (52) . كما سمح لهم بجمع الضرائب لارسالها الى بيت المقدس لرعاية ميكلهم هناك (53) .

وماوس اليهود ديانتهم بكل حرية ، إذ لم يتموضعوا للمضايقة أثناء الحكم البطلمي الذي فتح لهم الابواب في جميع المجالات السياسية والادارية حيث أصبحت هذه الجالية في قمة الهرم الاجتماعي . مما أدى بالاغريق أنفسهم الى الاشتراؤ من هذه المعاملة . ولكنهم كتموا شعورهم ضد اليهود حتى تحين الفرصة الملائمة للتعبير عن ذلك (54) .

(50) - يحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 ،

(51) - سكايفين رايلي ، الغرب والعالم ، تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ، ترجمة عبد الوهاب محمد الميني ، وهدى عبد السميع حجازي ، مراجعة فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، 90 ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، (يوليو ، 1985) ، ص 109 ،

(52) - يحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 .

(53) - أنظر : Hamet , Les Juifs de l'Afrique du Nord , p. 4 .

(54) - يحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 .

وتأثر اليهود في منطقة برقة بالحياة الهيلنستية (55) نظرا لقرنها
من مدينة الاسكندرية عاصمة البطالمة . ويتمثل هذا التأثير في انتقالهم
اللغة الاغريقية المستعملة في الجوار الادبي واللباس الاغريقي (56) .
وقد ظهرت في اوساط الجالية اليهودية شخصية علمية تعتبر من أعظم
المثقفين اليهود الذين تأثروا بالثقافة الاغريقية الكاتب " جاسون " (JASON)
الذي ألف حوالي 160 ق م مؤلفا من خمسة كتب عن الحروب اليهودية المسماة
بحروب المكابي (57) ، اعتمد عليها فيما بعد محررو سفر المكابيين الثاني
(58) . وقد احتوى الكتاب تلخيصا لاحداث سنوات ما بين 175 - 160 ق م (59) .
ان الصورة التي يمكن استخلاصها عن الجالية اليهودية بمنطقة برقية
هي اندماجها في المجتمع الاغريقي طريقة مرسنة ، الشيء الذي سمح لها
بالاخذ بمظاهر الحياة الاغريقية التي تساعدها على العيش والحفاظ في
نفس الوقت على مصطلحاتها في المسائل المتعلقة باللغة واللباس فقط . لذلك نجد
اليهود يعرضون عن معاشره الناس (60) . مما يدعو الى القول بانغلاق هذه
الجالية في الحياة الاجتماعية ،

- (55) - الهيلنستية : حينما ظهر الاسكندر المقدوني في النصف الاول من القرن
الرابع قبل الميلاد على مسرح السياسة الدولية ، استطاع أن يسترد المستعمرات
الاغريقية بأسيا الصغرى من الفرس في عام 334 ق م ، توجه نحو الشرق
للاستيلاء على ممتلكات الامبراطورية الفارسية ، ثم لم ذلك ما بين 332
331 ق م و 331 ق م . بعدها بدأ ينشر الهيلنستية الاغريقية في الشرق ،
فظهرت حضارة جديدة انصهرت فيها الروح الهيلينية والروح الشرقية
في بوتقة واحدة تدعى الحضارة الهيلنستية . انظر ، نعمت اسماعيل غلام ،
غنون الشرق الاوسط من الغزو الاغريقي حتى الفتح الاسلامي ، القاهرة ،
دار المعارف بمصر ، 1975 ، ص 15 .
(56) - بحيو ، المشروع الصهيوني ، ص 29 .
(57) المكابيون أو الحشموناييم أسرة يهودية أسست حزبا للوقوف ضد الحزب الهيليني
أي اليهود الذين ابتعدوا عن اليهودية ما بين 150 - 143 ق م ،
انظر ، فؤاد حسين ((المكابيون)) المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 13 ،
(1971) ، ص 21 - 54 .
(58) - أنظر :
(59) - جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج 5 ، ص 49 .
(60) - نفسه ، ص 63 .

D AVEZAC, L'Afrique, p. 116.

(3) - اليهود في العهد الروماني :

اتسمت الهجرة اليهودية في العهد الروماني بالضخامة والوضوح، وأصبحت لها أهمية كبيرة (61). فقد أخذت ابعاداً سياسية وعسكرية سنلمسها في الدور الخطير الذي قام به اليهود ضد الرومان ، حينما اصطدمت مصالحهم بمصالح أعظم قوة في البحر الابيض المتوسط.

ان أكبر جالية تقريباً ظهرت في العهد الروماني خاصة الثلث الاخير من القرن الاول قبل الميلاد ، عقب حملة " تيتوس " (TITUS) على بيت المقدس حيث قام بتهجير حوالي 300,000 من اليهود كسبايا حرب (62) ، ويقدر المؤرخ اليهودي " يوسفوس فلافيوس " (يوسفوس) عدد اليهود الذين استقروا في ليبيا بنصف مليون في القرون الاولى بعد الميلاد (63).

وعلى العموم لا يمكن التطرق الى مسألة الاحصائيات بجدية لفحص الوثائق ولتضارب الآراء ، مما جعل المؤرخين يحددون بصحوبة عدد السكان عمومياً في العهد الروماني . فقد أبرز أحد المهتمين بالتاريخ القديم هذه المشكلة بقوله ((والواقع أنه لا يوجد احصاء دقيق لعدد السكان الذين تمايشوا في المغرب الروماني خلال زمن ما من فترة التواجد الروماني به ، ثم أن كسبيل التقديرات المختلفة بحدود السكان وانشطاتهم لا تستند الى معلومات تاريخية دقيقة، فهي تعتمد على النصوص الادبية وجرد الاسماء الاثرية والمرافق العاصمة للمدن ، كخزانات المياه الممونة ، وسعة المسارح والحمامات والكنايس وكذلك الاحصائيات الجزئية المتعلقة بالموظفين الاداريين أو الدينيين (64) فالتقديرات حول الاحصائيات السكانية انطلاقاً من هذا الواقع صعبة للغاية ، لذلك قال بعضهم : يستحيل الحصول على احصاء خاص باليهود (65) ،

Monceaux, les colonies juives, p. 167.

(61) - أنظر :

Chouraqui Marche vers l'occident p. 23 Note N 1.

(62) - أنظر :

Ibid p. 23. Note N 1.

(63) - أنظر :

(64) - شنتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 202 .

Yann. Le Bohec Juifs et judaïsants dans l'Afrique romaine remarques onomastiques Antiquités Africaines. N° 17 (1961) p. 209.

(65) - أنظر :

أما المناطق التي استوطن بها اليهود ، فيبدو أن الاكثوية منهم استقروا في المدن الكبرى على الساحل وفي بعض المناطق الداخلية المحاذية أو القريبة من المدن الساحلية ابتداءً من ليبيا حتى عمق المغرب الأقصى (66) . ودون شك تنهوا ليبيا - أي منطقة برقة ومدنها - مكانة الصداقة ، حيث تعتبر مدينة قورينة من أعظم مراكز اليهود ، وكذلك مدينة طرابلس (أوبا) . وتمتد شبكة مراكز اقامتهم الى بيزاسين (BYZACENE) إذ تحتوي مدينة " توزر " (THUSURUS) جنوب تونس حالياً على آثار قليلة للعصر اليهودي (67) ومدينة سوسة (HADRUMETUM) وفي لوميديا نجد اليهود يتمركزون في المدن : ميبونة (عناية) وسرتا (قسنطينة) وشنشيرة فوارة (68) وتبسة . أما في منطقة موريتانيا ، فإن الجاليات اليهودية استقرت بالمدن الكبرى كسطيف وسور الغزلان (أوزيا) وتيبازة وشرال ، وفي موريتانيا الناحية مدينة ليلتي (69) .

ولا تبعد القائمة التي قدمها " ليوهيك " (Le Bohec) عن لائحة " بول منسو " (P. Monceaux) إلا قليلاً ، فقد حدد المدن التي تسكنها جالية يهودية في المغرب ابتداءً من ليبيا كما يلي : مدينة السلطان في السوت ، طرابلس ، حمام الالف (NARG) ، قرطاج ، أوتيكا ، عناية ، سطيف ، تيبازة ، شرشال ، قصر فرعون بالمغرب الأقصى (70) .

وفيما يتعلق بنظام الجالية ، فلكل واحدة منها مجلس ثقافي يشترك فيه اليهود بالولادة ، والوثنيون المتهودون (71) ومجلس اداري يصل عدد اعضائه تسعة يختارون من طرف الجالية .

Monceaux, les colonies juives, p. 161. (66)

Ibid, p. 160. (67)

شنشيرة فوارة : توجد في الطويق النجف ارتباط ما بين سوق امواس وتبسة . (68)

Monceaux, les colonies juives, pp. 165-166. (69)

Le Bohec, Inscriptions juives, p. 201. (70)

(71) - حينما تكلم ايزنبيت عن نظام الجالية لم يتحدث عن مشاركة المتهودين في المجلس ، بل قال يرفض غير اليهود . وشوراكي عنا يخالفه في الرأي وهذا طبعاً قصد ايها القراء بفتح الجالية اليهودية . وبذلك يستبعد مشاركة المتهودين في المجلس الذي ينظر في شؤون اليهود ، وهم يتأرجحون بين الديانة اليهودية وديانتهم الخاصة ، بالإضافة الى بعدهم عن اليهود من الناحية العرقية أو الدموية ، أنظر ،

Eisenbeth, les juifs, p. 5.

ومجلس القدماء وهو على ما يبدو شبهه بمجلس الشيوخ ، يهتم بإدارة شؤون الحياة الإدارية والمالية ويسهر على التنظيم الديني . كما يمثل هذا المجلس مصالح الجالية لدى القضاء وأمام السلطات (72) في حالة المنازعات لحل المشكلات التي تعترضها اليهود . ولم تقتصر مهام المجلس على الصلاحيات الإدارية والدينية بل جاوزتها إلى القضايا الاجتماعية ، كتقديم المساعدات للمحتاجين . والموافقة على بناء البيع والمدارس والاهتمام بالمكتبات وتعيين المتصرفين الإداريين . فالمجلس بهذه الصلاحيات المتعددة عبارة عن مجلس تشويهي وتفهيمي له كامل الصلاحيات ، لإدارة شؤون الجالية ، والمحافظة على مصالحها المادية والمعنوية .

ويرأس الجالية اليهودية من الناحية الدينية الربى الذي يسهر على تطبيق مبادئ القانون ، ويشرف على التعليم الديني ، ويتألف الاجتماعات المتعلقة بالمسائل الدينية ، يساعد حزان (أي موظف متواضع يحاوي الربى في الشؤون الدينية) (73) .

ومن مساعدي المكلف بالديانة اليهودية القراء الذين يتلون في البعثة الكتاب المقدس لليهود ، بالإضافة إلى المترجم الذي يقوم بترجمة مقاطع لدى قراءتها من القاري فوراً على سامع الحاضرين (74) .

وتحتل البعثة مكانة بارزة في أوساط الجالية اليهودية لأنها محور الحياة اليهودية كمركز للقضاء وتنفيذ العقوبات ، والأعفاء من الضرائب ، فمناك تناقش كل القضايا المالية والسياسية والقانونية (75) . وبما أنها في الأصل هي مركز ديني أساساً ، تقام الصلوات فيها ، وتلقى دروس الوعظ والارشاد المستمدة من أسس الديانة اليهودية ، كما هي كذلك مدرسة لتعليم أبناء الجالية (76) .

Chouraqui, marche vers l'occident, p. 29.

(72) - أنظر!

Eisenbeth, les juifs, p. 5.

(73) - أنظر:

ibid, p. 6.

(74) - أنظر:

ibid, p. 6.

(75) - أنظر:

Chouraqui, marche vers l'occident, p. 29.

(76) - أنظر:

أما عن حالة الجالية نفسها، فهي تختلف من طبقة إلى أخرى وعلى حد قول "بول منسو" (P. Monceaux) تتمتع الجالية اليهودية في مدينة قوطاجه بالشراء (77)، وهو رأي يحتوي على صالحة واضحة، لأن اليهود لا ينتمون إلى طبقة واحدة اجتماعياً. والاستاذ "لابوهيك" (Le bohec) يخالفه أيضاً في هذا الرأي، وذلك بالاعتماد على آثار بيعة حمام الالف (NARO) بتونس، يرجع تاريخها إلى العهد الروماني - والتي يقول بشأنها ((تحتوي على زركشة جميلة من الفسيفساء وليس في مقدور الفقراء بناؤها)) وكذلك القبور الضخمة بمسرت (GAMART) (78) التي تحتاج إلى إمكانات مادية ضخمة ليست في متناول الطبقة الفقيرة التي تحتوي على أعداد كبيرة من اليهود الذين يعيشون كمسيحيين، ومسال في مينا قوطاج (79).

من هذا الرأي يمكن استجلاء الحالة الاجتماعية للجالية اليهودية التي يتربع على عرشها الأغنياء ثم أصحاب المهن الحرة من صناع وغيرهم، وأخيراً الطبقة الفقيرة المتكونة من العبيد والمعدمين.

ونتيجة للوضعية الاجتماعية لليهود، يمكن إبراز بعض الأعمال التي كانوا يقومون بها، والوظائف التي اشتغلوا بها، إذ تختلف من طبقة إلى أخرى حسب الشخص وإمكاناته المادية، ودون شك حسب نوعية الثقافة التي تحصل عليها كذلك. فبدخل في الطبقة الأولى، كل الذين تولوا الوظائف العامة في الإدارة، ومراتب في الجيش الروماني، والذين اشتغلوا بالتجارة والزراعة كملاك الأراضي الكبار، والتجار الذين يسيطرون على التصدير والاستيراد في المدن الكبرى حيث توجد جالية يهودية كبيرة، وأصحاب البنوك، ورجال الأعمال، والأطباء التابعين للدولة الرومانية (80)، والأطباء الأحرار ورجال الثقافة (81) والعلوم (82) ورجال الدين.

P. Monceaux, Les Colonies Juives, p. 9.

(77) — أنظر:

Le Bohec, inscriptions Juives, pp. 169-170.

(78) — أنظر:

Ibid, p. 170.

(79) — أنظر:

(80) — ليس لدينا معلومات عن بعضهم في المغرب ما عدا أوفورب (EUPHORBE) طبيب يوبا الثاني.

(81) — أشهرهم في أرض المغرب "جاسون مقبوس" (Jason Magnus) الذي عاش في مدينة قورينة وألف كتاباً عن حروب المكابي، أنظر من هذا البحث.

Eisenbeth, Les Juifs, P. 6.

(82) — أنظر:

ومن اليهود الذي شارك في الاعمال والمهن الحرة ، أحد اليهود الذي فتح مصنعا للمصاييح في مدينة سوسة (SUSA) على الساحل الشرقي التونسي . وقد كانت سلعته رائجة ومعرضة للبيع في مدينة الجمر (TYLERUS) وفي نواحي القيروان (33) . ومن هؤلاء التجار الصغار أصحاب الحوانيت في المدن الصغرى حيث توجد جاليات صغيرة من اليهود ، والاسكافيين ، والخبازين ، والجزائريين وغيرهم (34) .

وفي أسفل الهرم الاجتماعي الفقراء ، ومن بينهم العبيد الذين اشتريتهم الاسر الفنية ، وأولئك الذين يعملون في العناء ، بالإضافة الى أصحاب الاعمال المتواضعة الذين يصب عليهم الحصول على قوتهم اليومي .

أما فيما يتعلق بالجانب الثقافي للجالية اليهودية في المغرب ، فيبدو أن الثقافة السائدة في أوساطها هي اللغة اللاتينية التي تأتي في الدرجة الأولى ، بعدما اليونانية التي تحتل المرتبة الثانية . أما الجبرية فاستعمالها قليل (35) إذ أن النقوش التي تركها اليهود في الاراضي البونية سابقا — كلها باللغة اليونانية (36) .

ان استعمال العبرية قليل بل نادر ، وهو ما يفسر استعمالهم للغة اللاتينية . وأحسن دليل على ذلك وجود المترجمين في بيع اليهود الذين يقومون بترجمة مقاطع من الكتاب المقدس كما عرفنا (37) .

فإذا كانت اللغة اللاتينية هي السائدة في المنطقة الشمالية ، أي نواحي قوطاجة ونوميديا خاصة بعد سياسة الرومنة التي انتهجتها روما لمسوخ المنطقة ، والسيطرة عليها . فان يهود ليبيا والمهاجرين اليها من مصريين تحدثون لغة يهود الاسكندرية (38) وهي حسب الظاهر لغة الاغريق التي كتب بها جاسون مقلد كتابه التاريخي . وقد تكون مزيجا من الاغريقية واليهودية لان الاولى هي لغة المحاملات والادارة ، والعبرية تستعمل في المجال الديني .

(33) — أنظر Le Bohec, les inscriptions juives, pp. 173-174.

(34) — أنظر Eisenbeth, les juifs, p. 6.

(35) — أنظر Le Bohec, les inscriptions juives, p. 170.

(36) — أنظر Mises, les juifs et les établissements puniques, p. 139.

(37) — راجع الصفحة من هذا البحث.

(38) — أنظر Mises, les juifs et les établissements Puniques, p. 139.

وحول هذه المسألة هناك العديد من التساؤلات التي يمكن اثارها .
أهمها لماذا ترك اليهود لغتهم على الرغم من كونهم بالعبرية معروفين
عندهم (89) . ان الاجابة على السؤال تكمن في أن المشرق قد تعرض لتأثير
الحضارة الهيلينية منذ القرن الرابع قبل الميلاد وبالتالي فان مجازات توجهت نحو
المغرب خاصة ليبيا ومنها الى قوطاجة وحواضر المغرب الكبرى . فحافظ هؤلاء
المهاجرون على اللسان الاغريقي المسيطر عليهم ولكون الاغريقية هي لغة التمدن
والحضارة والرقي فاستعملوها الطبقة الغنية والموسرة على نطاق واسع مما يبين
كثرة النقوش اليهودية باللغة اليونانية .

أما عن الاسماء التي أعظمها لاتيني (90) فهي ليست معيارا قويا وحاسما
في المسألة ، على الرغم من كونها تدل على انتماء طبقي (91) تلك الطبقة التي
ربطت مصالحها بالمصلحة الرومانية بعد كل هذا لا يمكن ابعاد التفسير
القائل بحدادتهم النسبية في المغرب وحلولهم به بعد انتشار اللغة اللاتينية
على نطاق واسع (92) .

بعد أن سقطت قوطاجة سنة 146 ق م في أيدي الرومان ، وفرض هؤلاء
سيطرتهم على منطقة برقة التي أصبحت تابعة للدولة الرومانية اثر وفاة بطليموس
أبيون (93) ابتداء من سنة 95 ق م . استمرت روما تعامل اليهود معاملة حسنة ،
وحققتهم من السكان الاغريق الذين يكون الحقد والكراهية لهم منذ الفترة الاولى
من حكم البطالمة .

فلا تثار شك هذه الحقيقة ، اذ عثر على عمود من المرمور الابيض في منطقة
برقة باللغة اليونانية يمجّد محتواه الوالي الروماني على معاملته الانسانية
 لليهود (94) . كما أن الوثائق التاريخية شرحت الحرية التي كانوا يتمتعون بها ،

(89) — شنييتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 199 .

(90) — أنظر : Mièses, Les juifs et les Établissements puniques, P.135.

(91) — أنظر : Le Bohec. Juifs et judaïsants dans l'Afrique Romaine, P. 216.

(92) — شنييتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ص 199 .

(93) — بطليموس التاسع الملقب أبيون (APION) هو ابن بطليموس الثامن ملك
مصر من سنة 116 ق م . الى 96 ق م ولم يدخل ضمن عائلة البطالمة

لانه ابن غير شرعي .

(94) — أنظر : D'AVEZAC, l'Afrique, pp. 122-123, Cahen, les juifs dans l'Afrique Septentrionale, pp. 8-10.

والدعم المغنوي الذي قدمه لهم القيصر أغسطس (Cesar Auguste) (95) للحفاظ على قوانينهم وعاداتهم ، وإرسال الأموال التي بيت المقدس وإزالة الحقوق بالمذنبين ، ومصادرة أملاكهم في حالة سرقة أموال اليهود وأمتعتهم (96) .

ويبدو تأثير طبيبه الخاص اليهودي بارزا في عملية الحماية هذه . لان الجاليات اليهودية تستعمل الوساطة ، وتحمل على إرشاء أهل الهل والعقيد للوصول الى أهدافها . وتدخل الطبيب " موزا (Antonius Musa) في مثل هذه الظروف . والحاج لارضاء يهود ليبيا . لان القيصر على ما يظهر لم يكن متحمسا لليهودية كما يتراءى للمبعض ، فقد هنا جفده قايوس (Gaïus) لعدم تقديمه قربانا في بيت المقدس أثناء زيارته للمشرق (97) .

هذا عن علاقة الرومان باليهود قبل حملة تيتوس ، أما بعدها فان الاوضاع تغيرت تماما . فاليهود بعد تخطيم معبدهم ((كانوا قد تفرقوا بين مدن العالم في جاليات متخلقة على نفسها ذات سمعة خاصة في تدبير المكائد والفتن)) (98) . وذلك بدأ بدأت المواجهة بين اليهود وروما في كثير من مناطق العالم .

وقد كانت أرض المغرب ، خاصة منطقة برقة ، ميدانا للصراع مباشرة بعد انتهاء حملة تيتوس سنة 70 م أثناء حكم والده فسباسيان (VESPASIEN) . فرت جموع كبيرة من اليهود المتطرفين الى الاسكندرية ، وهناك حاولوا القيام بثورة ، غير أن السلطات وضحت حدا لأعمالهم . فهربوا نحو مدينة قورينة لاثارة يهودها . وترجم الحركة جونتان (Jonatas) الحائك الذي استطاع أن يجمع حولهم الفين من الثائرين متخذ الصحرأ مقرا له . ولكن تصدى لهم حاكم المدينة الروماني كاتا للوس (Catallus) بكل قوة وعنف حيث تمكن من القضاء على

(95) - ليس هذا غريبا لان طبيب أغسطس يهودي يدعى انطونيوس موزا (Antonius Musa) بواسطته . تصرف على أشياء كثيرة تتعلشق بدايانة اليهود وبالتالي كان أثر طبيبه واضحا أنظر

Suetone, Vies des 12 Césars, Introduction, Traduction, et notes de Pierre Grimal, Livre de Poche, N° 718, France, Librairie Générale Française 1974, P.P 140-141.

(96) - أنظر Cahen, Les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, P. 11.

(97) - أنظر Suetone, Vies des 12 Césars, P. 150.

(98) - مجهول ، تاريخنا ، ج 3 ، ص 179 .

الثورة ، وأسر قائد ها ، وسلمه الى الامبراطور فسباسيان (VASPASIEN) (99) .
وهذه الثورة لم تقف عند هذا الحد ، بل كان لها أثر عظيم في علاقة
اليهود بالرومان . فالمؤرخ اليهودي يوسفوس أكد بأن جوناثان اتهم أغنياء
اليهود بتدبير الثورة وذلك قصد تأخير معاقبته وريح الوقت (100) والانتقام
منهم لعدم موازرتهم له . غير أنه لا يمكن استبعاد هذه الحقيقة ، لأن الثورة
قامت مباشرة بعد تحطيم معبد اليهود في بيت المقدس ، كما كان لليهود قورينة
بيعة في الاراضي المقدسة . فليس من الغلو الأخذ بهذه الرواية كانتقام لما حدث
في المشرق ، مما أثار شعور الغضب والانتقام لديهم .

ومن نتائج هذه الحادثة فساد العلاقة بين اليهود والرومان . فالوالي
الروماني قتل حوالي ثلاثة آلاف من اليهود ، وصادر أملاكهم (101) للانتقام ولوضع
حد لموازمات ودسائس اليهود الذين يحاولوا الاثراء على حساب الغير ، كما اتهمهم
بذلك سكان قورينة من الاغريق . فاليهود لا يتورعون عن هذا الاخلاق ، وبهذا
الشعوب الاخرى ، همهم الوحيد جمع الاموال ، والاستيلاء عليها بأي طريقة كانت .
ان التلمود — كتابهم الديني — يبيح لهم مثل هذه الاعمال اذ جاء فيه ((حياة
غير اليهودي ملك لليهودي فكيف بأمواله)) (102) .

وعاود اليهود الثورة ضد روما في بداية القرن الثاني بعد الميلاد . ففي
عهد الامبراطور تراجان (TRAJAN) * وهي أعنف الثورات لانها شاملة
غدت مد طقة برقة ، وتجاوزتها للمناطق المحيطة بها ، ثم امتدت الى مصر
وقبرس ، وما بين الدهرين وأنطاكية (103) .

(99) — أنظر : D'AVEZAC, l'Afrique, pp. 125-126 Cahen, les Juifs dans l'Afrique, P 12.
Chouraqui, Marche vers l'occident, P. 23.

بحيوة، المشروع الصهيوني ، ص 28 ، مجهول ، تاريخنا ج 3 ص 133 .
D'AVEZAC, l'Afrique, P. 126.

(100) — أنظر : Ibid, P. 126.

(101) — أنظر :

(102) — عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، بيروت
المكتب الاسلامي ، 1979 ، ط 3 ، ص 74 .

* — عن أوضاع اليهود اثناء حكم تراجان ، راجع يوسفوس ، تاريخ الكنيسة ص 166 —
161 .

(103) — مجهول ، تاريخنا ، ج 3 ص 133 .

اجتاح في بداية الامر منطقة قوزينة (Cyrene) متخذة في ظاهرها شكل صراع بين اليهود والاغريق ، ثم تحولت الى ثورة غارمة ضد الوجود الروماني تحت زعامة أندري (André) (104) حيث حطم الثوار كل ما وجد في طريقهم بمنطقة برقة .

وقد صور ديون كاسيوس (Dion Cassius) (105) وحشية وشراسة اليهود اذ ((انهم كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ، ويصنعون من أمجائهم أحزمة يتنطقون بها ، ويلدخون أجسامهم بدملهم ، ويسلخون جلودهم ويتخذونها ملابس لهم . وأنهم عمدوا الى كثير من مذبحة فسططوهم شطرين من رأسهم الى أسفل ، وألقوا بأخريهن الى الوحوش المفترسة ، وأرغموا الكثيرين على مصارعة بعضهم بعضا ، كما يفعل المصارعون . وقد بلغ عدد اهلكهم اليهود من الاغريق والرومان من سكان البلاد اثنين وعشرين ألف نسمة)) (106) .

وبعد نجاحهم في برقة زحفت الجموع اليهودية الى مصر للاستيلاء على مدينة الاسكندرية . ولكنهم فشلوا في اقتحامها ((فانتشروا في بقية البلاد ينشرون فيها الدمار والفساد ، ويساعدون اخوانهم يهود مصر الذين اشتركوا في الثورة على السلطات الرومانية في مصر)) (107) .

لقد دمر اليهود كل شيء أثناء الثورة وامتد ايدها الى مصر ، اذ تجاوزت أعداد الضحايا المصريين ضحايا منطقة برقة (108) مما يدل على الشراسة والكرامية والحق الذي يحمله اليهود في صدورهم على جيرانهم ، وعلى السلطات الرومانية . حدث كل هذا والامبراطور تراجان (Trajan) مشغول في حربه ضد البرثيين (Les Parthes) (109) ولما انتهى مهمته منهم ، اشتغل بالثورة ، فارسل جيشا عظيما يتكون من المشاة والبحرية والخيالة تحت قيادة ماركوس موريو (M. Turbo) (110) الذي استطاع أن يقضي على ثورة اليهود في برقة سنة 113م بعد أن استمرت ثلاث سنوات .

(104) - اختلف في اسم زعيم الثورة فمنهم من قال " اندري " ومنهم من قال تحت زعامة " لوكاس " () ، أنظر

Cahen, Les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, P. 15.

(105) - ديون كاسيوس: مؤرخ ولد في نيقيا حوالي 155م وتوفي حوالي 235م . كتب بالاغريقية تاريخا للرومان .

(106) - نقلا عن بعير ، المشروع الصهيوني ، ص 31 .

(107) - نفسه ، ص 32 .

(108) - مجهول ، تاريخنا ، ج 3 ، ص 133 .

(109) - أنظر Michel. Rouche, Les empires universels. 2-4 siècles, livre de poche, Paris Larousse, 1968, P. 42.

D'Avezac, l'Afrique, P. 127.

(110) - أنظر:

لم يحدد الذين كتبوا عن هذه الثورة الاسباب الحقيقية الكامنة وراءها . فاكثف أحد هم بقوله ((ان الاسباب مجهولة)) (113) . ولكن من خلال التنظيم الواضح ، واختيار الوقت المناسب أي أثناء انشغال تراجان بحروبه الخارجية ، وادتشارها بسرعة ، وشموليتها ، وضرواتها ، تؤكد أنها مؤامرة يهودية مبيتة ذات أهداف واضحة ، شارك الربى أكيب (RABBIN-AKIBA) في بلورتها مع بقية اليهود الناقصين على السلطات الرومانية التي لم تستجب لمطالبهم في هذه المرة ، ولم تعرض لضغوطهم .

وبانتهاء الثورة وقمعها دموي (112) انتهى دور يهود منطقة برقة . وبالتالي انتقل مركز القوى لديهم في الشمال ما بين السرت والمغرب الأقصى خاصة قرطاج وكذلك شرشال التي ازدهرت بها جالية يهودية في عهد يوبا الثاني كما وصفها ابن أشدهو بقوله (113) ((كان اليهود كثيرين بشرشال في عهد يوبا يتعاطون التجارة والحرف وكان لهم معبد كبير (ARCHI-SYNAGO) على رأسه حاخام ذو أهمية يدل ذلك على كثرة عددهم والحال انهم كانوا يتمتعون بكل حرية للقيام بشعائهم لما كان ليوبا من الصلف عليهم)) (114) .

(111) — أنظر: Cahen. Les juifs dans l'Afrique Septentrionale

(112) — Rouche. les Empires Universels, P. 42.

(113) — عبد الحميد بن أشدهو، الملك العالم يوبا الثاني وزوجه كليوباترة سليمان ، الجزائر ، وزارة الاخبار والثقافة ، مديرية الثقافة ، 1971 ، ص 41 .

(114) — يوبا الثاني حكم من سنة 25 ق م حتى 23 بعد الميلاد ، حمل الى روما وهو صغير بعد انهزام والده يوبا الاول . قامت بتربيته أخت الامبراطور الروماني أكتا فيوس ، وبعد أن شب كلف ونصب ملكا على موريطانيا وقد كان مجرد منفذ لاوامر الرومان مما اتاح لهم التفلسل في المغرب أكثر ضمن سياسة الرومنة . كما شارك في قمع الثورات التي قام بها المغاربة كالتدخل ضد الموزولامسي وأيضا ضد تافارناس . ولم يكن الانتظار منه أقل من هذا من أحد صنائع الرومان . تزوج بيهودية تدعى قلافييرة ، واتخذ من أوفرب اليهودي طبيبا وهو ما يشرح عطف يوبا الثاني على اليهود ، ووجود عدد كبير منهم في عاصمته ، أنظر: ابن أشدهو، الملك العالم ص 25 ، 26 ، محمد البشير شنيته ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا ، الجزائر ، شون ت ، 1982 ، ص 82 .

MAHFOUD KADDACHE, l'Algérie dans l'Antiquité, Alger, SNED, 1972, pp. 103-104.

والمسألة التي يمكن التوقف عندها هي عدم مشاركة اليهود في قرطاجة وكذا في منطقة قيصرية في الثورة ضد الرومان . هل وضحيتهم في هذه المناطق لا تسمح لهم بالتجاوب مع الثورة ؟ أم أن عددهم يعتبر قليلا بالمقارنة مع عدد اليهود قورينة وبالتالي رفضوا الدخول في معركة خاسرة مسبقا ؟ أم أن هناك صراعا أو تجاقبسا بين الجاليين ؟

إن الاشارات التاريخية تشير الى مجيء الربى أكينة الى المغرب وبالمغرب الى منطقة قرطاجة وذلك حسب التلمود (115) فالرجل يعتبر من بين أعظم الشخصيات اليهودية تأثرا في الأحداث إذ يربط البعض بين قدومه للمغرب وتزامن الثورة ضد الرومان . فوجوده يعني إثارة العناصر اليهودية بالمغرب ، غير أنها نظرت الى الأحداث دون المشاركة فيها مشاركة عملية .

وفي الواقع لا يمكن الإجابة على هذه التساؤلات في الوقت الحاضر لقلية النصوص التي تتعلق بهذه القضية ، ولكن الشيء المؤكد هو أن يهود قرطاجة ونوميديا أقل عدد من الجالية الضخمة في برقة . وعلى ما يبدو أكثر استقرارا ، وتقربا من السلطات الرومانية التي منحهم إدارة شؤونهم بأنفسهم ضمن القواليين اليهودية .

أما عن علاقة اليهود بالمسيحية (116) في المغرب فهي علاقة عداوة وتصادم على الرغم مما قيل عن انتشار المسيحية في بداية الأمر في أوساط الجالية اليهودية (117) .

لقد قام اليهود بدور خطير في اضطهاد المسيحيين في أوروبا وبصفة خاصة في روما متصددين للدين الجديد ((ووصفوه بأنه الدين الجديد الذي يسعى الى تخريب مبادئ التلمود باموسهم الاساسي الذي لا تقل قدسيته في نظرهم عن العهد القديم (118) . وقاموا بشن حملة من التهم والافتراءات على مؤسس المسيحية وحوارييه وتلاميذه تستهدف تصفيتهم والحق من قدسيته (((119) .

ص ١٠٤

(115) — Chouraki Marche P. 23 et note N 3.

(116) — عن انتشار المسيحية بالمغرب ، أنظر ، شنياتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ص 265 — 268 .

(117) — أنظر : Paul. Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique Chrétienne, depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe, Paris, Ernest Le Poux, 1901, T1, P. 9.

(118) — العهد القديم يسمى التوراة وبالعبرية ((تورة)) ومعناه الهدى والارشاد يتكون من 39 سفر ، وهو الاسفار المقدسة التي ظهرت قبل السيد المسيح عليه السلام ، أنظر ، سوسة ، مفصل المغرب واليهود ، ص 330 وما يليها .

(119) — محمد يحيى عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 3 .

وكما هو الشأن في أوروبا ، كان الوضع نفسه في المغرب . فقد أثار اليهود المناصر الوثنية في وجه المسيحيين لاضطهادهم (120) ومضايقتهم مثلما أكد طردوليانوس وقد نشطت الدعاية اليهودية لتوقيف تيار المسيحية الجارف .

ولم يكتف هؤلاء بالعمل الدعائي المباشر وغير المباشر ، وبالجدل الديني ، بل تجاوزوا حدود اللقاقة مستعملين الأساليب الساخرة والتهكمية التي تميز شخصية المسيح عليه السلام . ومن هذه الأساليب تحمل أحد اليهود في شوارع مدينة قرداجة صورة كاريكاتورية للمسيح في ثوب فضفاض وأقدام ظلفاء ، يحمل كتابا . وقد كتب بجانب الرسم ((رب المسيحيين ينام مع الحمير)) (21) .

ومقابل هذه الاعمال نشط المسيحيون للدفاع عن انفسهم ونصرة دينهم . ومن بين المدافعين طردوليانوس الذي ألف كتابا بعنوان ((ضد اليهود)) ما بين 200 و 206 م (122) للرد عليهم ، ودحض حججهم ، وبين مواقفهم المضادة للمسيحية . كما ألف كتابا آخر يحذر أكثر شهرة ((L'APOLOGIQUE)) للدفاع عن المسيحية ومحاولة توطيد أركانها ونشرها بين الناس .

قال طردوليانوس عن اليهود ((ان عماء اليهود يبدون في طموحهم وكبريائهم لانهم يحملون دائما بالعظمة الدنيوية)) (123) . انه هنا يتوغل في أغوار نفوس اليهود مؤكدا حقيقة ما يتمناه اليهودي من المتاع والمال في الحياة الدنيا . ان التلمود يوضح مدى سيطرة فكرة حب الثراء لديهم بعد ظهور المسيح المنتظر . ((وفي ذلك اليوم تكون الامة اليهودية غاية في الثراء لانها تكون قد ملكت كل أموال العالم)) (124) . فهمم الاوحد جمع الاموال في الدنيا وبأي وسيلة كانت ولو وضيعة ، وقد ابرز أحد الكتاب المعاصرين هذا الموقف ((ليس في تاريخ البشرية أمة اشتهرت بحب المال والسعي الى جمعه كما اشتهر به اليهود فقد سلكوا في ذلك كل الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى ما كان بعيدا عن الصورة ...)) (125)

Monceaux, les Colonies Juives, P. 161.

(120) — أنظر:

Ibid, P. 174.

(121) — أنظر:

Eisenbeth, les Juifs, P.7.

(122) — أنظر:

Monceaux, les Colonies Juives, P.175.

(123) — أنظر:

(124) — سليمان مظهر، قصة الدياللات ، دار الوطن العربي ، دون تاريخ ، ص 376 .

(125) — عفيف عبد الفتاح طيارة ، اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين

1982 مج 9 ، ص 32 .

وعلى الرغم من الفارق الزمني فإن سلوكيات اليهود لم تتغير، فعبادة المال هي الأساس لديهم، مما حدا بالسيد المسيح أن يخاطبهم بقوله ((لا تعبدوا ربين : الله والمال)) (126). ويشير ("ول ديورانت" إلى ظاهرة حسب اليهود للجانب المادي المتمثل في الحياة الدنيا ((أن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء من الخلود، وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا)) (127).

كما دافع عن المسيحية ضد اليهود "مينيوس فلكنس" (Mimucius Felix) وأسقف قرطاجة "كيريانوس" (CYPRIANUS) (128) والشاعر "كوموديان" (Commudian) و "سان أغستان" (Saint-Augustin) أسقف بونسية (129) الذي قام بدور عظيم في سبيل اثبات الحقيقة المسيحية. كما كتب رسالة عن اليهود (Tractatus adversus Judaeos) وكتبها يحمل عنوان ((حوار حول نزاع المسيحية واليهودية)) يشرح فيهما الخلاف القائم بين الديانتين وجواب عديدة من الجدل الديني (130).

إن هذا التراكم الكبير للأدب المسيحي ضد اليهود يوضح مدى الدور الخطير الذي لعبه هؤلاء في الوقوف ضد انتشار الأفكار المسيحية بين السكان المغاربة وبين اليهود أنفسهم، ومحاولة زرع الشقاق بين العناصر السكائيسية مما ((يؤكد صفة الايحاء المتأصلة في اليهود منذ القدم والمتمثلة في إثارة الآخرين ضد بعضهم قصد اضيافهم وتكريس العداوة بينهم كي يخلو لهم الجو وينصرف عنهم اهتمام أعدائهم بهم)) (131).

وعلى الرغم من الدور الذي قام به هؤلاء اليهود المتمسكون بالدين، فإنهم لم ينجحوا في إخماد نار الفتن التي أوقدها هؤلاء المسيحيون، بل على العكس، فقد ازدادت حدة الفتن، مما جعلهم يضطرون إلى اتخاذ تدابير جديدة لمواجهة هذه الفتن. وقد ورد في كتاب "الحياة المسيحية" (132) أن كيريانوس، ولدا جوالي 218م، نشر الحقبة، تخاطب إلى الصحابة في قرطاج، إلى رداً على أسقف، ألف 12. تأليف في العلوم الدينية، قتل عام 253م. وقد أبعده أن يبال من الخراب الاليم على سبيل الحقيقة المسيحية.

(129) - سان أغستان (354 - 430م) ولد قرب عنابة، تلقى تعليمه بمسقط رأسه، ثم مد أورو، التحق بقرطاجة فأم تعليمه الحالي. سافر إلى روما حيث درس بها. ثم عاد إلى المغرب وهناك تولى أسقفية عنابة. من آثاره في الحقيقة المسيحية وفلسفة التاريخ ((الاعترافات)) و ((الحقيقة المسيحية)) و ((التالوث)) و ((مدينة الله)).

(130) - أنظر: Monceaux, les Colonies Juives, PP.180.182.

(131) - شيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، ص 193.

إن هذا التراكم الكبير للأدب المسيحي ضد اليهود يوضح مدى الدور الخطير الذي لعبه هؤلاء في الوقوف ضد انتشار الأفكار المسيحية بين السكان المغاربة وبين اليهود أنفسهم، ومحاولة زرع الشقاق بين العناصر السكائيسية مما ((يؤكد صفة الايحاء المتأصلة في اليهود منذ القدم والمتمثلة في إثارة الآخرين ضد بعضهم قصد اضيافهم وتكريس العداوة بينهم كي يخلو لهم الجو وينصرف عنهم اهتمام أعدائهم بهم)) (131).

ولم يقتصر موقف المسيحيين في الرد على اليهود كتابة وجلاء وانما تدخلت السلطات العليا الكنسية في المجامع الدينية لوقف اليهود عند حد هم ففي مجمع "الفير" (ALVIRE) باسبانيا، والذي شارك فيه المسيحيون من المغرب سنة 303م (132) وجه نداء للمسيحيين بغد الاختلاط باليهود في السكن والأكل، والا يسمحوا لرجال الدين اليهود بمباركة محاصيلهم الزراعية مثلما تعودوا من قبل (133). وعلى ما يبدو ولم يؤخذ هذا النداء بجدية لان المشاركة في المجلس اقتضت على رجال الدين المسيحيين في اسبانيا والمغرب دون غيرهم لتركيته من طرف الجميع، وليسبع هذا الاجراء خاضعا لرقابة صارمة من كل المسيحيين.

غير أن هذه الوضعية لم تستمر، إذ تغير الموقف تماما بعد احتياق الامبراطور "قسطنطين" المسيحية سنة 312م وأصبحت الديانة الرسمية هي المسيحية. فعمل على توحيد الديانة في أرجاء الامبراطورية تحت اشراف الدولة.

أما عن علاقة اليهود بالمسيحيين في عصره، فقد اتخذ مجلس أنطاكية (LAODICEE) (134) المنعقد سنة 320م قرار يمنع الحصول على الهدايا والاعطيات من اليهود، كما منع الاختلاط بهم، واقامة علاقات بين اليهود والمسيحيين مهما كان نوعها، غير أن أبواب الكنائس لم تغلق في وجوههم نهائيا، إذ بإمكانهم الاستماع الى قراءة الانجيل (135) وتعليم رجال الدين (136) فقط، حتى لا يتعرف اليهود على أسرار اقامة الشعائر الدينية ويتخذونها وسيلة للسخرية منهم، وهذا في كنف الصراع الديني، والجدل المستمر بين اليهود والمسيحيين. وقد يكون هذا التساهل من المسيحيين محاولة جذبة من اليهود وادخالهم في المسيحية عن طريق الترفيب.

-
- (132) أنظر: Cahen, les Juifs dans l'Afrique septentrionale, P.18.
 (133) محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الاندلس، ص 14. Cahen, op, cit, P.18.
 (134) - لاوديسي (LAODICEE) مدينة باسيا المخرى على الساحل السوري وتدعى اليوم انطاكية.
 - أورد المورخ "يوسابيوس" رسالة أمر فيها الامبراطور رجال الكنيسة بالكف عن التدخل في الشؤون السياسية، راجع تاريخ الكنيسة، صص 462-463.
 (135) - الانجيل، كلمة يونانية تعني البشارة أي بشرى بقدوم المسيح، والانجيل مجموعة أعمال المسيح وأقواله تحتوي على أربع وائيات وصحفا كل من متى ويوحنا، ولوقا ومرقس، للتوسع أكثر، راجع محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، تقديم الدكتور عمار طالبي، وتعد ير الشيخ محمد الخزالي، الجزائر شركة السحاب، 1989، صص 112-140.
 (136) - أنظر: Cahen, op, cit, p.18.

وفي مجمع نيقيا (NICEE) * المصنف سنة 325 م بدعوة من الامبراطور قسطنطين خدام المسيحيين خدوة أخرى للاتحاد عن اليهود حيث منع على رجال الدين والعامة من الاكل معهم (137) . وهذه الاجراءات تدخل ضمن السرد على اليهود بسبب المشكلات التي اتاوموا أمام المسيحية ولعزلهم عن المجتمع الذين يعيشون فيه . كما هي على ما يبدو محاولة لاجراج اليهود الذين يخفون لتصرهم ، وتشجيع اليهود على اعتناق الدين الجديد .

وفي الحقيقة ، ان الامبراطور المسيحي لم يكن قاسيا ومتشددًا على اليهود مما سمح للكثيرين منهم بالحفاظ على ديانتهم ، ولعل هذه المضايقة تهدف بالسماح للديانة المسيحية التعبير عن حقيقتها في جو خال من المنافسة ، خاصة وأن الجدل المذهبي بين المسيحيين أنفسهم قد وصل الى درجة كبيرة من الحرارة والشدة ، ان لم نقل العنف ، (138) على الرغم من سياسة التوازن التي انتهجها الامبراطور .

ولما خلف " قسطنس " (Constance) (139) " قسطنطين " أصبحت الاجراءات أكثر شدة من الناحية الاجتماعية على اليهود وذلك بمنع الزواج بينهم وبين المسيحيين ، كما منعهم من امتلاك العبيد المسيحيين ، ومحاكمة المرتدين من اليهود بمصادرة أملاكهم (140) .

ان مسألة منع اليهود من امتلاك العبيد لها جانب اقتصادي ، اذ بواسطته يمكن ضرب مصالح الاثرياء الذين يملكون اعدادا كبيرة من هؤلاء عن طريق تشجيع العبيد المتصرين للخروج من وضعيتهم الاجتماعية البائسة ، وأيضًا ضرب مصالح تجار الرقيق من اليهود . وبالتالي بدأ الجانب الاقتصادي يمتزج ويتداخل بالعامل الديني ، واتخاذ وسيلة من وسائل الضغط ضدهم ، خاصة اذا عرفنا طغيان سلطان المادة على الروح في عرف الازداد اليهودية . ويصف زعيم المادية " كارل ماركس " هذه الظاهرة بقوله ((ان اله اليهود اله علماني ، وهم يعبدون المال ونصبوه الالهة ، والمتاجرة هي ديانتهم الحقيقية ، وبجانب المال لم يهتموا يعيش بينهم اله آخر)) (141) .

René Metz, histoire des Conciles, Paris, _____
P.4.F, (que sais-je?), n)11 & 1964, PP 20-22 * عن انعقاد هذا المجمع أنظر:

(137) - أنظر : Cohen, les juifs dans l'Afrique Septentrionale, p.19.

(138) - يتمحور الجدل بين مختلف المذاهب على طليحة المسيح فالاريسوسية .

تكرر ألوهية المسيح على أساس نكران صفة الشبه بين الاب والابن واعتبرت

ان ابن الله ليس الا مخلوقا ، راجع ، السيد الباز الحربي ، الدولة

البيزنطية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1962 ، ص 32 .

(139) - قسطنس (Constance) تولى شؤون الامبراطورية من 351 - 361 م .

(140) - أنظر:

(141) - عبد المنعم الحفني ، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، بيروت دار المسيرة

لقد كانت ثورة اليهود بقورينة ضد الرومان كما رأينا مؤامرة يهودية ضد الرومان . ويحلل بعضهم الحلف بوحدة المصلحة في القضاء على الوجود الروماني والأفريقي في المنطقة . غير أن هذا التفسير يدور لهذه القضية من جانب واحد . ينحصر في وحدة المصلحة الآنية .

ولا بد من النظر إلى الجانب الآخر ليكتمل الطرح الحقيقي . فالصراع يجمع الجانب سواء كانوا روماناً أو أفريقاً أو يهوداً ، فهم بالنسبة للمفريي دخلاء ، فلماذا التحالف مع طرف محين دون الآخرين ؟ ماذا يربح الإنسان المفري بانتصار أحد هؤلاء على الآخر ؟ وبالنسبة له التصارع بين القوى الثلاث هو في الأصل لصالحه . وبالتالي فإن القول بالتحالف مع اليهود بجانب الواقع السياسي المطروح في تلك الفترة على أرض المفرب .

وعرفنا كيف أن اليهود يتعاملون على بقية الشعوب باعتبارهم شجب الله المختار ، فالتمود يوضح ذلك جيداً وبصورة جلية ((الشرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبقيّة الشعوب)) (142) هذا بالنسبة للشعوب بما فيهم المغاربة . ولكن ما هي نظرة التلمود لسكان المفرب ؟ يجيب على هذا السؤال بكل وضوح ((أن سكان المفرب شجب من المجرمين)) (143) . أن هذه النظرة المتعالية المستمدة من النصوص الدينية لا يستطيع اليهود إخفاءها عن وجوبه المغاربة ، وأن خفيت فليس لمدة طويلة . فسلوكات اليهود اليومية المتمثلة في الاحتقار والابتزاز ستظهر على السطح لا محالة مهما طال الأمد . مما يجعل الإنسان المفري يبتعد عن اليهود وهو ما يسقط أطروحة التحالف المزعومة ، والملفقة .

ومن خلال الأحداث التاريخية عرفنا أيضاً كيف أن اليهود اضطهدوا المسيحيين ومنهم دون شك المغاربة . أن هذا الاضطهاد يزيد في تعميق الهوة لأن المسيحية في نظر المغاربة هي الرفض للوجود الروماني في بداية الأمر أي قبل أن تنتصر السلطة ، ثم تحول إلى تيار رافض للدولة الرومانية بعد تنصرها والذي تهاور بوضوح وجلاء في الحركة الدويلية التي اعتمدت على الطبقة الفقيرة . وعلى المتصورين من الوجود الاستعماري الروماني .

(142) — مظهر، قصة الديانات ، ص 376 .

(143) — والنسب الوارد كما هو لدى المؤلف بالفرنسية

وعلى كل ليست هناك نصوص واضحة وصريحة تبين مدى علاقة السكان
المخارية باليهود سوى الجانب الديني (144) الذي يجب إعادة النظر فيه
بصورة جدية لتوضيح بحد الاثر اليهودي ، حتى لا يبقى مطية للصهيونية ومن يدور
في فلجها .

(4) - اليهود في العهد الوندالي :

انقسمت الامبراطورية الرومانية سنة 395م الى قسمين بين ابني ثيودوسيوس
فكان من نصيب " أركلديوس " الشرق و " هونوريوس " الغرب . وفي بداية القرن
الخامس الميلادي أصبحت الامبراطورية تعيش في حالة ضعف واضمحلال من جراء
الانقسامات الدينية والفتن الداخلية مما سمح للشعوب البربرية التحوش بها (145) .

في هذه الاونة استولت اقوام المتبربرة ومنهم الوندال الدخول الى
اسبانيا الذين بقوا ينتظرون الفرصة المناسبة للاستيلاء على المغرب قصد الاستفادة
من خيراته الزراعية (146) الوفيرة التي عرف بها منذ العهد الروماني .

وجاءت الفرصة المنتظرة من " بوليفاس " القائد الروماني بالمغرب والذي
اختلف مع القصر الامبراطوري . فاستجد بهم ((وهكذا بدأ اكتساح الوندال
الحقيقي لافريقيا عن طريق طنجة وسبتة سنة 429م في جيش لا يقل عدده عن
ثمانين ألف)) (147) زارعين الدمار والخراب في طريقهم .

(144) - يعتمد هؤلاء الذين يسلمون بالاثار الديني على بعض الاسماء وعلى
بعض العادات اليهودية التي انتشرت بين السكان المخاربة . ولكن هذه
الظواهر ليست دليلا قاطعيا على اعتناق اليهودية والتأثر بها . فالى
وقت قريب توجد الكثير من العائلات التي تستعمل الوشم وهي عادة قديمة
للتفريق بين المسيحي الذي يحمل علامة الصليب والوثني ، وعلى الرغم من
بعد الزمن وهي بعيدة كل البعد عن المسيحية . وكذا بعض العادات
الاخرى كالاحتفال بالاعياد وما شابه ذلك .

(145) - السيد عبد الميز سالم ، المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، بيروت ،
دار النهضة العربية ، 1961 ، ج 2 ، ص 2 .

(146) - نفسه ، ص 2 .

(147) - ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، دار الرشاد
الحديثة ، 1934 ، ط 2 ، مج 1 ص 63 .

وفي تلك الاثناء عاد "بوليفاس" ليحارب الوندال الى جانب الرومان ، فاعتصم في مدينة عنابة ينتظر المدد . فضرب عليه "جنسريك" حصارا دام حوالي عاما ونصفا . وفي النهاية عقدت هدنة بين الوندال والرومان سنة 435 م تمكن بمقتضاها الوندال من الحصول على الاستيطان بافريقيا في مقابل دفع ضرائب خفيفة غير أنهم خرقوا الاتفاق واستولوا على قرطاجنة سنة 439 م . ورغم المحاولات الرومانية لاسترداد مناطق نفوذهم ، فقد باءت بالفشل . مما جعل في نهاية الامر الامبراطورية الغربية أن تعترف بسيادة الزعيم الوندالي سنة 476 م (146) .

لقد رحب اليهود بالوندال ، لان هؤلاء شفتعوا بحرية تامة لاعتبارات دينية مذهبية ، حيث يتمسك الوندال بالمذهب الاريوسي ، مما سمح لهم باضطهاد بقية المذاهب المسيحية الاخرى ، وهو ما يساير سياسة اليهود المتمثلة في سياسة فرق تسد . بالاضافة الى أن هذه الاضطهادات جرت بموافقة اليهود عليها (149) !

لم يجد النازحون الجدد الى المغرب مقارمة تذكر من طرف اليهود . لذلك حاربوا المسيحية أكثر مما حاربوا اليهودية (150) وهو ما يفسر تسامح الوندال معهم . فالنصوص خالية من الاشارة لليهود ، خاصة الجوانب المتعلقة بمحالاتهم بالوندال .

وفي ظل هذا التسامح والحرية المطلقة ، مارس اليهود نشاطهم الاقتصادي المعتمد أساسا على التجارة والصناعة دون مضايقة أو خوف (151) .

ان اهتمام الوندال بالمسيحيين والتكليف بهم ، حيث ((صادروا كنائسهم وما فيها من كنوز وتحصيف)) (152) ، سمح لليهود بأداء شعائهم الدينية بكل حرية . نتيجة تحول اهتمامات المسيحيين عنهم ، للاشتغال بأنفسهم ، والبحث عن وسيلة للخروج من وضعيتهم المحرجة .

(143) — نفسه ، ص 63 — 64 .

(149) — الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ج 1 ، ص 95 .

Cahan, OP. Cit, P.21.

Ibid, P.22

(150) — أنظر :

(151) — أنظر :

(152) — سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 35 .

فان كان السواد الاعظم من المسيحيين في المغرب قد انشغل بالوضعية الجديدة الناجمة عن السادة الجدد ، فان رجال الدين لم يتركوا جانباً الاهتمام بالصراع المسيحي - اليهودي ، فهذا أحد عم المدعو " كالسوس " (GELSUS) قد كتب في مقدمة رسالة لاهوتية مؤرخة في أواخر القرن الخامس الميلادي . . تحدث فيها عن تمتع اليهود الذي يفوق تمتع الوثنيين (153) .

هذه الكلمات لأحد رجال الدين المسيحيين الذين يعيشون اضطهاداً بشديداً على أيدي الوندال القساة ، تبين مدى أهمية دور رجال الدين للوقوف والتدبير باليه. حتى في أحلك أيامهم (154) .

(5) - اليهود في المهمد البيزنطي :

يمود تقزينا السبب المباشر لانتهاء الحكم الوندالي الى ثورات المفارقة الذين سيدبروا على موريطانيا الطنجية ، والقيصرية ، وموريطانيا السديفينسية ، وبومديا الجنوبية (155) . وفي عهد " هيلدريك " (HILDERIC) (156) استمرت الثورة ضد بقيادة " انطالاس " . فخلع " هيلدريك " من منصبه وأعلن " جليمار " (GELIMER) ملكاً على الوندال خلفاً له (156) .

وفي هذه الاثناء تدخل الامبراطور " جوستيان " ليطالب بارجاع الملك المخلوع الى عرشه لما بيدهما من صداقة ، غير أن " جليمار " (رد عليه رداً قبيحاً أثاره ، وجعله يفكر جدياً في محاربة الوندال واسترجاع المغرب . واستعادة أمجاد الامبراطورية الرومانية) (157) .

فجهز الامبراطور البيزنطي جيشاً بقيادة " بلزايزوس " (BELISAIRE)

(153) - Monceaux, Les Colonies Juives, P. 182.

(154) - ان الضربات التي تلقاها المسيحيون الكاثوليك على أيدي الوندال موجعة لها بعد سياسي وديني فحدد رجال الدين الذين نفاهم " هيلريك " الى الصحراء قد يبلغ : 4976 كاثوليكيا . وصم على ما بيدو من الذين رفضوا الاعتراف بالسلطة الوندالية فكان مصيرهم النفي والتهجير ، انظر :

D'AVEZAC , Afrique Ancienne, P? 214.

(155) - سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 23 .

Kaddache, L'Algérie dans l'Antiquité, P 208.

(156) - حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 65 .

(157) - سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 30 .

الذي استطاع أن ينتصر على الجيوش الوندالية في ممركتين حاسمتين قرب قرطاجنة (153) وبذلك عادت منطقة المغرب إلى الامبراطورية الرومانية وأيضاً إلى حظيرة الكاثوليكية (159) في سنة 533م بعد أن دام الحكم الوندالي حوالي مائة سنة لم يترك خلالها أثراً يسذكر.

بعد هذه العودة إلى سيادة الامبراطورية الرومانية في عهد " جستنيان " أتم الامباطور باعادة هبة الكنيسة الكاثوليكية ورد لها ممتلكاتها (160) التي انتزعت منها أثناء الحكم السابق .

ولم ينتظر الامباطور لا إصدار متجدد (NOVELLE) (161) يحمل رقم 146 يحدد فيه القاعدة القانونية الجديدة لمحاربة اليهودية (162) دون مواد ، وكذا بقبضة العقائد الدينية .

تضرب اليهود في عهد " جستنيان " بصورة خاصة ((انتقاماً منهم حيث أعانوا الوندال على مقاومة مذهب الروم فيما سبق)) (163) على الرغم من مساعدات الجاليات اليهودية قصد استعادة الأراضي الضرية حيث اعتمد عليهم البيزنطيون كطابور خامس (164) . ولعل اشتراك اليهود في انجاح مشاريع الامباطور يقصد منه الحفاظ على مصالحهم المادية والمعنوية وليست هذه المساعدة عفوية لشعورهم بضعف الوندال وتزدي أوضاعهم . /

والتضييق على اليهود ، ومجمل العقائد الاخرى يدخل ضمن سياسة " جستنيان " المتمثلة في ايجاد قانون واحد وعقيدة واحدة للحفاظ على كيان الامبراطورية كوحدة متكاملة في جميع الميادين تحت اشرافه ، باعتباره من أخلاف القيصرية السرومان ، وعلى عاتقه يعاد مجد الامبراطورية كما كانت في سيرتها الاولى .

١٥٣) — عن مارتين الممركتين ، أنظر ، عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 43 — 45 .

١٥٩) — د . ا . ل . فيشر ، تاريخ أوروبا ، المصور الوسطى ، تعريب محمد مصطفى زباد ، السيد الباز الحربي ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، 1976 ، ط 6 ، ص 48 .

160) — أنظر : Chouraqui , O.P. Cit, P.41.

161) — أن الشرائع الرومانية في عهد جستنيان مرتبة كما يلي : القانون (Codex) شرح الاحكام (Digest) أصول القانون (Institutes) المتجددات (Nouvelles) ، أنظر ، فيشر ، تاريخ أوروبا ، ص 55 .

162) — أنظر : Chouraqui , O.P. Cit, P. 42 , Eisenbeth, OP. Cit, P.7.

١٦٣) — الجيلالي ، نفسه ، ص 103 .

١٦٤) — أرشيبالد . ر . لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق فوال ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1960 ، ص 41 .

ومن أجل ذلك جارب اليهود وقيروهم متخذاً تدعيم الكنيسة الكاثوليكية وسيلة من الوسائل لتحقيق حلمهم . فمدوا بالدعم اللازم ، وبحثت الرسائل التبشيرية بهدف نشر المسيحية بين قبائل الدانوب والتوتاز وشمال افريقيا وحوض النيل (165) .

أما مدى الضرر الذي لحق بهم ، فقد أبعدوا من الوظائف العامة (166) في الدولة ، ومنعهم من مزاولة المهن الحرة ، كما أبعدوا من صفوف الجيش (167) الذي يعتبر أداة التدخل لفرض سُلطان القانون الجديد وقمع الثورات ، والفتن بالمناضين .

وتبعا لسياسة " جستنيان " حولت البيعة اليهودية الى كنائس ، ونُرى المنع على الديانة اليهودية ، وكل الاجتماعات (168) . وفي بعض الاحيان يحولسون بالقوة للديانة المسيحية ، مثلما حدث ليهود بوربون (BORION) في ليبيا (169) بعد فشل ثورتهم ضد السلطات المسيحية (170) .

وقد نصت اجراءات أخرى مثل منع التزاوج بين اليهود والمسيحيين بل تجاوز القانون أحيانا المنع الى القتل (171) قصد الابتعاد عن اللبس الذي ينجم من تكاثر مثل هذا الاقتران الذي يهدف في بعض الاحيان الى الهروب من القوانين السارية أو الجارية المفعول .

بفضل هذه السياسة التي انتهجها " جستنيان " مع اليهود ، انكشفت الجاليات حول نفسها . فهي لا تمكن في مثل هذه الظروف القيام بالثورة لان النهاية بالفشل تحلي التمسك ، أو الموت بالنسبة للمتعضيين الذين لا يلقون أسلحتهم . أو الاختيار المتمثل في الهجرة الاختيارية نحو مناطق أقل تمسكا بالقوانين الجارية وتدابيرها بصرامة مما أدى بالكثيرين الى اختيار الهجرة الى اسبانيا وايطاليا (171) .

(165) — العربي ، الدولة البيزنطية ، ص 101 .

Monceaux , O.P. Cit, P. 183.

(166) — أنظر :

Elisenbeth, O.P. Cit, P. 6.

(167) — أنظر :

Monceaux, O.P. Cit, P. 183.

(168) — أنظر :

D'Avezac, O.P. Cit, P. 140. 141.

(169) — أنظر :

Chouraqui, O.P. Cit, P. 43.

(170) — أنظر :

Mises, O.P. Cit, P. 82, Monceaux, OP, Cit, P. 183.

(171) — أنظر :

فان كانت الهجرة الجماعية مقبولة من الناحية التاريخية ، فلا يستبعد تنصير عدد كبير من اليهود في المغرب اثر صدور القوانين التي تضايقتهم .
لانه ليس من اليسر على كل اليهود الهجرة بعيدا عن المغرب ، خاصة الطبقات الفقيرة التي لا تملك الامكانيات اللازمة والضرورية للهجرة ، صوب البلاد الاوروبية التي تصح بالجاليات اليهودية العاطلة في الميدان التجاري بالمدن الكبرى كباريون ومرسيليا وأرل في فرنسا . واشبيلية وقادس وطليطلة وقرطبة في اسبانيا بالاضافة الى يهود نابولي في ايطاليا (172) .

وهذه الحقائق تدعو الى التسليم بتسرب بعض الافراد الى الداخل قصد الكد والعمل للحصول على لقمة العيش بعيدا عن المضايقات خاصة على دلول الطرق التجارية ، والمدن الداخلية ، وليس كما يذهب أو يعتقد البعض .
لنشر الديانة اليهودية بين السكان (173) والتحالف معهم لضرب القوى البيزنطية .
وفي نهاية القرن السادس للميلاد خفت الاجراءات الصارمة ضد اليهود .
فالامبراطور " موريس " (MAURICE) (174) منح تمسيح اليهود بالقوة . وأمر باعادة البيع الى أصحابها (175) في الوقت الذي أظهر فيه البابا " جريجوي " الاول (176) نوعا من التسامح تجاه اليهود في صقلية وسردينيا (177) .
يقابل هذا التزامن في تخفيف الوطأة على اليهود من طرف السلطات الدينية والدنيوية ، غليان وفوران في المغرب احجبتهما نار الثورة الكاملة فسي صدور المخاربة على الوجود الاجنبي البيزنطي .

(172) — أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية ص 22 .

(173) — Hamet, O.P., Cit, P.4, Monceaux, O.P., cit, P.183.

(174) — الامبراطور موريس (562-564م) من أسرة جستنيان . ((يحتج من أشهر ابادارة الامبراطورية البيزنطية ، لما اتصف به من الخبرة الحربية والزعامة السياسية)) أنظر، السيد الباز الحربي ، الدولة البيزنطية، ص 102 — 103 .

(175) — Chouraqui, O.P. Cit, P.43.

(176) — جريجوي الاول الكبير اعتلى كرسي البابوية في روما ما بين 590-604م من أهم أعماله اصلاح الكنيسة وتنظيمها ، كما حافظ على استقلالها ، ورفض ضغوط الامبراطور عليه ، أنظر السيد الباز الحربي ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1963 ص 179-180

(177) — Monceaux, O.P. Cit, P. 183.

كانت الثورات المحلية سببا في إعادة تنظيم بلاد المغرب اداريا فظهر منصب البايون الذي يشغله القائد العام للجيش البيزنطي (176) فكان ممن نصيب "جناديوس" وفي عهده قام المغاربة بثورة في سنتي 595 - 596 م لتقويض الوجود البيزنطي حيث توسعوا في غزواتهم ((وأوشكوا على الاستيلاء على قوطاجنة . ولما لم يكن في امكان "جناديوس" منعه من ذلك ، فقد تظاهر بقتل زوجته نازهم ، ودعا رعاياه الى حفل كبير ، ثم أمر باغلاق أبواب المدينة ، وقتل ضيوفه وعلى هذا النحو أرفق الخزانة بالانسحاب إلى الجبال) (179) .

أما فيما يتعلق بتسامح "جريجوري الاول" مع اليهود ، فلهنفس من قبيل الصدفة ، فقد قابله بالتسليم مع الكنيسة الافريقية التي اعتبرها بئسا للكنيسة الأم التي يجلس على كرسيها في روما بهدف ((محاربة المذهب الذواتي ، الذي كان يجتذب البائسين ، والضعفاء الاجتماعية للإمبراطورية البيزنطية) (180) .

تلك الصورة التي يتمثل فيها واضح تخفية ، السفاد على اليهود في المغرب وايطاليا ، بهدف التفرغ والالتجاء الى القضاء على الثورات المغربية المتكررة والمتلاحقة . وليس لفرس انساني براق كما بدا للبعض (181) الذي كان أرادوا اخفاء هذه الحقيقة . وبالتالي وضعوا امام الامين صورة تخدم جانبها أحاديا ، لا يمكن ثرائها الا من ناحية انسانية بعثة ، كرد . الاعتبار لليهود بعدما نالهم المذابح المريرة نتيجة للتصصب والتجاوزات الدينية والسياسية .

وفي عهد "هرقل" (182) شهد المغرب فترة من السلام تمكن خلالها البابا "جريجوري الاول" من ارسال بعثات لتتصير السكان على أوسع نطاق في المناطق الجبلية والتي كانت مستعصية على البيزنطيين حيث ((نجح القساوسة المسيحيون بين كثير من القبائل البربرية) (183) . في نفس الوقت بدأ العرب يكتسحون الامبراطورية البيزنطية أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه (184) .

(176) - عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ج 2 ، ص 71-72 ، العربي ، الدولة البيزنطية ، ص 110-111 .

(179) - عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ص 72 .

(180) - نفسه ، ص 73 .

(181) - أنظر : Monsodini, O.P., Cit, P.183, Chouragui, O.P., Cit, P.43.

(182) - هرقل حكم من 610 حتى 641 ((من أعظم الابدارة في التاريخ

البيزنطي ، فهو على حد قول أحد المؤرخين الذي خلق بيزنطة المصور الوسطى)) أنظر ، العربي ، الدولة البيزنطية ، ص 115 - 116 .

(183) - عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ص 75 .

(184) - حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص 69 .

استند وضع اليهود جيداً ، بل تعدت الجالية اليهودية بالمغرب بعد طردهم من اسبانيا في بداية القرن السابع الميلادي (165) . ولكن لا يعرف أهميتها لعدم توفر الكتابات . وقد يكون سبب ذلك اهتمام الكنيسة بالوضع في المغرب كمحاولة لتصير السكان ، والانشغال بالمشكلات الدينية التي برزت في الامبراطورية البيزنطية بعد ظهور مذهب جديد يدعى المونوفيلية (166) .

هذا المذهب الذي لم يتحمس له ابن حوقل قسطنطين الثالث ، في حين سمح للمونوفيزيين (167) بممارسة مذاهبهم بكل حرية ، مما أثار رجال الدين في المغرب ، فبذمه وسأله الانفصال عن الامبراطورية ، وتصيب جرجوريوس على البورش (168) .

استطاع هذا الأخير اعلان الاستقلال عن الامبراطورية سنة 646 م وغادر قرداجة للإقامة في سببيلة متخذاً اياها حاضرة جديدة للمغرب . بينما كان أسدول قسطنطين بقيادة " منويل الخصي الارمني " (169) بمحاولة يأسيسه لاستعادة مدينة الاسكندرية ، التي دخلت في حوزة المسلمين ، الذين بدأت دواولهم تبتدأ أرض المغرب ((لكشف المنطقة ، وللتعرف على سكانها ، وكسبها الى حضيرة الاسلام ، والدولة العربية ، قبل مفاجأتهم بجيوش ضاربة تحتل المنطقة عسوة)) (190) .

ان هذه الاحداث جعلت المؤرخين يهتمون بها ، أكثر من اهتمامهم بالعصر اليهودي الذي يشاهد عهداً جديداً بعد الفتح الاسلامي .

Hamet, O.P. Cit, P.5.

(165) -

(166) - المونوفيلية : مذهب يقول : أن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية تتسمان بآحاد واحدة ، أنظر السيد الباز الصربي ، الدولة البيزنطية ص 132 .

(167) - المونوفيزية : يجعل هذا المذهب للمسيح طبيعة واحدة مسيحية الطبيعة الإلهية ، أنظر السيد الباز الصربي ، الدولة البيزنطية ، ص 52 .

(168) - عبد العزيز سالم ، المغرب العربي ، ص 76-77 .

(169) شكري فيصل ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1980 ، ط 5 ، ص 123 ، الصربي ، الدولة البيزنطية ، ص 141 .

(190) محمد موسى لقبال ، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، دراسة ، نظم ، الجرائد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981 ، ط 2 ، ص 18 .

اختلاف المؤرخون في تحديد مصاليم الهجرة اليهودية الى المغرب. ولكن على ما يبدو بدأت أثناء مرحلة الارتداد المبكرة للتجار الفينقيين منذ بدايات الألف الأولى قبل الميلاد. غير أنها لا تتعدى الأفراد القلائل لأن الآثار لم تنترك الدليل القاطع على وجود جاليات كبيرة.

وقد بدأت الجماعات اليهودية تعتمد هذه الديار اثر حملة "نبوخذ نصر" على بيت المقدس سنة 586 م. كما شجع الحكام البطالمة استقرار اليهود منذ القرن الرابع قبل الميلاد.

وتمازجت الجالية اليهودية في العهد الروماني نظراً لوجود وسائل الجيش الافضل. وللتهجير الجماعي الذي قام به "تيتوس" أثناء حملته على بيت المقدس وتحطيم رمزهم الديني سنة 70 م. وفي العهد البيزنطي انجذب اليهود الى المغرب، بعد أن ضيقت عليهم السلطات في اسبانيا الخناق مقابل تخفيفها من الريف الامبراطورية البيزنطية خاصة في أواخر عهدها بالمغرب.

أما عن وضعية اليهود في القديم فهي محبة التحديد لقلة الشاهد الاثري والتاريخي. ويمكن تحديد ما خاصة في منطقة قورينة (شحات حالياً) حيث استوطنت جالية ضخمة. تتمايز منها السكان الافريق لتخالفهم مع الحكام البطالمة، ولما اولتهم الاثراء على حساب الآخرين.

وقد تأثر اليهود بالحياة الهلستية في الظاهر، مع المحافظة على ممارسة عاداتهم وتقاليدهم الخاصة، مما يؤكد غريزة الانكماش لديهم.

ولما احتل الرومان منطقة المغرب، استعاض اليهود في البدايات عن الحفاظ على التوازن مع السلطة الرومانية. ولكنهم في نهاية الامر تصادموا معها لاختلاف المصالح الدينية والاقتصادية. مما أدى بهم الى القيام بالثورات والانتفاضات. وأخذت ثورة قاموا بها سنة 115 م في مدينة قورينة وعمست الحديد من المنداق، فيرأى السلطات الرومانية استعانت القضاء عليها.

وحيثما ظهرت المسيحية، حارستها اليهود بجميع الوسائل المتوفرة لديهم، قابلها المسيحيون بجملة من الاجراءات القمعية والاضطهاد خاصة بصدد تنصير الدولة الرومانية.

وتركت المواجهة المسيحية - اليهودية ثرائاً ضخماً من الأدب الديني والمجاذلات التي تساعد على فهم ضروفة المتناحر بين الديانتين . ومواقف اليهود من النصرانية مما يوضح لنا الأسباب الحقيقية للتضييق عليهم .

واستمرت المواجهة أيضاً في العهد البيزنطي ، ففي هذه المرة خسرت اليهودية مواقعها أمام تيار المسيحية الجارف . وقد تستلج من خلال ذلك نقصان عدد اليهود في المغرب بسبب الهجرة نحو أوروبا وتصر الكثيرين منهم على الرغم من وجود محجرة في أواخر العهد البيزنطي نتيجة للاضطهادات والداسرد الذي تعرضوا له في اسبانيا .

وفما يتعلق بصلة اليهود بالمغاربة ، فالمعلومات قليلة وبالتالي لا يمكن اعداء فكرة واضحة تعتمد على الحوادث التاريخية الجديرة بالاهتمام سوى الجانب الديني الذي يرى فيه البعض عنصراً هاماً من مظاهر الوئام والسلام بينهم وبين المغاربة اعتماداً على تهود جزء من سكان المغرب . ولكن هذا الجانب يدعونا الى الحذر منه ، لانهم لا يتكلمون مع الروايات التاريخية المزورة والمشوهة لخدمة غرض يدخل ضمن استراتيجية الفكر الصهيوني (191) .

ان الجاليات اليهودية اثناء التاريخ القديم ، قد عاشت وتحتمت بمراحل سلم وازدهار ولكن لفترات قصيرة ، اذ عانى اليهود في الاكثر من الاضطهاد والتضييق عليهم اما لتحتنتهم واحتقارهم للآخرين ، أو لموقف السلطات الرومانية المتخوف من الجالية التي تعيش في بطلاق ضيق ومنكمشة حول نفسها (192) .

فهل هذه الوضعية التي عاشها اليهود في القديم بالمغرب ستستمر أم ستتغير ؟ ان الاجابة على هذا السؤال ستتوضح في الفصول القادمة .

(191) - ان مسألة تفسير الروايات التاريخية وتشويهها ستتوضح في الفصل الثاني .

(192) - سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ، جامعة بيروت العربية ، 1977 ، ص 102 .

الفصل الثاني

ليهود في المغرب بعد الفتح

- 1- اليهود أثناء الفتح
- 2- اليهودية في المغرب
- 3- اليهود في المغرب بعد الفتح
- 4- الوضعية الإدارية لليهود

(1) - اليهود أثناء الفتح :

اعتاد المؤرخون لدى تناولهم للفتح الاسلامي ، ذكر عناصر سكان المغرب الذين اتفقوا على أنهم يتكونون من الافارقة ، وهم خليط جنسي من القوط الجيبيين ، كما انتسب بعضهم الى السلالة الاربعة المتمثلة في الرومان والروم (1) ، وبعض سكان المنطقة الاصليين ((الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية)) (2) حيث دابوا بالطاعة والولاء للبيزنطيين ، وعنهم أخذوا المسيحية (3) .

ودخل أكثر الافارقة الى الدين الاسلامي بعد الفتح . وعلى الرغم من ذلك حافظوا على لغتهم الخاصة ، التي هي ~~وهي~~ مزيج من اللاتينية واللهجة المحلية (4) لان كلامهم (ل) ليس بمصري ، ولا عجمي ، ولا بربري ، ولا قبطي ، ولا يعرفه غيرهم)) (5) .

وبجانب الافارقة ، الروم أي البيزنطيين الذين يتصدرون قمة الهرم الاجتماعي في المغرب بسيطرتهم على الجهازين السياسي والاداري محصورين في ابراجهم وقلاعهم مهم الوعيد جمع الضرائب والحصول على الاتاوات (6) .

بالاضافة الى المغاربة ، سكان المنطقة الاقدمين وهم أضخم كتلة بشرية من بقية العناصر السكانية الاخرى يتوزعون في كامل أرجاء المغرب وينقسمون الى جذمين كبيرين ، قبائل البرانس ، وقبائل البتر .

أما اليهود فقد وجدوا أثناء الفتح (7) من ضمن المستقرين في المنطقة ولكن بصورة غير واضحة المعالم ، فكتب الفتح لا تصطبيا حقيقة هذا الوجود لكسي نسلم بسهولة فكرة حضورهم بالمغرب .

(1) - لقبال ، المغرب الاسلامي ، ص 16 .

(2) - عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 133 .

(3) - لقبال ، المغرب الاسلامي ، ص 16 .

(4) - محمد شيت الخطاب ، عقبة بن نافع الفهري ، بيروت ، دار الفكر ، 1977 ، ط 5 ، ص 4 ، 3 .

(5) - أبو عبيد بن عبد العزيز البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، باريس ، مكتبة أمريكا والشرق ، (البص الحربي) 1965 ، ص 65 .

(6) - الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 102 .

(7) - محمود شيت الخطاب ، عقبة ، ص 34 .

فابن عبد الحكم (8) على الرغم من دقته لم يتعرض لذكر اليهود، وهو يصدد الحديث عن المراحل التاريخية للفتح. فقد ذكر الافارق أو الافارقة (9) وتعرض للروم في مواضع عديدة (10) وكذلك البربر (11) والصجم (12). وأهمهم ذلك حين كتب عن الكاهنة ومواجهتها للمسلمين بقيادة حسان بن النخمان الشسائي. وقد لا يبدو ذلك عن جهل، أو تجاهل تجاه دأفة معروفة لدى العامة، فما بالنا بمؤرخ مثل ابن عبد الحكم.

ومن أقدم كتاب الفتوح، الواقدي (ن 207 هـ) الذي بدوره لم يتصدى لليهود في كتابه على الرغم من إيراد أخبار بعض رجال الدين المسيحيين في خبر فتح المهدية بقوله ((وكان للقسيس أربع بنات يقرآن الانجيل...)) (13). واقتصرت إشارات البلاذري (ت. حوالي 279 هـ) في فتوحه على العناصر الرومية والبربرية (14) في المغرب دون ذكر لليهود.

ولم يتجاوز أبو الحرب (ت 333 هـ) سابقه من المؤرخين، إذ تعرض للبربر والنصارى (15). هذا عن المصادر القريبة من عصر الفتوح للمغرب التي لم تحمل في طياتها أخباراً ولو كانت قليلة في أيام الزحف الإسلامي على المنطقة نتحدث عن اليهود.

(8) - ابن عبد الحكم (ت 257 هـ) صاحب أقدم رواية تاريخية لفتح المغرب. عن المؤلف والمنهج، أنظر، سجد زغلول عبد الحميد ((فتوح المغرب والاندرلس في رواية ابن عبد الحكم)) دراسات عن ابن عبد الحكم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص 153، 196.

(9) - عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح إفريقية والاندلس، تحقيق وتقديم، عبد الله أبيس الطباع، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1964، ص 29 و 39.

(10) - نفسه، ص 28، 29، 31، 39.

(11) - نفسه، ص 2.

(12) - نفسه، ص 64.

(13) - محمد الواقدي، فتوح إفريقية، تونس، مطبعة المنار، 1966، ج 1، ص 23.

(14) - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان بشرح الملاحق والفهارس، صلاح الدين المجدد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1956، ج 1، ص 276.

(15) - أبو الحرب بن أحمد بن تميم القيرواني، دباكات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق، علي الشابي، ونعيم حسن المياحي، تونس، دار التونسية للنشر، 1969، ص 60.

- وقد استمر السكوت حتى لدى بعض المؤرخين الذين كتبوا فيما بعد .
 فالمالكي (ت بعد 453 هـ) جاء بمصالحات البربر والنصارى (16) والروم (17)
 دون تاييد لليهود في القسم المتعلق بالفتوحات .
- ونجد ابن عذابي (ت. نهاية القرن السابع ؟) يسلك نفس المسلك ،
 فيميز بين الافارقة (18) والروم (19) والبربر والنصارى (20) والمجوس من الروم (21) .
- وتحدث صاحب ((معالم الايمان)) الدباغ (ت. 626 هـ) عن البربر
 (22) والافارقة (23) كما لم يتعرض ابن خلدون (ت. 806) لليهود ، حينما كتب عن
 الفتوح في المغرب . حيث أشار الى الروم (24) والافارقة (25) بالاضافة الى
 البربر الذين خصهم بجزء لا يستهان به من تاريخه ، بل يعتبر المصدر الاساسي .
 والمؤرخ الوحيد الذي أشار الى اليهود هو القيرواني (ت. بعد 1022 هـ)
 (26) الذي ألف كتابه في بداية القرن الثاني عشر للميلاد . فأورد حينما
 تعرض لفتح بلزيت رواية شفهية مفادها ((وسمعت من يقول أن الحاكم بها كان يهوديا
 في الزمن السابق ولما وضعت أمرهم وصاروا تحت الذممة عاملهم المسلمون الذين
 تملكونهم بأن جعلوا سوقهم يوم السبت نكايه لهم عما سبق من أذاهم حتى لا يتصرفوا
 معهم في محاشيتهم يوم السبت)) .
-
- (16) — أبوبكر عبد الله بن محمد المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق بشير البكوش ،
 ومراجعة محمد الحروسي المطاوي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي للطباعة
 والنشر ، 1983 ، ج 1 ، ص 11 .
- (17) — نفسه ، ص 18 .
- (18) — ابن عذابي المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق
 ومراجعة ، ج 1 ، ص 1 ، كولان ، و . ليفي بروفندسال ، بيروت ، دار الثقافة ، 1986 ،
 ط 2 ، ج 1 ، ص 12 .
- (19) — نفسه ، ص 12 .
- (20) — نفسه ، ص 20 .
- (21) — نفسه ، ص 24 .
- (22) — أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الاسيدي الدباغ ، معالم
 الايمان في مصرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق ، ابراهيم شيوخ ،
 القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1966 ، ط 2 ، ج 1 ، ص 2 .
- (23) — نفسه ، ص 35 .
- (24) — ابن خلدون ، كتاب العبرود ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
 والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،
 1957 ، ج 4 ، ص 2002 .
- (25) — نفسه ، ص 1003 .
- (26) — ابن أبي دينار القيرواني ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، تحقيق وتعليق
 محمد حمام ، تونس ، المكتبة الحتيقة ، 1337 هـ ، ط 3 ، ص 23 وعن القيرواني
 وكتابه أنظر .

لستنتج من هذه الرواية أن اليهود في مدينة بنزرت على الساحل الشمالي لتونس تقطن بها جالية يهودية كبيرة لانهم استداعوا أذى الناس بحكم وجود حاكم يهودي مما أدى الى محاصرتهم بعد الفتح من طرف المسلمين وذلك بأن جعلوا أسواقهم يوم السبت وليس في يوم السوق العام . حتى يتعرضوا لنوع من الحصار الاقتصادي نكاية بهم لما فعلوه بالمغاربة قبل ذلك . وهي رواية لا يمكن الأخذ بها ، لان الديانة اليهودية تمنح البيع والشراء يوم السبت .

فان صحت هذه الرواية التي انشرد بها القيرواني تبين على الاقل أن هناك جالية يهودية بالمدينة قديمة استعادت أذى السكان وبذلك تتوضح الملائقة أكثر بين اليهود والمغربة وتتفي الفكرة القائلة بالتحالف بينهما للوقوف ضد الوجود الاجنبي .

ان سكوت المصادر هذا ، وعدم الاشارة الى اليهود أيام الفتح يدل في الحقيقة على سدة العناصر اليهودية ، لان المؤرخين لا يمكن أن يتخافوا بهذه الطريقة الجماعية بصفة غير شجورية ليعولهم والتزاماتهم الحثائية ، أو بصفة شجورية ومقصودة لالتزاماتهم السياسية .

فاذا أغفلت المصادر الاسلامية اليهود ابان الفتح ، فان المراجع خاصة اليهودية منها قد أشارت الى وجودهم في المغرب وبكثرة قبل مجيء المسلمين ، لان بعض اليهود ، اتجهوا نحو المغرب في عهد الرسول (ص) بعد غزوة خيبر سنة 628 م لكي لا يرتدوا (27) عن ديانتهم (28) متخذين بعض المناطق الصحراوية مستقر لهم (29) . ناشرين بين العناصر اليهودية القديمة أي الموجودة منذ التاريخ القديم الاخلاق واللغة العبرية (30) .

(27) — أنظر : Cahen , OP . Cit. P . 23.

(28) — ان الهدف من غزوة خيبر هي ضرب اليهود الذين يقومون بممارسات خطيرة ضد الاسلام ، ولتفضيهم لليهود وتحالفهم مع الاعداء . وليس المقصود ضرب اليهود كفتة دينية لمحاولة اخراجهم من اليهودية كما يزعم المؤلف . وأحسن مثال يوضح مدى احترام المسلمين للديانة اليهودية رد صحائف التوراة التي كانت من بين الغنائم في هذه الغزوة لليهود ، ولم يتعرض لها المسلمون بسوء ، أنظر ، عماد الدين خليل ، دراسة السيرة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ودار النفاش ، 1991 ، ط 5 ، ص 354 .

(29) — أنظر : Cahen , OP . Cit P.P. 24. 25 .

(30) — أنظر : Eisenberg , OP . Cit P.P. 24. 8 25 .

بهذه الطريقة حسب المؤرخين اليهود ، وصلت العربية قبل مجي المسلمين وانتشرت بين اليهود قبل دخول الاسلام الى المغرب ، سابقين في ذلك القبائل العربية التي تسربت الى الصحراء في عهد الموحدين . هذه القبائل التي لعبت دورا في تحريض السكان بتلك المناطق القصية (31) . ان هذا الطرح المكشوف يهدف الى ابراز دور اليهود في نشر العربية بالمنطقة وتثبيتها لقبول الفاتحين .

لا يمكن نكران وجود اليهود في المغرب قبل الفتح الاسلامي ، غير أن هذا العدد على ما يبدو قليل بالمقارنة مع الجاليات التي استوطنت المغرب في العهد الروماني قبل الثورة المعروفة بثورة قورينسة وما تلاها من اباداة جماعية لليهود .

وعلى الرغم من ندرة الوثائق التي تحدد مدى أهمية الهجرات اليهودية الى المغرب أثناء الفتح . فان اعداد كبيرة منهم قد لحقت المسلمين فـ في عهد عقبنسة ابن بافج بعد تأسيس القيروان (32) ، التي جلب اليها من مصر ألف عائلة قبطية ويهودية (33) . غير أن هذه الرواية التي ذكرها كل من "ازنبيت" و "شوراكي" تحتاج الى وقفة سريعة . فعملية نقل ألف عائلة قبطية الى المغرب لا تحدث الى عهد عقبة ، وانما الى عهد حسان الذي بنى دارا للصداقة بتونس كما أكد ذلك البكري ((فكتب الى عبد الملك بن مروان الى أخيه عبد العزيز وهو والي مصر أن يوجه الى محسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس . . . فوصل القبط السـ حسان وهو مقيم بتونس)) (34) .

فقد تصرف اليهود في الرواية حسب هواهم ، خدمة لاغراضهم السياسية ، ليظهرون أنفسهم بمظهر المـشارك في بناء التاريخ المغربي .

وخلاصة القول ، حين بدأت عملية الفتوح سنة 642م ، وجد المسلمون مجموعات قليلة من اليهود منتشرين عبر أرجاء المغرب . لا يمثلون قوة اجتماعية لها وزنها . والقول بوجود جاليات يهودية ضخمة عند الفتح (35) لا يوجد مـا يؤكد حـسب المصادر الاسلامية والمـراجع العربية

(31) - مصطفى أبو ضيف أحمد عامر ، القبائل العربية في المغرب في عصي الموحدين وبلي مـين ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1962 ، ص 263 .

(32) - محمد الحبيب ابن الخوجة ، يهود المغرب العربي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، طبعة 1273 ، ص 12 .

(33) - أنظر : Eisenbeth ، OP . Cit ، P . 8 Chouraqui ، OP.Cit ، P.57 .

(34) - البكري ، المغرب في ذكر افريقية والمغرب ، ص 33 .

(35) - أنظر : mièses ، OP . Cit ، P 132 .

مساعدة الجاليات التي وجسدت بالاندلس *

- (*) - عن الجاليات اليهودية بالاندلس ، راجع مجهول ، أخبار مجموعة في فتح
الاندلس وذكر أموائها والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق وتقديم ، إبراهيم
البياتي ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،
1981 ، ط 1 ، ص 22 ، 25 ، أبو عبيد الله الشريف الادريسي ، القارة الافريقية
وجزيرة الاندلس ، مقتبس من كتاب نزعة المشتاق ، تحقيق وتقديم وتحليل اسماعيل
الصربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ، ص 279 ، والهامش
167 ، ابن عذابي المراكشي ، البيان المصرب في أخبار الاندلس والمغرب ،
تحقيق ومراجعة ، ج . م . كولان ، و . ا . ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة ،
1980 ، ط 2 ، ج 2 ، ص 12 ، أحمد مختار الصيادي ، في تاريخ المغرب
والاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1970 ، ص 50 ،
70 ، حسين بولس ، فجر الاندلس ، جريدة ، الدار السعودية للنشر
والتوزيع ، 1985 ، ط 2 ، ص 77 ، 83 ، 82 ، 523 ، عبد الله حمادي ،
الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس ، 1492 ، 1616 ، تونس ، الدار
التونسية للنشر ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1980 ، ص 18 ،
جوزيف رينو ، الفتوحات الاسلامية في فرنسا ، وايطاليا وسويسرا في القرون
الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، تصريب وتحليل وتقديم اسماعيل الصربي ،
بيروت ، دار الحدائق ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984 ، ط 1 ،
ص 41 ، 43 ، أسعد حومد ، مجلة العرب في الاندلس ، بيروت ، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر ، 1980 ، ط 1 ، ص 44 ، عبد العزيز عتيق ،
الادب العربي في الاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
1976 ، ط 2 ، ص 135 ، الامير شكيب ارسلان ، تاريخ فترات العرب في
فرنسا ، وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، بيروت ، منشورات دار
مكتبة الحياة ، 1979 ، ص 268 ، ليفي بروفنسال ، الحضارة العربية في
اسبانيا ، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، القاهرة ، دار المعارف ، 1985 ،
ط 2 ، ص 132 ، ليفي بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ، ترجمة
ذوقان قرقوط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، دون تاريخ ، ص 103 ،
محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، المكتبة الثقافية ، عدد
237 ، مصر ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، 1970 ، وأنظر :

ولكن بتقدم عملية الفتح الاسلامي ، خاصة بعد اتمام هذه العملية ، بدأت التجمعات اليهودية تزداد بحكم طبيعة النظام الاسلامي المتسامح مع الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية .

(2) - اليهودية في المغرب (36) :

تحدث المؤرخون عن اليهودية في المغرب بكل حماس خاصة اليهود الذين آمنوا بهذه المسألة اعتمادا خاصا ، بقدر تحمسهم للفكر الصهيوني (37) . والغريب في الامر ، انتهج المؤرخون هذا المذهب اعتمادا على آراء بعض المؤرخين الذين تناولوا الموضوع دون الوقوف عندها ، واستشارة المصادر بهدف المقارنة للتوضيح الحقيقة التاريخية التي بقيت مظلومة ، إذ استغفلت استفلا بلا بشعا من الناحية التاريخية ، حيث أصبحت عقدة نادر ما تجاوزوها .

لقد عرفنا أن كتب الفتوح الهامة لا تشير الى عنصر اليهودي في المغرب . ولكن المراجع الحديثة تتبجح وبالحاح عن الحضور اليهودي المتمثل في بعض القبائل التي دانت باليهودية عن طريق الدعوة والتبشير . فالاستاذ "شوراكي" (Chouraqui) يقول في هذا الصدد ((اتفقت شهادة المؤرخين المغرب بتحول الكثير من القبائل الى اليهودية في القرن السابع (الميلادي) أحداها جراوة التي وهبت للمغرب بطلة ، وجسدت مقاومته)) (38) ويقصد بالبدانة الكاهنة .

كما تعرض شلوش (SLUSCHZ) للكاهنة نقلا عن "فورنال" (Foumel) بقوله ((تحكم الكاهنة الاوراس ، وتنتمي عائلتها الى جراوة ، القبيلة اليهودية التي زودت كل البربر بالملوك والروساء)) (39) .

(36) - المقصود باليهودية ، التهود المزعوم الذي تكلم الكثيرون عليه المتمثل في انتشار اليهودية بين سكان المغرب .

(37) - الصهيونية : تنتسب الى جبل صهيون في جنوب بيت المقدس بفلسطين . وقد تجاوزت هذه النسبة فأصبحت تدل على القدس ثم على جميع الاراضي المقدسة ، وأخيرا أصبحت رمز ماضي اليهود ومستقبلهم المرتبط بذكريات آلاف السنين . وهي تشير للقيم الروحية والقوى التاريخية التي شكلت الشعور بالقومية اليهودية . وهي تعني العودة الى جبل صهيون لاقامة كيان سياسي وبحث القيم الروحية والتاريخية والثقافية . أنظر ، فتحي الابياني ، الصهيونية ، سلسلة كتابك ، عدد 13 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1977 ،

طرس 5-9 .

Chouraqui , OP . Cit , P . 46 .

(38) - أنظر :

Nahum , Sluscz , judés - Hellemes, judésBerbères,

(39) - أنظر :

recherches sur les origines des jeuifs et du judaisme en Afrique , Paris , Ernest le Roux , 1909 , P . 8 .

وبعد أن انتصر زهير ابن قيس على كسيلة الاوربي . وأعاد القيروان للمسلمين ، كتب " ايزبيث " (Eisenbeth) معلقاً على الواقعة ((ولكن على ما يبدو فان جراوة احدى أهم القبائل اليهودية قد تأثرت قليلاً بهذه الهزيمة . فاستغلت الفرصة لاعلان الكاهنة المشهورة ملكة والتي أعاد ابن خلدون نسبها الى عهد الاحتلال الوندالي)) (40) .

اتخذ كل هؤلاء تقريباً ابن خلدون كمصدر تاريخي اعتمدوا عليه للقول بيهودية الكاهنة وقبيلتها ، لذلك نعود اليه للتحقيق والتدقيق في نصوصه المعتمدة .

عندما تعرض لاخبار المغاربة نقل عن ابن الكلبي (41) ما يلي ((... حتى جاء الاسلام وكان منهم من تهود ومن تنصروا وأخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والاصنام)) (42) وبعد صفحات من كتابه يتصدى مرة أخرى لديانة المغاربة ((في ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الاسلامي ومن بعده الى ولايته بني الاغلب)) بقوله ((وكان دينهم دين المجوسية شأن الاعاجم بالمشرق والمغرب الا في بعض الاحياء يدينون بدين من غلب عليهم من الامم . فان اهم اهل الدول العظمى ...)) (43) . ثم يستطرد ((... ولا ينالهم الروم والافرنج في ضواحيهم ... وعنهم كلهم أخذوا دين النصرانية)) (44) .

ان هذه النصوص توضح في البداية الديانات التي اعتنقها المغاربة وهي ديانات مختلفة نقل هذا النص عن ابن الكلبي دون مناقشة . فابن الكلبي يضع كل الديانات في فترة قبل الاسلام أي الديانات السماوية والوثنية دون تركيز يذكره فقد أجمع كل العقائد المعروفة قبل الاسلام في خانة واحدة الى ظهور الديانة الاسلامي .

وابن خلدون حينما تعرض لهذه المسألة دون نقل . قال بديانة البربر المجوسية وأكد على اعتناق المغاربة لديانة الامم الكبرى وذلك في بعض الاحياء أي بعض المراحل وليس اعتناقها على امتداد مستمر . ثم يركز على الديانة النصرانية التي أخذوها عن الروم والافرنج . بمعنى يمكن فهم هذه القضية من خلال نصوص ابن خلدون نفسه ، وليس من خلال ما نقله دون تمحيص (45) .

(40) - أنظر : Eisenbeth , OP . Cit , P . 8 .

(41) - هو عشاء بن محمد بن السايب بن بشر ، (ت . 204 أو 206 هـ) عالم بالانساب وأخبار العرب وأيامها ، له العديد من الكتب في هذه المواضيع ، أنظر ، ابن النديم ، الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1978 م ، ص 140 - 143 .

(42) - ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 113 .

(43) - نفسه ، ص 212 .

(44) - نفسه ، ص 213 .

(45) - لم يحسن ابن خلدون دائماً النقل عن هذا الموضوع ، أنظر ، محمد الطالبي ، منهجية ابن خلدون التاريخية ، بيروت ، دار الحداثة ، 1981 ، ط 1 ، ص 52 ويليها .

أما النص المشهور الذي اهتم به المؤرخون للتدليل على يهودية جراوة والكاينة فهو ((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية - أخذوه عن بني اسرائيل عند استفحال ملكهم ، لقرب الشام وسلطانه منهم - كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاينة مقتولة العرب لاول الفتح ، وكما كانت نفوسة من برابر افريقية وقد لا وة ومد يونة وبهلولة وغياتة وبنو فزان من برابرة المغرب الاقصى حتى محا ادريس الاكبر الناجم بالمغرب من بني حسن بن الحسين جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والملل ، فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية)) (46) .

لقد اعتمد المؤرخون الا جانب على النص المترجم وليس على النص العربي الاصيل . فالنص المترجم الذي ترجمه البارون " دي سلان " (DE Slane) (47) يفقد الى الامانة ، مما جعلهم يستنتجون نتائج خاطئة بعيدة عن الحقائق التاريخية ان النص العربي - الاصيل - يوضح ديانة المغاربة ومنهم جراوة قبيلة الكاينة بصريح العبارة ((فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية)) .

وبمناقشة النص منذ البداية نتوصل الى حقيقة مفادها أن ابن خلدون يشك في تهود المغاربة باستعماله ((ربما)) التي تعني التقليل . مما يقلل من شأن الرواية وقوتها . وبالتالي نتوصل الى تنصر السكان المغاربة وهذا مقبول من خلال الاحداث التاريخية .

وهناك العديد من المخططات التي تؤكد تنصر ملكة الاوراس ، فابنيها من أب يوناني مما يدعو الى القول بأنها من المغاربة التي تمترج عروقهم بالروم نتيجة للزواج المختلط ، وهو ما يفسر نفوذها على الروم أنفسهم (48) .

(46) - ابن خلدون ، المعبر ، ج 11 ، ص 214 .

(47) - ان ترجمة دي سلان غير دقيقة وأمانة فقد بدأها Une partie des berberes professait le judaisme , religion qu'ils avaient reçue de leurs puissants voisins ...))

وكان من المفروض ترجمتها De même , peut-être certains groupements Berberes avaient - ils même professé le judaisme...))

أظن ، Mohamed TALBI un nouveau fragment de l'histoire du Maghrib (l'épopée d'Alkahina)) les Cahiers de Tunisie, 62 - 196 / 682 - 812 - 1'epopée d'Alkahina)) les Cahiers de Tunisie, N° 73 - 74 , Tome xix (1971) P. 42 .

Ibid , P. 41 .

(48) -

كما أن هاهنا تبين تمسكها بغير اليهودية . فقد ذكر المالكي حينما تطرق الى حملة حسان الثانية ((فهرست تريد جبال أوراس ، ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبد به ، يحمل بين يديها على جمل)) (49) . فهذا الصنم الخشبي الذي تحتوي به ، لا يدل بالضرورة على وثنيته ، بل قد يرمز الى صورة المسيح ، أو العذراء ، وهي اشارات تدل على تنصرا (56) . وبالتالي نستخلص أن الكاهنة وأفراد قبيلها جراوة هم من المسيحيين أثناء الفتح .

وبالمقارنة ، فبقية القبائل التي ذكرها ابن خلدون ، يمكن أن تكون مثل جراوة قد تنصرت . فقبائل نفوسة عرفت بحقيدتها المسيحية حتى بعد الفتح (51) . وشهادة البكري كافية للرد على أطروحة اليهود حيث قال ((. . . وافتتح عمرو بن الحاص رحمه الله نفوسة وكانوا نصارى)) (52) . وتحدث الرحالة التجاني عن ديانة نفوسة حينما تعرض لفتح طرابلس واستعانة الروم ((بقبيل من البربر يعرفون بنفوسنة دخلوا معهم في دين النصرانية)) (53) . وأكد ابن أبي دinar هذه الحقيقة بقوله ((. . . وافتتح جبال نفوسة وكانوا على دين النصرانية)) (54) .

هذا عن ديانة نفوسة ، أما بقية القبائل الاخرى كمديونية (55) التي أفرد لها ابن خلدون قسم خاص ، فلم يتعرض الى ديانته ، مما يؤكد غلبة الديانة المسيحية أو الوثنية في حياة المغاربة . لهذا فان مقاومة الكاهنة لم تنبع عن عقيدة عبرية مثلما ذهب البعض (56) بل نابعة من فكرة رفض الاجانب لانها لم تتعرف بعالي حقيقة هؤلاء الذين تحاربهم ظلما مدحا أن ((العرب يطلبون افريقية المدائن والذهب والفضة)) (57) .

(49) - المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 51 . ونفس النص جاء عند محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1975 ، ص 66 .

(50) - أنظر : TALBI , OP . Cit , P . 42 .

(51) - أنظر : IBID , P . 43 .

(52) - البكري والمغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص 9 .

(53) - أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني ، رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1981 ، ص 239 .

(54) - ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص 26 .

(55) - ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 256 - 257 .

(56) - شارل اندري جوليان ، تاريخ افريقية الشمالية ، تحرير محمد مزالي والبشير بن سلامة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1978 ، ج 2 ، ص 23 .

(57) - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج 1 ، ص 36 ، الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المنجي الكمي ، تونس ، نشر ، رفيق السقطي ، 1963 ، ص 61 .

ومجمل القول : أن العقيدة اليهودية التي ادعى الكثيرون بانتشارها في الاساطير المغربية أثناء الفتوح ليس لها أساس من الصحة ، لأن الدلائل التاريخية تشير من خلال النصوص «دم ثبوتها» ، وإنما حاول هؤلاء تفسير الوثائق القديمة حسب أهوائهم وميولهم الحاطفية . على الرغم من أنها تبين انتشار الديانة المسيحية وتغلغلها لدى بعض القبائل في المغرب . فاليهودية ان وجدت ، في أوساط التجمعات اليهودية ، التي أشرنا الى قتلها وانحسارها . واستؤد من هذه التجمعات فيما بعد بحيث ستصبح واضحة القعالم في ظل الوجود الاسلامي ، والنسامة من الذي رافقه .

وفيما يتعلق بالجالية اليهودية التي عرفنا صغر حجمها ، فقد استقرت بالبالسا حل التونسي ، خاصة مدينة سوسة التي يعود أصلها الى القديس (53) يرى الاستاذ المرحوم حسن حسين عبد الوهاب بأنها تعرضت بعد الفتوح ، واندجت بأهل البلاد (59) . ان هذا الرأي يحتاج الى تدقيق أكثر لقبوله أو رفضه .

ولفهم قضية انتشار اليهودية في المغرب فهما جيدا ، لابد من معرفة حقيقة تنطوي عليها الديانة اليهودية هي : عدم انتشارها مثل بقية الديانات لان رجال الدين اليهود لا يملكون السلطة الدينية للشرع ، بل عمهم الوحيد الحفاظ عليها (60) على الرغم من بساطتها على حد تعبير "بيان" (61) . لان الديانة تعتبر عند اليهود سلاحا حادا يمارسون عنصريتهم تجده الشعوب من خلالها على أساس شعب الله المختار .

بالإضافة الى عدم اهتمامهم بنشر الديانة اليهودية لانهم بأشياء أخرى تتمثل في محاولة جمع الثروات كما عبر الاستاذ عبد الفلاح عاشور أن اليهود ((لا يهتمون بنشر عقيدتهم بقدر ما يهتمون بامتصاص ثروات الشعوب التي حلوا بينها وخنقها اقتصاديا)) (62) . فكيف يحتل الناس ديانة يكرمون ويمقتون أهلها للعوامل المذكورة سابقا . وبالتالي يستبعد اعتناق المغاربة لليهودية ، انطلاقا من جميع هذه المعطيات .

(53) - حسن حسين عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة المربية بأفريقية التونسية ، تونس ، مكتبة المنار ، 1966 ، القسم الثاني ، ص 53 .

(59) - نفسه ، ص 53 .

(60) - أنظر : Histoire générale des Religions, sous la direction de maxime George et Raoul Mortier, Paris, librairie Aristide quillet 1945, tome 3.

(61) - أنظر : Ernest, Renan, judaisme et Christianisme, textes présentés par Jean Gaulmier, PARIS, COPERNIC, 1977, P. 152.

(62) - سعيد عبد الفتاح عاشور ((الارتباط بين التوسع السياسي والديني)) بحوث ودراسات في تاريخ الحضارة الوسطى ، ص 103 .

وحتى لو افترضنا بتهود بعض سكان المغرب، فإن ذلك لم يؤثر على أفكارهم ولا على شخصيتهم الدينية والثقافية حيث حافظت الوثنية المستمدة قيمتها وعياداتها من الظواهر الطبيعية، الأكثر فعالية على عقول الناس واستقطابا (63).

3- اليهود في المغرب بعد الفتح :

بعد اتمام عملية الفتح، وانتهاء مرحلتها النهائية على يد موسى بن نصير الذي تمكن من ((اخضاع بلاد المغرب كلها للإسلام)) (64) ماعدا مدينة سبتة المحصنة، التي سيكون لها دور فيما بعد، أثناء فتح الاندلس، ظهرت ولاية إفريقية (65) على غرار بقية الولايات الكبرى التابعة للدولة الإسلامية، تخضع مباشرة للخليفة في المشرق، حيث أصبحت القيروان مركز الولاية، والقرار السليسي، وحاضرتها الكبرى (66). ونتيجة لانتصار الإسلام، أضحت الولاية البيزنطية، وأثارها الإدارية بالمنطقة، فظهرت على أنقاضها الإدارة الإسلامية.

إن هذا التنظيم الجديد الذي حظيت به ولاية إفريقية قد جذب اليهود إليها، ومن هؤلاء تحدثت المصادر عن أحد اليهود الطوافين (67) في ترجمة اسماعيل بن رباح الجزلي، مما يثبت وجود التجار اليهود المتجولين في مدينة القيروان أثناء ولاية يزيد بن حاتم، وقد ذكر سوق القيروان، المؤرخ الرقيق القيرواني (68) ومن دروبه درب ابن طفيل (69).

وخلال القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي، بدأت منطقة المغرب تجتاحها ثورات الخوارج بعد تقاطع المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد عبيد الله بن الحباب الذي اضطرر العرب اليمنية وتمصيب للقيسية (70)، إذ ولى عكر بن عبيد الله المرادي على طنجة وفاس والايما، فأثناء السيرة تخو السكان حيث أباد تخميسهم (أوزعهم فيهم للمسلمين، وذلك ما لم يرتكبوا عاملاً قبله) (71)، وقد ابتهج ابنه اسماعيل في السوس الأقصى سياسة الاستبداد فسبى النساء

- (63) - ابراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1979، ص 265.
- (64) - السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، ص 257.
- (65) - عن نشأة الولاية ومراحل تمصيرها، أنظر: لفتان، المغرب الإسلامي، ص 101.
- (66) - أنظر: Hicham Djait, (La Conquête Arabe et L'émirat) Histoire de la Tunisie, le moyen âge, Tunis, S.T.D. sans date, tome II, pp 43-43.
- (67) - أبو العرت، طبقات علماء إفريقية، ص 146، المالكي، رياح النفوس ج 1، ص 336-337.
- (68) - الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص 107.
- (69) - لمعرفة ترجمته، أنظر أبو العرت، طبقات ص 105، 106، المالكي، رياح النفوس، ص 172-173.
- (70) - محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الحوارة، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1973، ص 46-47.
- (71) - ابن عذابي، البيان، ج 1، ص 52.

وجمع الاموال ، وأباد الغنم للحصول على الجلود المسلية من سخالها (72) لا رسالها الى الخليفة في المشرق ((فتأرت البربر بالمغرب الاقصى ، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية في الاسلام (73) .

فهذه الوضعية التي نلشتها منطقة المغرب في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، والتي تبدت في سوء المعاملة والقسوة وداغيان بعض الولاة ، شجعت المغاربة على اعتناق المذاهب الخارجة بقوا لقيام بالثورة (74) للاطاحة بالعمال والولاة الطاغاة . مما أدى الى ظهور العديد من الدويلات ذات الطابع المذهبي .

وأول دولة خارجية ، هي دولة برغواطة التي ظهرت سنة 424 هـ / 742 م في اقليم تاهسنا (75) تحت زعامة " طريف " أحد قواد مسيرة المدغسي (76) . وبعد وفاته خلفه ابنه صالح الذي تسمى بصالح المؤمنين (77) . كما ادعى النبوة ، وشرع لبرغواطة ديانة خاصة ، عهد بها الى ابنه ألياس ، الذي أمره باخفائها ، واظهرها حين يقوى أمره . وتولى بعده ابنه ألياس الامارة حيث بقي في العرش نصف قرن من الزمن مظهرا الديانة الاسلامية ، ثم خلفه ابنه يونس ((فأظهر ديانة جده ، ودعا اليها وقتل من لم يدخل فيها)) (78) .

(72) - ابن خلدون ، الصبر ، ج 1 ، ص 246 ، أبو جعفر بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، 1977 ، ط 4 ، ج 4 ، ص 254 - 255 ، وقد تناول هذه المسألة صاحب أخبار مجموعة بقوله ((. . . وقد يقول من يطعن على الأئمة أنهم إنما خرجوا ضيقاً من سير عملهم وأن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عدال طنجة في جلود الخرفان المسلية فتدبغ مائة شاة فربما لم يوجد فيها جلد واحد وهو قول أهل البغض للأئمة)) مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، مجرط ، 1667 ، ص 31 ، 32 .

(73) - ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 52 ، وقاين القيق القيرواني ، فتح افريقية والمغرب ، ص 109 .

(74) - عن الثورات ، أنظر : عبد العزيز فيلالتي ((أسباب الثورة الشعبية المغربية رومقد ماتتها في العقد الثالث من القرن الثاني الهجري ببلاد المغرب)) سرتاء العدد 1 ، السنة الاولى (نوفمبر) ص 38 - 45 .

(75) - تامسنا : منطقة بالمغرب الاقصى تمتد الى اليوم الشاوية وشي ما بين سلا وأزمور على ساحل المحيط الاطلسي ، أنظر ابن خلدون ، الصبر ، ج 1 ، ص 423 . أحمد مختار المبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1973 ، ص 276 - 279 .

(76) - مسيرة المدغسي : اثار في المغرب الاقصى الى ساحل الحجاب المرادي وقتله وعين نفسه خليفة غير أنه لم يحسن السيرة فقتل وولى مكانه خالد بن حميد الزناتي ، راجع ، ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 52 - 53 ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1335 ، ط 5 ، ج 4 ، ص 222 .

(77) - ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 234 .

(78) - نفســـــــــــــــــه ، ص 234 .

وقد دانت في عهده البرغواطة الكثير من القبائل (79)، وعاشت هذه الدولة أكثر من أربعة قرون على الرغم من المحاولات التي قام بها ملوك العدوتين للقضاء عليها . فحاربهم الأدارسة والاميون والشيعة (80) والمرابطون قبل أن يدرهم الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي بصورة نهائية سنة 543هـ / 1143 .

ان دولة برغواطة التي ظهرت في خضم ثورات القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد ، لا نعرف مدى أهمية الجماعات اليهودية بها . غير أن المصادر تؤكد على نسب مؤسسها الأول طريف ((ولد شمعون بن يعقوب بن اسحاق)) (81) . كما جاء في شهادة سفير برغواطة أبو صالح زمو البرغواطي للحكم المستنصر سنة 352 هـ / 963 م . مما يثبت أصل مؤسس الدولة اليهودي . وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون ((آخرون يقولون في صالح أنه يهودي من ولد شمعون ابن يعقوب)) (82) . ويذهب شلوش الى أبعد من ذلك في أن الامبراطورية البرغواطية كما يسميها ((اسلامية في شكلها ، بربرية في طقوسها وعاداتها ، ويهودية في أساسها واتجاهاتها)) (83) .

وقبل النظر في هذا الزعم ، نتعرف على الاسس التي تقوم عليها ديانة برغواطة . انها تستند على قرآن ؟ من وضع صالح باللهجة المحلية يتألف من ثمانين سورة ، نسب أكثرها الى أسماء الانبياء وأولها سورة أيوب ، وأخرها سورة يونس (84) . ومن تعاليم هذه الديانة صوم رجب وأكل شهر رمضان . وإقامة خمس صلوات في اليوم وأخرى مماثلة في الليلة . وعيد الاضحى في اليوم الحادي عشر من محرم عوضاً من عشرة ذي الحجة . وفي الاغتسال يبدأ الوضوء بالسجدة والخاصرتين .

(79) - البكي ، المغرب ، ص 140 - 141 .

(80) - ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 432 .

(81) - البكي ، المغرب ، ص 135 .

(82) - ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 435 .

(83) - أنظر : N.SLOUSCH "l'EMPIRE des Berghouata et les origines des Blad-Es-Siba" Revue du Monde Musulman, Tome 10, (1910), p.396

(84) - وتحمل سورة أخرى أسماء الحيوان : سورة الديك ، سورة الحجل ، سورة الجراد ، سورة الجمل ، سورة الحنش ، أنظر ، البكي ، المغرب في ذكر افريقية وبلاد المغرب ص 140 ، ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 327 ، علي ابن أبي زرع الفاسي ، الايبس المطارب بروح القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، دار الفينيق للطباعة والوراقة ، 1972 ، ص 131 ، أنظر أيضاً ، ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 429 .

وقد ادخل صالح بن طريف تعديلات في أوقات الصلاة حيث حول صلاة الجمعة الى يوم الخميس ضحاً أي بعد طلوع الشمس (85) .

ومن الناحية الاجتماعية ، فقد تضمنت تعليمه حرية الزواج ((من النساء ما استداع على مبايعتهن والافتاق عليهن بلا حد عدد)) (86) . ومنع الزواج بالمسلمات ، وأباحة الطلاق ورجم الزاني ، ونفى الكاذب ، وتحريم أكل رؤوس الحيوانات ، كما حرم ذبح الديك لأنه بمثابة الاذان إذ به يتصرفون على الوقت . وكذلك حرمت ديانة صالح أكل البيض والدجاج مكروهة الا في حالة الاضطرار ، ولا يوكل الحوت الا بعد أن يذكى أي يذبح (87) .

هذه بعض الملامح عن ديانة برغواطة التي دانت بمذاهب معتقدة ملحدة (88) ، كانت على ما يبدو أصل الصراع بينها وبين الدويلات المغربية الاخرى . استغل زعماء برغواطة ضعف الحقول وكثرة الجهل المتفشي في أوساط المغاربة (89) لنشر مذهبهم الديني ، على الرغم من وجود بعد التقاليد الاسلامية المشوهة التي اندمجت بالطابع المحلي (90) .

أما فيما يتعلق بنسب طريف ، اليهودي ، فابن خلدون يطرح هذه المسألة من خلال المصهبة بقوله ((وأما صالح بن طريف فمصرّف منهم - البهيري - وليس من غيرهم ، ولا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل لمنقطع جذمة دخيل في نسبه)) (91) . فهذا الكلام إذا ما قارناه بالاحداث التاريخية ، لم يكن قاعدة مطلقة ، بل رأينا كيف أن دويلات أخرى ظهرت في المغرب الاسلامي بزعامية مقطوعي جذمة مثل حكام الدولة الرستمية بتاعمرت * .

(85) - البكري ، المغرب ، ص 133 - 139 ، ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 236 ، 237 ، ابن أبي زرع ، الانيس المطارب ، ص 130 ، 131 ، أنظر ، أيضاً ، الفرد بيل ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1981 ، ط 2 ، ص 175 - 176 .

(86) - البكري ، المغرب ، 139 .

(87) - البكري ، المغرب ، ص 139 - 140 ابن أبي زرع ، الانيس المطارب ، ص 131 .

(88) - بيل ، الفرق الاسلامية ، ص 179 .

(89) - ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ص 225 .

(90) - الصيادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 262 .

(91) - ابن خلدون ، المعبر ، ج 11 ، ص 435 .

* قال ابن الصغير (ج . . .) ولكن هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه . . . فقلدوه أموركم فان عدل فذلك الذي أردتم وان سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعهم ولا عشيرة تدفع عنه فاجمعوا رأيهم عليه (. . .) الكرايس التونسية ، المجلد 23 ، رقم 21 ، 92 ، 1975 ص 221 - 222 .

ومقابل اعتراض ابن خلدون على أصل طريف ، نجد ابن أبي زرع يؤكد الأصل اليهودي بقوله ((وكان صالح ابن داريك الذي ادعا فيهم النبوة ، رجلاً خبيثاً يهودي الأصل ، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام)) (92) . فهذه الرواية تدعم أصل الرجل الذي صرح به سفير برغواطة ، وصي من دون شك مقولة من الروايات القديمة المتواترة المستندة على التقرير الشفوي المقدم للمستنصر .

وفي الحقيقة ، إن مسألة يهودية صالح غامضة جداً ، وصعبة التحديد ، والتصديق في نفس الوقت على الرغم من أنها ليست ملفقة من داريك الأعداء ، بل قال بها سفير برغواطة الذي يريد إظهار رنيل الأسره الساكمة في ثامننا ليس إلا (93) . وهو ما ذهب إليه الأستاذ محمد طالبي الذي يذهب إلى أحد من ذلك ، فيرى بأن صالح لم يجد أجيباً على الوسط المحلي نتيجة الصق الزماني الذي سمح له بالاندماج في أوساط المغاربة (94) . ولكن هذا الرأي يحتاج إلى وثقة باليهود كما تصرف لا يندرجون في الأوساط التي يعيشون فيها بهذه السهولة ويتنصبون لأصولهم ، وديانتهم ، ويحافظون على شخصيتهم .

وهنا تكمن صعوبة التوصل إلى معرفة أصل داريك البرغواطي . ولكن هل من خلال الديانة وبعض العادات يمكن الوصول إلى هذه الحقيقة ؟ في واقع الأمر لم تكن الأسس الدينية من وضع صالح ، وإنما من وضع أحد أحفاده أي يونس بن الياس (227 - 271 م / 342 - 384 م) المعروف بحمله ، وحبسه للتنجيم . وقد رحل إلى الحج وهو أعظم ملوك برغواطة ثقافة (95) ، فالبكري يؤكد ظهور الديانة أثناء حكمه ((فأظهر ديانتهم ودعا إليها)) (96) . وقد رافق الدعوة استحصال الصلف والقوة ((وقتل من لم يدخل فيها)) (97) وذلك قصد نشر الديانة الجديدة بين الناس معتمداً في ذلك على المكانة المصنوية التي احتلها جده ، خاصة الجانب العسكري الذي برز فيه (98) .

وخلال بعض الآراء التي تزعم بوجود تأثيرات يهودية في ديانة برغواطة ، فقد استلذت تأثيراتها من المذهب الخارجي اعتماداً على فكرة التشف المثلثية في الصوم لمدة أيام . وكذلك فكسرة المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض عدلاً بعيد أن ملات جوراً والمحالفة على الأخلاق النبيلة والمالية مثل

(92) - ابن أبي زرع ، الانبئس المنارب ، ص 130 .

(93) - أنظر : Mohamed.TAIBI "Hérésie, acculturation et Nationalisme des Berberes Bargawater -

Actes du 1^{er} Congrès d'Etudes des Cultures Méditerranéennes d'influences Arabo-Berberes-Alger, SMED (1977), p.219.-

-IBID, 219.

-TALBI, IBID, p.225.

(94) - أنظر :

(95) - أنظر :

(96) - البكري ، المغرب ص 136 .

(97) - نفسه ، ص 135 .

(98) - أنظر :

-TALBI, HERESIE, p.224.

اعتبار الكذب كعيب من الكبائر ((يكفر صاحبه وينفى من الجماعة)) (99). ان هذا النوع من الاخلاق السائدة ، تحدث عنها الرحالة ابن حوقل بقوله (وفي برغواطية أمانة وبذل للطعام وتجنب للكبائر من الحرام والمحظورات من الاثام) (100).

أما الزعم القائل بأخذ المشاركة لبعض العادات اليهودية ، فلا يمكن الاعتماد عليه لتبرير تأثير اليهود في المشاركة . لقد قارن شلوش بين تحريم لحم الدجاج لدى برغواطية وفكرة محو الذنوب عن طريق الديكة لدى اليهود (101) . والحقيقة أن أهل تاهسنا لا يقدسون الديكة وإنما لها على ما يبدو مكانة خاصة لديهم ، والكل يصرف مدى الدور الذي يلعبه الديك في حياة أهل الريف بصورة عامة . ولا يخرج سكان المغرب عن هذه القاعدة . وإضافة الى ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم اعتم بالديك (102) في عدة أحاديث .

هذا بالنسبة لبعض العادات ، أما الممارسات اليومية فهي نابضة ومستمدة من العادات المغربية القديمة ، التي يعود أصلها على ما يبدو الى الطابع الوثني الذي كان يمارسه السكان طيلة قرون مضت . وليس من السهل الابتعاد عنه خاصة في المناطق النائية والبعيدة عن الحواضر الكبرى . وبمرور الوقت زالت الكثير من العادات بفعل انتشار الاسلام الصحيح ، وبفضل جهود المرابطين والموحدين ، والقبائل العربية التي تمركزت وأقامت بتلك الفواحي . وخير دليل على ذلك شهادة ابن حوقل التي مونت بنسباً ،

واليهود في هذه الدويلة لا يمكن تواجدهم ، لان المصادر اكتفت بذكر بدعة ديانتها والخروج عن أسس الديانة الاسلامية ، والحملات المجردة عليها باستمرار ودون انقطاع حتى القضاء عليها . فالرحالة حسب الوزن (ليسون الافريتي) ألفسرد بنقسنريسر قدسدم فيه عدد

(99) - بول ، الفرق الاسلامية ، ص 177 .

(100) - أبو القاسم بن حوقل النصبي ، صورة الارض ، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة ، 1979 ، ص 63 .
Slousch, L'empire des Berghouata, p.397.

(101) - أنظرة

(102) - الحديث الاول ((حدثني قتبية ابن سعيد حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم صباح الديكة فاسألوا الله من فضله فانها رأت ملكاً)) . أنظر ، مسلم ، الجامع الصحيح ، بيروت ، دار الفكر ، ذون تاريخ ، المجلد 4 ص 85 .
والحديث الثاني ((عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة)) رواه ابو داود باسناد صحيح)) . أنظر ، أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المسلمين ، تعليق رضوان محمد رضوان بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1982 ، ص 67 ، وأنظر ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، 1969 ، ط 3 ، ج 2 ، ص 253 .

الهالكين من سكان تامسنا أثناء حروبهم مع المرابطين حيث قدره بمليون نسمة رجالا ونساء وأطفالا (103) دون أن يحدد المنصر السكاني .

وهذا مما يزيد في التمسك ببعد برغواطة عن التأثير اليهودي ، إذ لا يمكن قيام دولة على أسس يهودية لا يوجد بها يهود . لقد دلت الوثائق التاريخية على قلتها وجود تجمعات يهودية في أكثر أحوال المغرب الاسلامي ذات النظم الاسلامية البحتة وبعبارة عن هذا التأثير ، فكيف لم تتمكن هذه الدولة من استقطاب وجذب اليهود اليها ؟ يمكن تفسير ذلك بحالة المواجهة اليومية التي تعيشها والحروب المستمرة خاصة بعد ظهور ديانة برغواطة وعدم وجود الاستقرار والامن ، وخوفا من ردود الفعل الجماعية ضد اليهود ، غير أن هذا التفسير وحده لا يعطينا اجابة تاريخية للاخذ به . فسكوت المصادر عن المنصر اليهودي يؤدي بنا الى ابعاد التأثيرات اليهودية التي بالغ اليهود في ابرازها بهدف اضعاف الصبغة العبرية على دولة قامت على أسس فاسدة وتحريفية لمفاهيم الاسلام . أما استمرارها لمدة تفوق أربعة قرون ، فلا يعزى لقيوتها وصلابة عقيدتها بقدر ما يعزى لانقسام المغرب بين دويلات صغيرة همها الاوحد المحافظة على التوازن السياسي ولو في اطار ضيق . ويظهر قوة المرابطين الكاسحة التي تحمل رمز التغيير لهذا الواقع السياسي المزير بحراب وسيوف داعية للاسلام السني . فبدأت المواجهة بينهم وبين برغواطة حيث ترك المرابطون في ساحة القتال الفقير عبد الله ياسين الجزولي سنة 451 هـ / 1059 م (104) الذي وصف حياته للجهاد ((في سبيل اصلاح الدين ومحاربة البدع)) (105) ورغم ذلك استطاع هؤلاء كسر شوكة برغواطة (106) الى أن جاء الموحدون ، ففقدوا على دويلة برغواطة القائمة على أسس اسلامية فاسدة مزوجة ببعض العادات القديمة .

(103) — الحسن بن محمد الوزان الفاسي مليون الافريقي — وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1983 ، ط 2 ، ص 196 .

(104) — اما ابن خلدون فيقدر سنة وفاته بحام 450 هـ أنظر ، الصبر ، ج 11 ، ص 376 و 434 .

(105) — عبد الحميد حاجيات ((المرابطون ونورهم في تاريخ المغرب وحضارته)) مجلة التاريخ ، عدد 3 (أفريل 76) ص 35 .

(106) — ذكر ابن أبي زرع تفاصيل ذلك في الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر الصنهاجي اللمتوني ((. . . وكان أول ما فعله أن أخذ في دفن عبد الله بن ياسين ، فلما فرغ من دفنه عبا جيوشه وقصد الى قتال برغواطة مصمما في حربه متوكلا على الله تعالى في جميع أموره ، فاستأصل برغواطة حتى فروا بين يديه وهو في أثرهم يقتل ويسبي حتى أثنى فيهم وتفرقت برغواطة في الصحراء وأدعوا له بالطاعة واسلموا اسلاما جديدا ، ولم يبق لديانتهم اثر الى اليوم . . .)) الانيس المطرب ، ص 133 .

وفي زحمة حوادث القرن الثامن للهجرة / الثاني الميلادي ، استطاعت الصفرية أن تؤسس لها إمارة بسجل مائة سنة 146 هـ / 758 م بعد تلاشي نفوذ السلطة المركزية أثناء ثورة ميسرة في المغرب الأوسط والاقصى . خلا الجو لدعاة الصفرية للنشر هذا المذهب (107) فاتصلوا بأبي القاسم سمجون من أهل مكناسة ، كان يلتجئ بموضع سجل مائة (108) . وبعد أن كثرت عددهم ((قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الاسود ، وولوه أمرهم)) (109) ثم شرعوا في بناء المدينة التي تحولت في نهاية القرن الثاني للهجرة إلى مركز تجاري هام رافقه تطوّر ديمغرافي (110) . مما أدّى إلى جلب واستقرار عدد كبير من التجار المسلمين القادمين من الأمصار الإسلامية في المشرق والمغرب ، وكذا جماعات من أهل الذمة كاليهود (111) الذين ستوضح فيما بعد مدى سيطرتهم على اقتصاديات المدينة .

وبعد سلسلة وجيزة ظهرت الدولة الرستمية سنة 161 هـ / 777 م التي قامت على عاتق عبد الرحمن بن رستم (112) وقد كان نسيجهما الحضري يتكون من أجناس مختلفة ومتباينة كالمغاربة والصرب والسودان واليهود والنصارى (113) لما أصبحت المدينة مزدحمة (114) ،

-
- (107) — عبد الحميد حاجيات ((مذهب الصفرية في سجل مائة)) مجلة التاريخ عدد 6 (جويلية 1973) ص 17
 (108) — البكي ، المغرب ، ص 149 .
 (109) — ابن قداي ، البيان المغرب ، ج 1 ، ص 156 .
 (110) — الحبيب الجحاني ، المغرب الإسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3 — 4 هـ / 10 — 9 م) ، تونس الدار التونسية للنشر ، 1978 ص 174 .
 (111) — نفسه ، ص 167 .
 (112) — عن تولية عبد الرحمن بن رستم ، أنظر ، ابن الصغير ، تاريخ ، ص 221 — 222 .
 (113) — ابن الصغير ، تاريخ ، ص 224 — 225 ، محمد بن رمضان شاوش ، السرد الوثاق في شعربكر بن حماد التاهرتي ، مستفام ، المطبعة الحلوية ، 1966 ، ط 1 ، ص 32 .
 (114) — قال ابن الصغير في هذا الشأن ((... ليس أحد ينزل بهم من الغريب الا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله حتى لا ترى دارا الا قيل هذا فلان الكوفي وهذه فلان البصري وهذه فلان القروي ... واستعملت السبل إلى بلاد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الامتعة فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون ...)) ص 324 ، 325 .

وحينما انتصرت الجيوش العباسية في عهد الهادي بن المهدي على العلويين في موقعة فخ سنة 169 هـ / 785 م (115) هرب ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي وقصد مصر رفقة مولاة راشد ، ثم توجه نحو المغرب ، فنزل وليلي عند اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي فأكرمته وأجاره . وعمل على نشر دعوته . فاستداع أن يوثر في نفوس المغاربة بفضل فصاحة لسانه وبلاغته و ((خاصة بعد أن عرفوا قربته من الرسول فأجمعت عليه قبائل أوربة ومغيلة وصد ينسة ، وتبعته قبائل زناتة وهي لواته وسدراته ونفزة ومكناسة وغمارة ، وبايخوه بالامامة)) (116) سنة 172 هـ / 788 م فظهرت دولة الادارسة التي عاشت حوالي قرنين من الزمن .

أما اليهود في هذه الدولة ، فقد كانوا يمثلون فئة كبيرة من شرائح المجتمع فابن ابي زرع تحدث عن تجمع اليهود في الحاضرة التي بناها ادريس الثاني في فاس بقوله ((تجمع فيها عدد كبير من اليهود ممن رغب في العافية)) (117) وقد سيطر هؤلاء على المدينة حتى أصبح يطلق عليها ((فاس بلد بلاناس)) (118) ويقصد بدون مسلمين (119) .

ويذكر ابن خلدون أن مؤسس الدولة الادريسية ادريس الاول ، زحف على القبائل الذين كانوا على دين المجوسية واليهودية والنصرانية مثل قندلاوة وبهلوانة ومدبولسة ، وفتح تامسنا عاصمة بوقواطة (120) . لقد ناقشنا هذه المسألة من قبل . والاشارة الهامة لدى صاحب البحر قدو في ذكره ديانة شالا وتادلا وتامسنا الذين أكد على يهوديتهم وتصبرهم فاسلم أكثرهم على يديه (121) . وهذا يعتبر الديانة اليهودية منتشرة في تامسنا ، غير أنه لم يشر الى ذلك حينما تحدث عن ديانة بوقواطة حيث اكتفى بالقول ((. . . الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في كتب المؤرخين)) (122) .

(115) - فخ : أحد الاودية في طريق مكة تبعد عنه ما بين ثلاثة وستة أميال . أنظر ، الحصبى ، الروض ، ص 436 ، وعن هذه الواقعة ، أنظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 74 - 76 .

(116) - السيد / عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 1 ، ص 469 .

(117) - نقلا عن ج . ف . ب ، هو بكنز ، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة امين توفيق الطيبي ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1986 ، ص 120 .

(118) - البكري ، المغرب ، ص 115 .

(119) - هو بكنز ، النظم الاسلامية في المغرب ، ص 120 .

(120) - ابن خلدون ، المعبر ، ج 7 ، ص 24 .

(121) - نفسه ، ص 24 .

(122) - نفسه ، ج 11 ، ص 429 .

ونتيجة لذلك تركز الى التحفظ فيما يتعلق بهذه الاشارة . وليس من المستبعد أن يكون ادريس الاول قد حارب اليهود وبقيّة المذاهب الاخرى طبقا لسياسته الرامية الى نشر الدين الاسلامي الصحيح وتوطيد أركانه في تلك الربوع .

وفي نهاية القرن الثاني الهجري ، قامت دولة الاغلبية التي تعتبر أهم الدويلات التي ظهرت خلال هذا القرن (123) . فقد كانت ولاية افريقية تحسنت امرة محمد بن مقاتل الحكي الذي عينه هارون الرشيد سنة 181 هـ / 797 م (124) فأساء السيرة في الرعية وكما أوضح ذلك الرقيق القيرواني بقوله ((ولم يكن بالمحمود السيرة)) (125) فثاروا عليه وخرج على طاعته تميم التميمي ، فساعده عامل الزاب ابراهيم بن الاغلب الذي استطاع أن يوقف الثورة ، وأعاد محمد بن مقاتل الى امارته بالقيروان . ولكن ((كره أهل البلاد ولايته ، وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد في ذلك)) (126) متعهدا بدفع أربعين ألف دينار في مقابل ما اسقاط ما كانت تدفعه الدولة العباسية الى افريقية . استشار الرشيد أصحابه وكتب له الجهد بالولاية (127) سنة 184 هـ / 800 م قال له فيه ((قد تقدم لكم بافريقية أمر)) (128) وبذلك استقلت الولاية عن الخلافة العباسية استقلالاً جزئياً . وقد استطاعت هذه الدولة أن تعيش أكثر من مائة سنة قبل القضاء عليها من طرف الدولة الفاطمية .

سكن افريقية الاغلبية أجناس متعددة (129) من بينها اليهود ، إذ تشير المصادر الى اتخاذ اجراءات صارمة ضد اليهود والنصارى كالتي اتخذها عبد الله بن أحمد ابن طالب الذي ((جعل على أكتاف اليهود والنصارى رقاعاً بيضاء ، في كل رقعة صورة قرد وخنزير ، وعلى أبواب دورهم

(123) — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 372 .

(124) — ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 103 .

(125) — الرقيق القيرواني ، ص 203 ، وكذا ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 104 .

(126) — ابن خلدون ، المعبر ، ج 7 ، ص 419 .

(127) — نفسه ، ص 419 ، وقال ابن الاثير ((. . . فأحضر الرشيد ثقاته واستشارهم فيمن يوليه افريقية وذكر لهم كرامة أهلها محمد بن مقاتل فأشار حرمة ابراهيم بن الاغلب وذكر له ما رآه من عقله ، ودينه ، وكفايته وأنه قام بحفظ افريقية على ابن مقاتل فولاه الرشيد في المحرم سنة أربعة وثمانين ومائة)) الكامل ، ج 5 ، ص 104 .

(128) — ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 93 ، أحمد بن أبي ضيف ، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1975 ، ط 2 ج 1 ، ص 129 .

(129) — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 415 — 421 .

ألواح مسمرة في الابواب مصور فيها قردة ((13 C)) مما يثبت استيطان جالية يهودية في مدينة القيروان لان عبارة ((دورهم)) تدل على الكثرة وعلى ما يبدو تجمعوا في حي خاص بهم .

وفي هذا الوقت بدأ الشيعة يعددون العدة للشروع فيهم . فأرسل القائم بالدعوة الاسماعيلية في اليمن ابن حوشب رجلين الى المغرب أحدهما يعرف بأبي سفيان والثاني بالحلواني وعلى ايديهما تشييع الكثير من المغاربة (131) . وبعد وفاتهما عهد بالدعوة الى ابي عبد الله الشيعي فقال له ابن حوشب ((ان ارض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبوسفيان وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فادها موطأة مهيبة لك (132) فخرج الى الحج مستترا ، فلقى رجالات كتامة (133) ورؤسائهم . وارتحل معهم الى المغرب حيث نزل بأرض كتامة . وانتشرت أخباره .)) وأقبلوا اليه من كل ناحية ، فتسامع الناس بأنه يدعو الى أمر مكتوم لا يحلمونه ، وأن من دخل الامر لم يظهره ولا شيئا منه (((134) . ثم جالصر بعد ذلك بمذهبه ، وأعلن الامامة لأهل البيت فاتبعه أكثر كتامة (135) .

وبعد أن قويت شوكة الداعية الاسماعيلي ، وكثر الداخلون في دعوته بدأ في عملياته الحربية للاطاحة بالغالبة . وقد كانت معركة اليريس سنة 296 هـ بداية فاتحة عهد جديد ، إذ فر زيادة الله الاغربي على اثرها الى مصر ، واستطاع أبو عبد الله دخول رقادة في نفس السنة على رأس تسعين ألف محارب ، ثم توجه الى سجلماسة لاخراج مولاة عبيد الله المهدي من سجنه عند اليسع بن مدرار . وفي طريقه اليها دك كيان الدولة الرستميّة سنة 296 هـ ، كما تمكن من التغلب على صاحب سجلماسة في نفس السنة . وعاد الى افريقية فنزل بقرقنة ونذاك ظهرت الدولة العبديّة في المغرب .

(130) — المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 476 — 477 قان أيضا ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات ، دار الحياة ، بيروت ، ودار الفكر ليبيا ، 1968 ، ج 2 ، ص 205 .

(131) — القاضي النعمان بن محمد ، رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت ، دار الثقافة ، 1970 ، ط 1 ، ص 4 — 55 .

(132) — ابن الاثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 127 .

(133) — عن كتامة ومضا ربها ، أنظر ، موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الجزائر ، مش ومن . ته 1979 ، ص 92 وما يليها .

(134) — القاضي النعمان ، رسالة افتتاح الدعوة ، ص 76 .

(135) — ابن خلدون ، المعبر ، ج 7 ، ص 67 .

أما اليهود ، فقد استمر تواجدهم بالمغرب ، واستعانت الدولة الفاطمية ببعضهم في تدبير شؤون الدولة والادارة . فقد استوزر الممزر لدين الله ، يعقوب ابن يوسف بن كلس . كما تحصل على هذا المنصب أبو سعيد اسحاق الاسرائيلي (137) . وإذا ما تجاوزنا المنصر اليهودي في الدولة الفاطمية أثناء وجودها في المغرب ، هناك مسألة اهتم بها المؤرخون ، وتتمثل في نسب الفاطميين وما مدى صحة انتمائهم الى نسل فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد اتخذ المؤرخون مواقف متباينة ، منهم المؤيد ومنهم الناصر (138) ولكن الذي يهمنا هنا قول البعض بنسبهم اليهودي .

كتب ابن كثير يشير الى نسب الفاطميين ((الذين نبهوا بافريقية ويلقب أميرهم بالمهدي ، وهو أبو محمد عبد الله ابن ميمون القداح ، وقد كان صياغيا بسلامية ، وكان يهوديا فادعى أنه أسلم ، ثم سافر من سلمية فدخل بلاد افريقية فادعى أنه شريف فاطمي فصدقه على ذلك كثير من البربر وغيرهم من الجهلة وصارت لهم دولة)) (139) .

وذكر ابن عذاري رواية أخرى على لسان بعض المؤرخين مفادها ((أن جعفر بن علي كانت له جارية ، فخشىها رجل من القرامطة ، وقيل من اليهود ، دفعت له مالا فلان يهواها وتهواها ، وقتلت جعفر مولاها ، فولدت جد عبيد الله هذا . فمن خفيت عليه هذه القصة قال انه علي)) (140) .

- (136) — ابن خلدون ، المعبر ، ج 7 ، ص 67 .
 (137) — أبو عبد الله محمد الصنهاجي المعروف بابن حمد ، أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم ، تحقيق وتحليل جلول أحمد البدي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 26 ، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة ، التهامي نقرة ، وعبد الحليم عويس ، الرياض ، دار العلوم ، 1981 ، ص 49 ، حسن حسن عبد الوهاب ، ورقات ، تونس ، مكتبة المنار ، 1972 ، القسم الاول ، ص 237 .
 (138) — عن هذه الآراء ، أنظر ، عماد الدين اسماعيل ابي الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، دون تاريخ ، المجلد الاول ، ج 2 ، ص 63 — 64 ، ابن الاثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 124 — 126 ، وأيضا ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ومصر ، وسورية ، وبلاد العرب ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1953 ، ط 2 ، ص 57 — 79 .
 (139) — ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل الدمشقي ، البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف ، 1966 ، ط 1 ، ج 11 ، ص 161 .
 (140) — ابن عذاري ، البيان ، ج 1 ، ص 159 .

وجاءت رواية أخرى عند ابن ظافر الأزدي (141) ملخصها قتل اليسع

آخر ملوك بني مدرار بسجلماسة لعبيد الله المهدي في السجن . وحيثما جاء
عبيد الله الشيعي لأخراجه ، ولما عرف بموته عوضه بشخص آخر يهودي (142) .
وقد روى ابن خلكان حادثة القتل ((فدخل أبو عبد الله إلى السجن
فوجد المهدي مقتولا وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه ، فخاف أبو عبد الله أن
ينتفض عليه ما دبره من الأمران عرفت الحساكر بقتل المهدي ، فأخرج الرجل وقال :
هذا هو المهدي (143) دون الإشارة ليهوديته .

وتحدث ياقوت عن المهدي ((اختلف في نسبه فأكثر أهل السير الذين
لم يدخلوا في رعيته وبعض رعيته الذين كانوا يخفون أمرهم يزعمون أنه كان ابن
يهودي من أهل سلمية الشام وتزوج القداح الذي كان أصل هذه الدعوة بأمره
فرباه إلى أن حضرته الوفاة ولم يكن له ولد فعهد إليه وعلمه الدعوة...)) (144) .
ونقل ابن تغري بردي رواية القاضي عبد الجبار البصري في هذا الموضوع
((اسم جد الخلفاء المصريين سعيد ، ويلقب بالمهدي ، وكان أبوه يهوديا حدادا
بسلمية)) (145) .

إن هذه الروايات المتخلفة في شكلها ، والتي تتفق في جوهرها الطامن
في نسب الفاطميين ، تبين الأصول اليهودية لدولة بن عبید . ولكن في الحقيقة
لم يتوقف المؤرخون كثيرا عندها . فاتهامهم بالنسب اليهودي يعود إلى كرمهم
للحاكم الفاطمي وقصد الحط من شأن الأسرة الحاكمة ، ولم يكن على أساس تاريخي (146) .

141 - هو الوزير جمال الدين أبو الحسن الأزدي المصري ابن أبي منصور ، ولد سنة
567 هـ / 623 م أديب ومؤرخ من تأليفه ((الدول المنقطعة)) و ((بدائع
البدائع)) و ((أخبار الشجعان)) و ((أخبار الملوك السلجوقية)) ، أنظره
محمد بن شاكر الكبتي ، فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ،
دار الثقافة 1974 ، ج 3 ، ص 26 - 32 .

142 - ينقل عن موسى لقبال ، دور كتامة ، ص 324 ، الهامش ، رقم 505 .

143 - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات
الاعيان وأبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ،
1963 ، ج 3 ، ص 118 .

144 - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، بيروت ،
دار صادر ، ودار بيروت ، 1957 ، ج 5 ، ص 220 .

145 - جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في
ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، 1963 ،
ج 4 ، ص 75 .

146 - برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، تقديم ومراجعة
خليل أحمد خليل ، بيروت ، دار الحداثة ، 1966 ، ط 1 ، ص 117 .

فالرواية القائلة بموت المهدي في سجنه ، تفد ما الاحداث التاريخية، وحتى تلك المتحدثة عن قتلهم ((تروي أحداث الفترة التالية لفتح سجلماصة وكأن حادث القتل لم يقع لان عبيد الله استمر محورا لكل ما جرى في بلاد المغرب منذ أن استقر في رقادة الى يوم وفاته الطبيعية في المهديية)) (147). ومن هذا المنطلق فالرواية التي قالت بموت المهدي ، واحلال يهودي في مكانه ليس لها أي أساس وبعبارة التصور (148).

أما الرواية التي أورد ما ياقوت الحموي ، فقد علق عليها كناقل محايد معللا ظهور أصلها من أهل السير الذين لم يدخلوا في رعيتهم أو بعض الرعايا الذين يخفون أمرهم . وعبارة الزعم (149) تقلل من شأنها ومن قيمتها التاريخية . ان أول من اختلق النسب اليهودي للفاطميين ابن مالك صاحب كتاب ((كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة)) الذي عاصر أيام المستنصر حينما بلغ النفوذ اليهودي (150) أقصاه (151) حيث كتب يقول ((والدليل على أنهم من ولد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم

(147) - لقبال ، دور كتامة ، ص 325 .

(148) - نفسه ، ص 324 ، الهامش رقم 505 .

(149) - تتوضح عبارة الزعم من حيث مفهومها في المجدد ((زعم قال قولاً حقا أو باطلا ، وأكثر ما يقال فيما يشك أو يعتقد كذب)) المجدد في اللغة والاعلام ، بيروت ، دار الشروق ، 1984 ، ص 299 .

(150) - ارتفع شأن أهل الذمة ، خاصة اليهود في عهده حيث تولى أبو سعيد التستني اليهودي ديوان والدة الخليفة المستنصر ، كما تقلد أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي اليهودي الوزارة . فاعتم التستني مكانته المرموقة وتحيز لليهود فتقلدوا الكثير من المناصب العليا في الدولة . وقد ازدادت سلطته وسيادته على شؤون القصر ، فأصبح الفلاحي يحتمل منصب الوزارة أسما فقط ، فاستغل هذا الأخير استياء الناس واتهمهم بذن السمل لريحان زعيم الاشرار ، فترصدوا له وقتلوه سنة 439 هـ . ولكن المستنصر عين شقيقه أبا نصر وقتل ابنه أحد الدواوين . ونظرا لمكانة التستني لدى أم الخليفة تدخلت ، فأقيل الفلاحي من منصبه وسجن ثم قتل . أنظر ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهيبي بابن الصيرفي ، الاشارة من نال الوزارة ، تحقيق عبد الله مخلص بغداد ، مكتبة المثنى ، طبعة بالافسنت ، ص 37 - 38 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 19 ، حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص 170 ، محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهد ما ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1974 ، ص 155 .

(151) - برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص 118 ، وتشير دراسة حديثة أن بداية الطعن في نسب الفاطميين ظهرت في المغرب عن طريق المؤرخ القيرواني ابن شداد وايضا الشاعر الخزاعي الذين شك في نسبهم بقوله :
امن اليهود ؟ أم النصارى ؟ أم هم
راجع محمد الهادي ، ابن عاتق المغربي الاندلسي شارحا الدولة الفاطمية ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1985 ، ص 249 و 250 .

تدبير السياسة ومازالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم)) (152) .
 ان هذه الحجة غير كافية لاتهام الفاطميين ورميهم بالنسب اليهودي .
 ومن خلال ذلك نفهم رد الفعل هذا فاختلاف النسب اليهودي ، الفرض منه ضرب
 الدولة الفاطمية من الاساس ، قصد تجميع كل العوامل الممكنة للاتاحة بها انطلاقاً
 من بذر الشك والتشكيك في نسبها .

وبعد استقرار الامر في يد الفاطميين في المغرب ، بدأ هؤلاء التفكير
 في نقل قاعدتهم الى مصر ، فالمغرب لا يصلح أن يكون مركزاً لدولتهم زيادة عن
 الاضطرابات المتكررة وضعف الموارد الاقتصادية ، فضلاً عن قرب مصر من الخلافة
 العباسية ، التي يطمحون في الاطاحة بها (153) .

وقد حاول عبيد الله المهدي فتح مصر ثلاث مرات ، الاولى سنة
 301 هـ / 913 م والثانية سنة 307 هـ / 919 م والثالثة 321 هـ / 923 م فان فشلت
 الحملات (154) فانها أظهرت عدم استقلالة فتح مصر ، لاضطراب أوضاعها السياسية
 والاقتصادية ، خاصة وأن الدعاة الفاطميين هبوا الارضية لنشر المذهب الاسماعيلي
 (155) .

ولما تولى العزيز لدين الله الفاطمي (156) عهد الى قائده جوهراً
 الصقلي (157) للاستيلاء على مصر بعد وفاة كافور الاخشيدي . فدخلها ودعا
 للمفسر في سنة 358 هـ / 968 م وبدأ في بناء مدينة القاهرة فسي
 أول ليلة نزوله بها . وفي سنة 361 هـ / 971 م دخل المعز القاهرة بعد
 ان استخلف على افرريقية يوسف بن بلكين بن زبي الصنهاجي (159) .

-
- (152) — محمد حمدي المناوي ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص 33 .
 (153) — محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 62 ، وعن القول
 الفصل في مسألة النسب الفاطمي ، انظر ، المجلة التونسية للعلوم
 الاجتماعية ، العدد 40 — 43 السنة الثالثة عشر (1975) ص 55 وما يليها .
 (154) — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، صص 610 — 620 .
 (155) — جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 61 .
 (156) — عن هذا الخليفة الفاطمي ، راجع ، حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف ،
 المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ط 2
 (157) — عن القائد جوهراً ، راجع ، علي إبراهيم حسن ، تاريخ جوهراً الصقلي قائد
 المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ، ط 2 .
 (158) — ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 4 ، ص 28 ، بعد الاستيلاء على مصر
 أرسل جوهراً يرف الخبر للمفسر ، فقال ابن هاني الاندلسي :
 يقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضى الامر
 ومذ جاوز الاسكندرية جوهراً تصاحبه البشرية ويقدمه النصر
 ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج 4 ، ص 30 ، وقارن القصيدة بنظيرتها
 المكتبة في ديوان ابن هاني ببيروت ، دار صادر ، 1980 ، ص 131 .
 (159) — ابن تغري بردي ، نفسه ، ص 2 ، القلقشندي ، مآثر الايافة في معالم
 الخلافة ، تحقيق عبد الستار فراج ، بيروت ، عالم الكتب ، 1980 ، ج 1 ص 307 .

وبانتقال الدولة الفاطمية الى مصر ، بدأت تظهر النواة الاولى للدولة الزيرية في المغرب ، على الرغم من بقاء التبعية للخليفة الفاطمي بالقاهرة حيث بقيت الخطابة على المنابر للفاطميين ، وضربت السكة باسمهم ، وارسال الجزية الى مصر كل سنة (160) .

ولما تولى المعز بن باديس - وقد كان ((منحرفا عن مذاهب الرافضة ومتحالا للسننة فأعلن بمذمبه لاول ولايته)) (161) . وعلى ما يبدو فان تربيسة وزيره ابن ابي الرجال على المذهب السني قد أثرت فيه (162) - قطع الصلة بالفاطميين وأقام الدعوة بالمغرب للقائم بأمر الله العباسي (163) . وقبل الوصول الى مرحلة القطيعة أو الازمة الكبرى (164) سبقته مجموعة من الاعمال لخصها الدكتور موسى لقبال في اضطهاد الشيعة والتحالف مع المالكية والوفاق مع كتامة والفتح على العالم الخارجي والتدخل في ميدان صقلية وعلاقة الود التي تربط المعز بن باديس بأبي العالم علي بن أحمد الجرجاني (165) التي اساسها الاتفاق في الرأي حول نظام الخلافة الفاطمية (166) ، وتميزت المرحلة الاخيرة بسوء العلاقة بين المعز والوزير اليازوي نتيجة للسياسة التي انتهجها المعز تجاه الدولة الفاطمية وتجاه اليازوي نفسه . وقد شرح ابن الاثير هذا الخلاف بقوله ((. . . ثم ان المستنصر استوزر الحسن ابن علي اليازوي ولم يكن من أهل الوزارة انما كان من أهل البقعة والفلاحنة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بحبده فخطب اليازوي بصنيعه فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع الى ما يجب فأكثر الوقاحة في المعز وأغرى به المستنصر . . .)) (167) .

160 - حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص 251 - 252 .

161 - ابن خلدون ، المسود ، ج 11 ، ص 325 .

162 - ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 373 .

163 - اختلف المؤرخون حول تاريخ القطيعة ومظاهرها ، انظر HADY Roger IDRIS La Berberie Orientale sous les Zirides X-XII Siècles, Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, 1962, Tome I, p.p.172 et suites

وأيضاً ، عبد العزيز سالم ، نفسه ، ص 660 - 664 .

164 - لقبال ، كتامة ، ص 597 .

165 - الجرجاني نسبة الى جرجانيا بسواد العراق أمر الحاكم الفاطمي بقطع يديه ، توفي سنة 436 هـ انظر ، ابن الصيرفي ، الاشارة ، ص 35 ، 36 ، ابن خلكان ، وفيات ، ج 3 ، ص 407 ، المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص 253 - 254 .

166 - لقبال ، كتامة ، ص 590 - 602 .

167 - ابن الاثير ، الكامل ، ج 3 ، ص 55 .

ونتيجة لذلك دفع الفادميون قبائل بني حلال وبني سليم للانتقام من العبد الأبق فقال لهم اليازوي ((قد أعطيتكم المغرب ، وملك المعز بن بلكيسن الصهاجي العبد الأبق فلا تفتقرون)) وكتب إلى المعز قائلاً ((أما بعد فقد انفضا اليكم خيولاً فحولاً ، وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)) (168) . اجتاحت القبائل أرض المغرب ، فخرج المعز لصدّها ، غير أنها أوقعت به الهزيمة ودخلت القبائل إلى مدينة القيروان فخربت : ولكي يخلص نفسه صاهر بناته أمراء العرب (169) . وانتهى المعز أيامه الأخيرة في مدينة المهدية حزناً إلى أن توفي في سنة 454 هـ / 1062م (170) . وتقلصت الدولة الزيرية في إفريقية حيث شملت المهدية وما يليها (171) .

أما فيما يتعلق بالعنصر اليهودي في الدولة الزيرية بإفريقية ، فإن المصادر تؤكد حضوره فالشماخي تحدث عن وجود اليهود في الوسط الأباضي بالمنطقة الجنوبية الإفريقية وجبل نفوسة وسدوس وجادو (172) . كما سيطر على ما بيدو من خلال مسألة قدمت للمازي ليفتي فيها تفيد أن تجارة الحرير في قصبة بأيدي اليهود (173) . والمعز بن باديس نفسه قد اتخذ كطبيب ابن عطاء اليهودي (174) .

- (168) — ابن خلدون ، المعبر ، ج 11 ، ص 31 .
 (169) — نفسه ، ص 34 .
 (170) — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج 2 ، ص 671 .
 (171) — ابن أبي ضياف ، اتحاف أهل الزمان ، ج 1 ، ص 186 — 187 .
 (172) — أنظر Roger Idris, la Berberie Orientale sous les Zirides, T.II, p.764 — Rachid Bouruiba "L'esprit de tolérance chez les Zirides, les hammadijtes et les Normands de Sicile" Actes du deuxième Congrès International d'Etudes des Cultures de la Méditerranée Occidentale II, SNED, Alger, 1978, P.251 .
 (173) — محمد السابري ((جوانب من الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصاد في إفريقية في أواخر القرن (5) وأوائل القرن (6) للهجرة من خلال فتاوي عبد الحميد المائع والمازي)) دراسات وبحوث مقارنة ، تونس ، المطبعة المصرية 1975 ، ط 1 ، ص 145 .
 (174) — الدباغ : معالم الإيمان ، تحقيق وتعليق محمد مازور ، تونس ، المكتبة ، الحقيقة ، ج 3 ، ص 161 ، أحمد بن ميلاد ، تاريخ الطب العربي التونسي ، في عشرة قرون ، تونس ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ، 1980 ، ص 61 .

وقد توصل الاستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب إعادة بناء مدينة القيروان من خلال تأليف المؤرخين والجغرافيين حيث وصف أرباعي المدينة الأمية، والحارات والشوارع والأزقة والأسواق الحاضرة من بينها سوق اليهود المجاور لرب الفرساين في داخل المدينة (175) وذلك في عهد الدولة الزيانية أي خلال القرن الخامس الهجري . كما توصل إلى حصر عدد السكان وقد رهم بمائة ألف نسمة (176) . ولكنه لم يتحدث عن أهمية الجالية اليهودية بل اكتفى بذكرهم ضمن العناصر السكانية الكثيرة التي تقطن المدينة بقوله (. . . زيادة على ما كان يقطنها من اليهود والنصارى الذين بقوا متمسكين بديانتهم محترمين في أشخاصهم وشعائهم لتسامح الإسلام) (177) .

فالجالية اليهودية في هذا العهد كبيرة دون شك على الرغم من قلة النصوص التاريخية لأن مدينة القيروان كأبرز حاضرة في المغرب ، وكمركز تجاري هام قد جلبت اليهود إليها فهم (انتقلوا وانتشروا . . . بكيفية منتظمة على طول الطرق التجارية في كل عالم متحضر سواء كان عالم الحضارة اليونانية أو الرومانية أو العربية) (178) . وبالتالي فالقيروان لا تشذ عن هذه القاعدة الذهبية المعروفة ، والتي يمكن بها حل سر انتشار اليهود في الأرض .

هذا عن التواجد اليهودي في ظل الدولة الصنهاجية من شعبسة آل باديس في إفريقية . أما الشعبة الثانية فهي الدولة الحمادية أي آل حماد التي ظهرت في المغرب الأوسط . لقد لعب حماد بن بلكين بن زبي دورا عسكريا نشطا أثناء ثورة الأخوين ماكسن وزاوي سنة 390 هـ / 1000 م على باديس بن والقضاء على زناتة (179) وأسس القلعة سنة 393 هـ / 1007 م (180) ، وهذا التاريخ (يعني بداية الميلاذ العلمي والتاريخي للدولة) (181) .

(175) — حسن حسني عبد الوهاب ، بساط الحقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، تقديم العروسي المطاوي ، تونس ، مكتبة المنار ، 1970 ، ط 2 ص 15 و 16 .

(176) — نفسه ، ص 25 .

(177) — نفسه ، ص 31 .

(178) — عبد المجيد مزبان ((العرب واليهود في التاريخ)) مجلة الثقافة عدد 14 السنة الثالثة (أفريل ، ماي 1973) ص 116 .

(179) — عن زناتة وفروعها ومضاربها ، أنظر ، محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 15 — 21 .

(180) — ابن خلدون ، المعبر ، ج 11 ، ص 349 — 350 .

(181) — عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد . صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، دار الشروق ، 1980 ، ط 1 ص 62 .

وفي سنة 405 هـ / 1014 م استقل حماد ، وخالف دعوة باديس ، وقتل الشيعة وأظهر السنة ولبذ طاعة العبيد بين ودعا للبيت الصباسي (131) ، وبذلك ظهرت الدولة الحمادية في المغرب الأوسط . ثم شرع الناصر بن علناس في بناء حاضرة جديدة سنة 460 هـ / 1067 م هي بجاية ساهما ((الناصرية)) .

ان الدراسات تتحدث عن وجود العنصر اليهودي في قلعة بني حماد (132) حينما تعرضت لتشكيلة السكان . ولكن هذه المعلومات غير كافية لاختذ فكرة واضحة عن الجالية اليهودية في الدولة الحمادية ، إذ تقتصر المعلومات على الإشارة إليهم فقط (133) دون التوفيل في أوساطها .

أما الحمادريدورها فهي تسكت عن العنصر اليهودي ، ولا نجد بعض الشذرات الا في كتب الفتاوي والنوازل .

ومن دون شك فان مدينة ((الناصرية)) قد تجمعت فيها جاليات يهودية ، وذلك بالاعتماد على الدراسة المقارنة ، فلا يصح وجود جاليات مسيحية تتمتع بحريية العقيدة والحمل في قياب الجالية اليهودية . وبصورة عامة فقد تجمعت جاليات أجنبية من بينها اليهود الذين كونوا مدرسة تلمودية في قلعة بني حماد يرأسها سليمان ديان بن فرماس بعد أن ترأسها اسحاق بن يعقوب الفاسي (134) .

ان وجود مثل هذه المدرسة يعطينا فكرة حقيقية عن الجالية اليهودية بهذه الدولة ، لانه لا يمكن ظهور مثل هذه المدرسة الا بوجود عدد كبير من اليهود الذين يحتاجون الى مثلها للنظر في شؤونهم وعلاقتهم بالآخرين .

- (131) - ابن خلدون ، المعبر ، ج 11 ، ص 350 - 351 .
- (132) - رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، 1977 ، ص 161 و ص 166 ، عويس ، دولة بني حماد ، ص 241 ، وص 256 - 257 .
- H.Roger Idris, la Barberie Orientale, T.II, P.764, Bouruiba, l'esprit de tolérance, p.251.

(133) - كتب الاستاذ عويس ((والى جانب هذه الدوائف وجدت طوائف مذهبية متداخلة معها . . . فمن سنة مالكية وأحناف الى شيعة - كعيسى كتامة - الى مسيحيين ، الى خارجين أباضية ، الى يهود)) الدولة الحمادية ، ص 239 .

- (134) - أنظر : H.Roger Idris, la Barberie Orientale, T.II, p.808 .
- R.Brun Schvig, la Barberie Orientale sous les Hafsides, T.I, p.397.

بورويبة ، الدولة الحمادية ، ص 193 .

بينما كان الجزء الشرقي من المغرب الاسلامي يعيش حالة اضطراب ، كان المغرب الأقصى تنقسمه أربعة قوى هي قبائل غمارة في الشمال ، وقبائل برغواطة في الغرب ، وزناتة مكونة نطاقا حول هذه القبائل ، ثم طوائف الشيعة الزاوية ، والوثنيين في الجنوب بتارونادنت عاصمة السوس الأقصى (185) .

تلك هي وضعية المغرب الاسلامي ، حينما بدأت تظهر قوة جديدة تجمعت حول الفقيه عبد الله بن ياسين في منطقة الصحراء ، وقد سمي أتباعه بالمرابطيين (186) . ولما شح برقوة ايمانهم ، وارتفاع عددهم قال لهم ((ان ألفا لن تغلب من قلة ، وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه ، فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا)) (187) . فاستولوا على بلاد السوس واستولوا على تارونادنت ، ثم توجهوا الى بلاد الحوز ودخلوا العاصمة أغمات التي اختيرت عاصمة مؤقتة لهم نظرا لتحضرها وقربها من الصحراء (188) .

وتوجهت بعد ذلك القوات المرابطية لمحاربة برغواطة وغمارة ، وفي احدى المعارك استشهد عبد الله بن ياسين سنة 451 هـ / 1059 م . فخلفه ابا بكر بن عمر اللمتوني الذي أعاد تنظيم الصفوف ، وأثارة الروح المعنوية بعد استشهاد الزعيم الروحي وعبأ الجيش وقصد الى قتال برغواطة ، فاستأصل شأفتهم وأسلموا أسلاما جديدا (189) . وأمر أبو بكر بن عمر بتأسيس مدينة جديدة هي مراكش سنة 262 هـ / 1070 م . وفي أثناء انهماكه في بناء الحاضرة الجديدة ، وردت عليه أخبار فتنة الصحراء ، فتوجه الى الجنوب وعين يوسف بن تاشفين على الامارة (190) .

وبتولية هذا الأخير ((دخلت دولة المرابطين في عهد جديد ، حيث حققت تحويلا جذريا للاوضاع السياسية في المغرب الاسلامي)) (191) . فقام بتنظيم شؤون الامارة ، وبعدها توسع المرابطون ، فاستولوا على مكناسة ، وقاس ، وطنجة ، ثم فتح وجدة ، وتلمسان ، ووهران ، وتونس ، والجزائر ، ولاغناطة أمراء الاندلس لم يقدم على اقتحام الدولة الحمادية (192) .

-
- (185) - العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 272 .
 (186) - ابن عذابي ، البيان ، ج 4 ، ص 12 ، ابن خلدون ، المعبر ، ج 11 ص 375 .
 (187) - ابن خلدون ، المعبر ، ج 11 ، ص 374 - 375 .
 (188) - العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص 294 .
 (189) - ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ، ص 133 .
 (190) - لسان الدين بن الخطيب ، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تصحيح البشير الفوراتي ، تونس ، مطبعة التقدم الاسلامية ، 1913 ، ص 12 .
 (191) - حاجيات ، المرابطون ودورهم ، ص 36 .
 (192) - نفسه ، ص 36 .

وفي هذه الدولة عاشت جاليات يهودية في أكبر المدن ، فقد تحدث البكبي عن مدينة فاس بقوله ((وهي أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الافاق)) (193) . واستوطنت جالية يهودية أخرى مدينة سجلماسة يشتغل معظمها في اعمال البناء (194) .

وذكر الادريسي . اليهود للمستوطنين في مدينة أغمات ايلان ((وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد . . . وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف)) (195) وذلك لأسباب موضوعية لا دخل للتعصب الديني مثلما ذكر الاستاذ حركات حينما قال ((وعلى كل فوجود الفقهاء على رأس الجهاز السياسي ، وكثير منهم أندلسيون متحصبون ، أثر بظبيعة الحال في موقف المرابطين من اليهود)) (196) .

وبصورة عامة ، فالجاليات اليهودية ، استمرت تواجدنا بالمغرب الإسلامي في عهد المرابطين ، متوزعين في عدة مناطق أهمها المدن الكبرى خاصة مدينة فاس التي بقيت تحتوي على جالية ضخمة الى القرن السادس الهجري (197) . وأيضا المدن الأندلسية .

وقد نعمت هذه الجالية بالهدوء والطمأنينة ، خاصة في بداية الامر أي أثناء امارة يوسف بن تاشفين الذي غامل أهل الذمة باحكام الكتاب والسنة (198) .

-
- (193) - البكبي ، المغرب ، ص 115 .
 (194) - نفسه ، ص 149 .
 (195) - الشريف الادريسي ، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، مأخوذ من كتاب نزعة المشتاق في اختراق الافاق ، تصحيح ونشر مني بيويش ، الجزائر ، دار الكتاب ، 1957 ، ص 45 ، الادريسي ، المغرب العربي ، من كتاب نزعة المشتاق ، تحقيق وترجمة محمد حاج صادق ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ، القسم العربي ص 86 .
 (196) - ابراهيم حركات ، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ، الدار البيضاء ، منشورات مكتبة الوحدة العربية ، دون تاريخ ، ص 129 ، حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 217 .
 (197) - عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، 1983 ، ط 1 ص 106 .
 (198) - ابن أبي زرع ، الانيس المطارب ، ص 137 ، أحمد بن خالد الناصبي السلاوي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، القاهرة ، 1312 هـ ، المجلد الاول ، ص 133 ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، في المغرب والاندلس ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1964 ، القسم الاول ، ص 51 .

ولما أفل نجم المرابطين ، قامت الدولة الموحدية على أساس ديني قوامه الامر بالمصروف والنهي عن المنكر . ويعود الفضل إلى ظهورها للمهدي ابن تومرت (199) وإلى خلفه عبد المؤمن بن علي الكومي (200) واضع دعائمها الحقيقية ، فاتخذ من مراكش عاصمة للدولة ، ومنها سيطر على كامل بلاد المغرب . واثروفاته خلفه ابنه أبو يعقوب يوسف ، فسار على نهج أبيه في السياسة الداخلية والخارجية (201) . ومن أعم أعماله السياسية والعسكرية جوازه إلى الاندلس لمحاربة المسيحيين فدفع روحه ثمنا للجهاد والاسلام والمسلمين سنة 580 هـ / 1184 م (202) . وأما أعماله الداخلية ، فأهم مشروع قام به هو وضع الاسس لبناء مدينة جديدة هي الرباط عاصمة المغرب السياسية في الوقت الحاضر (203) .

وبوفاة محمد الناصر (595 هـ / 610 م) دخلت الدولة الموحدية في دور الضعف ، اثر معركة العقاب ، وظهور قوة جديدة تتمثل في المرينيين (204) الذين أصبحوا يكونون خطرا على دولته .
وحيثما أل الحكم إلى ادريس المأمون (624 هـ / 629 م) أبطل الدعا للمهدي ومحا اسمه من السكة ، مستبذلا اياها بحملة جديدة ، وكل بشيوخ الموحدين ، فأدى كل ذلك إلى استقلال أبي زكرياء الحفصي في افريقية ، وظهور يغمراسن بن زيان في تلمسان على رأس بني عبد الواد . فانقسمت الدولة قبل القضاء عليها نهائيا سنة 663 هـ / 1269 م .

199 - المهدي بن تومرت (470 - 522/480 - 524 هـ) مصلح ديني مراكشي زار المشرق للرحلة وطلب العلم ، عاد إلى المغرب وسعى لتكسيب دولة الموحدين ، أنظر ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 5 ، صص 45-55 ، رشيد بورويبة ، ابن تومرت ، ترجمة عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 .

200 - عبد المؤمن بن علي (ت 553 هـ) خلف المهدي ، استطاع توحيد المغرب الاسلامي تحت حكمه ، أنظر ، ابن أبي زرع ، الائيس المطارب ، صص 103-205 ، أنظر أيضا ، صالح بن قرية ، عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب ، الجزائر منشورات وزارة الثقافة والسياحة (الموسوعة التاريخية للشباب) 1935 .

201 - حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 269 .

202 - أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، تونس ، المكتبة العتيقة ، 1966 ، ط 2 ، ص 14 .

203 - حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، ص 272 .

204 - المرينيون قبيلة زياتية ناصبت الموحدين العداء ، عاشت في المناطق الصحراوية إلى أن قويت شوكتها ، فقصت نهائيا على الموحدين ، وأسسوا دولة سنة 663 هـ ، أنظر ، ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، صص 343-345 .

لقد تواجد اليهود في الدولة الموحدية أثناء حكمها للمغرب الاسلامي ، ويحضر هذا التواجد استمرارا وامتدادا للجاليات اليهودية في مصر الموابطي . أما مراكز اقامتهم فهي كثيرة منها تلمسان (205) حيث ذكر ابن سعيد المغربي أحد هم ، وقد نزل بداره قاضي المدينة فخاطبه بقولـه ((يا اسرائيل دياركم نظيفة ، وداخلكم طيب ، وشرابكم رائق)) . وهو كلام يوحى بوجود عدد كبير من دور اليهود بتلمسان .

وسكن اليهود مدينة تونس (206) التي كانت بها جالية منذ القديم وقد نعمت بالرخاء في حكم الخراسان (207) . ولكن هذا الوضع تغير في العهد الموحيدي ، إذ فرض عليهم المنصور سنة 595 هـ / 1195 م (الشكلة 208) وجعل قمعهم دلول ذراع في عرش ذراع وجعل لهم برانس وقلانس زرقا () (209) وذلك للتمييز بينهم وبين بقية سكان تونس . وقد شمل هذا الاجراء كل يهود المغرب بما في ذلك الاندلس (210) .

واستقر اليهود في مدن مغربية أخرى ، ذكر منها صاحب الاستبصار فاس (211) ومراكش (212) . ومن دون شك في بقية الحواضر الكبرى في المغرب الاسلامي ، على الرغم من هجرة اليهود منذ مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الى المشرق ، أكدت وثائق جسيما القاهرة ، التي اثبتت انتمسالة بعض سكان الساحل التونسي من اليهود ، واقامتهم بمدينة القفسندس (213) .

(205) — أبو الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد ، الفصول الياعة فسي محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق ابراهيم الياي ، درا المعارف بمصر ، 1967 ، ط 2 ، ص 33 .

(206) — الناصبي السلاوي ، الاستقصا ، مجلد 1 ، ص 155 ، عبد العزيز الدولائي ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولائي ، تونس ، دار سراس للنشر ، 1981 ، ص 49 و 51 .

(207) — عن بني خراسان ، أنظر ، ابن خلدون ، العبر ، ج 11 ، ص 334 — 337 .

(208) — الشكلة علامة لتمييز اليهود عن غيرهم ، أنظر : E.Fagnau, additions aux Dictionnaires Arabes, Beyrouth, librairie du Liban, sans date, p90.

(209) — الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص 16 ، ويخالف ابن الشماخ الزركشي في تاريخ فرض الشكلة على اليهود ، قارن الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المصموي ، تونس ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1984 ، ص 66 .

(210) — محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني ، ص 235 . وقد تهكم اليهودي ابن النخالة على هذا القرار في أرجوزة مطلقها : ليس ذا الزرق ليس فيه خسارا فافهموا يا قوم هذه الاشارة .

(211) — عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 110 .

(212) — نفسه مرقى 114 .

(213) — نفسه ، ص 114 ، 115 .

4 الوضعية القانونية لليهود :

بعد هذه اللمحة عن التواجد اليهودي في المغرب الإسلامي المستمر منذ بداية الفتح حتى سقوط الدولة الموحدية على أيدي المرينيين ، نتساءل عن وضعية اليهود القانونية ، أي ماهي الأحكام التي طبقت عليهم كجالية عاشت بين ظهراي الدول المغربية التي تعاقبت على أرض المغرب ؟ لقد أطلق على اليهود والنصارى الذين يعيشون في بلاد الإسلام ((أهل الذمة)) ، والذمة في اللغة تعني الأمان والعهد ، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف ((... يسمى بذرهم أدناهم ...)) وقد فسر الفقهاء ذمتهم بمعنى الأمان (214) ، لذلك فإن عقد الذمة ترتب عليه الأمان على الأرواح والأعراض والأموال في دار الإسلام .

وقد شرع عقد الذمة ، بعد فتح مكة في السنة التاسعة من الهجرة بنص من القرآن الكريم إذ قال الله تعالى ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون بدین الحنيفة من الذين أوتوا الكتاب متى يمدوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) (215) . فأُكمل الذمة لهم الأمان على أرواحهم وممتلكاتهم ، والبقاء على كفرهم مقابل دفع الجزية (216) الموضوعة على الرووس وتسقط بالإسلام .

وفصل الماوردي عقد الجزية والشروط المترتبة عليها وهي نوعان مستحق ومستحب . أما المستحق ف ستة :

- (1) — أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف .
- (2) — أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب ولا ازدراء .
- (3) — أن لا يذكروا دين الإسلام بدم له ولا قدح فيه .
- (4) — أن لا يهينوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح .
- (5) — أن لا يفتلوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا لدينه .
- (6) — أن لا يهينوا أهل الحرب ولا يودوا وأغنيائهم .

(214) — عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، بغداد مكتبة القدس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1982 ، ص 22 .

(215) — شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، تحقيق وتعليق ، صبحي الصالح ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1963 ، ط 3 ، القسم الأول ، ص 1 ، زيدان ، أحكام الذميين ، ص 26 . علي بن محمد حبيب البصير الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 ، ص 124 ، والسورة هي التوبة ، الآية 29 .

(216) — الجزية : الجزية موضوعة على الرووس واسمها مشتق من الجزاء ، وهي جزاء على كفرهم أو جزاء على الأمان لهم لا خدما منهم رفقا ، ولا تجب إلا على الرجال الأحرار العقلاء ، انظر الماوردي ، الأحكام ، ص 124 — 125 .

وأما المستعجب فستة أيضا:

- (1) ... تغيير هياكلهم بلبس القيار وشدة الزنار.
- (2) ... أن لا يحلوا على المسلمين في الأبتية، ويكونوا ان لم ينقصوا مساوين لهم.
- (3) ... أن لا يسمعونهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزير والمسيح.
- (4) ... أن لا يجازروهم بشرب خمرهم ولا باظهار صلباتهم وخنائهم.
- (5) ... أن لا يخفوا دفن موتاهم ولا يجازروا بتدب عليهم ولا تهاجة.
- (6) ... أن لا يمدحوا من ركوب الخيل عناقيا ومجانا ولا يمنحوا من ركوب البغال وأحمد (217).

ان هذه الشروط المترتبة على عقد الجزية توضح مدى التسامح الذي أبداه المسلمون تجاه أهل الكتاب من يهود ونصارى ((حقنا للدماء وشفاء للصدور من الغيظ، واحلالا للتراجع والتسامح بدل العنف والظلم وقطاعا لمظاهر الكيد وأسباب الفتنة بين المتعاشين المتساكنين من مسلمين وغيرهم ممن دخل في ذمتهم واحتصى بحمصاهم)) (218).

وأحكام أهل الذمة مستمدة من مصادر التشريع الاسلامي. اذ قرب الاسلام بين أصحاب الديانات الاخرى وبينه حيث أمر أتباعه بتصديق الانبياء قبل الرسول صلى عليه وسلم فلم يتهجم على أحد منهم والاية الكريمة توضح ذلك ((قولوا آمنا بالله وأنزل اليها ونزل الي ابراهيم واسماعيل واسحق عيسى وبعقوب والاسباط، وما أوتى موسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) (219).

فحقوق أهل الذمة مضمونة في الدولة الاسلامية ما أقاموا على العهد ولم ينكثوا ولم يخذروا ((فان خانوا اليهود وحادوا المواقيق وأخذوا من الامر ما فيه بيل أو أذى أو اعتداء على مقومات الاسلام العقيدية والسياسية خرجوا من الذمة الى الحرب ومن الاستجارة الى الكيد ... لا بد من التشديد عليهم ومحاربتهم الى أن ينقطع أذاعهم)) (220).

واليهود في المغرب لا يخرجون على هذه الاحكام، حيث طبقت عليهم فاستمرت معاملة المسلمين لليهود بالتسامح والرفق. وقد أعيد بهذه المعاملة الانسانية ((اليهود كانوا في الحقيقة أسعد حالا أكثر مما كانوا في غالب البلاد الاوروبية حيث نهضوا لحقد قاس)) (221) يعامل المغاربة اليهود بقسوة الا في الظروف التي يتجاوزون فيها

(217) ... الماوردي بالاحكام السلطانية، ص 126.

(218) ... بلخوجة، اليهود في المغرب العربي، ص 21.

(219) ... سورة البقرة، الآية 136.

(220) ... بلخوجة، اليهود، ص 22.

(221) ... أنظر ...

الاحكام . خاصة حينما يعبثون بالقوانين الاسلامية ويتحالفون مع الاعداء مثلما حدث في العهد الموحي .

وبصورة عامة فاليهود في المغرب عوملوا معاملة أهل الذممة في الاسلام انطلاقا من النصوص الشرعية . وقد قابل هذه السياسة المبنية على التسامح تجاوزات برزت في الحياة الاجتماعية والاقتصادية كانت لها الاثر السيء على اليهود ولكن في حالة قوة الدولة التي عاصروها ، وذلك تبعا للاسلوب المنتهج من طرف الحكام ومسندى تمسكهم بالنصوص الشرعية .

وخلاصة القول ، أن وجود اليهود في المغرب أثناء الفتح ممكن نظرا لوجود بقايا جاليات يهودية من الحصور القديمة ، ولكن المصادر التاريخية الاسلامية لا توضح لنا حقيقة هذا الوجود لانها سكنت عن الحصر اليهودي خلافا للعناصر المسيحية التي كانت حاضرة انطلاقا من شهادات المؤرخين . أما اليهودية في المغرب ، فالحوادث التاريخية لا تؤكد بالتسليم بها ، لما لهذه القضية من علاقة مباشرة مع الوجود اليهودي ، وانما قبلت بالسهولة المعروفة من طرف الباحثين لعدم توقفهم عندها جيدا . لذلك أصبحت من المسلمات التاريخية ؟ فان كانت النصوص لا تؤكد هذه ((الحقيقة)) ؟ فلا يمكن قبول المقاربات للتوصل الى معرفتها مثلما فعل شلوش وغيره الذين اعتمدوا على بعض التقاليد للقول بتغلغل اليهودية في أوساط المغاربة . فان كان هناك تغلغل فهو يتمثل في النصرانية التي اختلت مواقع هامة في الحواضر الكبرى ، ولدى سكان السواحل وبعض القبائل المغربية .

أما بعد الفتح فان المغرب أصبح منطقة جذب بالنسبة لليهود ، فظهرت الجاليات بكل وضوح ، لان المصادر الاسلامية شاهدة على ذلك غير أن لا يمكن الان تحديد مناطق الهجرة اليهودية الى المغرب الاسلامي وسبلها . فالرخاء الاقتصادي والتسامح الاسلامي هما الحاملان الاساسيان للذان ساعدوا اليهود للتوجه الى أرض المغرب . فكل الدويلات التي تعاقبت عليه ، احتوت عدد كبير من اليهود .

وقد رأى البعض بأن هذه الدويلات منها ما كان يهوديا أيضا ، وهذا الرأي يحتاج الى اعادة النظر في دولة برغواطة ، فشهادة سفير هذه الدولة وصاحب صلاة البرغواطيين زمر بن موسى بن هشام التي عرضها البكي تحتاج الى تأكيد (122) .

122 - أنظر: A. Benachenhou la dynastie Almora vide et son art. Alger Imprimerie E.P.A. 1974 pp. 30-31.

لأنه لم يخادر الاندلس (123) من ناحية . ومن ناحية أخرى فهو لم يطلع بصورة مؤكدة على وثائق قرطبة (124) .

وما قيل في نسب برغواطة يمكن أن يقال عن نسب الفاداميين الذين اختلقوا لهم النسب اليهودي ، فلم يتوقف حتى المستشرقون عند هذه المسألة كثيراً واستبعدوا هذا الانتماء لأنه ادعاء ظهر في خضم الصراع الفاطمي - الحباسي .

أما عن وضعية اليهود الإدارية في المغرب الاسلامي منذ الفتح إلى نهاية الدولة الموحدية ، فقد دخل هؤلاء ضمن التشكيلات السكانية وأُطلق عليهم المصادر ((أهل الذمة)) حيث تمتعوا بالحقوق الواجبة للأجانب على هذه الوضعية المستمدة من الشرع الاسلامي الذي خول لهم حقوقاً لم تتمتعوا بها في ظل أراضي خارجة عن دار الاسلام .

لقد أبرز البحث أهمية الجاليات اليهودية بعد الفتح ، وأما كون تواجدهم في إطار الدول المغربية من القرن الثاني للهجرة إلى القرن السابع والمكانة التي يحتلونها في الإطار القانوني . فما هي حياتهم الاجتماعية كجالية تتعايش في المجتمع الاسلامي في المغرب . وما هو موقف السلطات والمجتمع منهم ؟ وهو ما يتناوله الفصل الثالث بالإضافة إلى الحياة الاقتصادية لليهود أي المهن التي اشتغلوا بها ، ودورهم في الاقتصاد المغربي عموماً ،

(123) - اغناطيوس يوليا بوقتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ماشم ، مراجعة ايغور بلياسن ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (اختارته الادارة الثقافية فسي جامعة الدول العربية ، 1963 ، القسم الاول ، ص 275 .

(124) - نفسه ، ص 276 .

الفصل الثالث

حياة الاجتماعية والاقتصادية لليهود

١. الحياة الاجتماعية

٢. الحياة الاقتصادية

1) - الحياة الاجتماعية :

لـ السكن : لقد كانت المدن الإسلامية تخطط في أعقاب الفتح الإسلامي ، لتصبح مواقع عسكرية وإدارية تدعى دور الهجرة . فكانت القبائل تقطن الدروب الخاصة بها (1) . ويتطور الزمن توافدت على هذه المدن الجديدة عناصر تمتلئ العديد من الصنائع والأعمال التجارية . فنمت هذه المراكز ، وتعددت اشاداتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فتحوّلت إلى أمصار .

والمدن المغربية لم تخرج أو تتعد عن تخطيط بقية الأمصار الإسلامية التي تبني حول المسجد ودار الإمارة تحيط بها أرض خلاء ، ومنها تتفرع الطرقات والسدروب (2) . وقد نجم عن هذه الوضعية وجود أحياء خاصة باليهود تدعى الحارة أو حارة اليهود أو حارة خيبر كما هي الحال بالنسبة لمدينة القيروان (3) . وعلى ما يبدو أن هذه التسمية ، هي التي أطلق منها البعض للقول بوجود يهود خيبر في منطقة المغرب كما عرفنا (4) .

وفي أكثر المدن المغربية يتجمع اليهود في أحياء خاصة بهم في أغلب الأحيان ، يطلق عليها اسم الحارة التي ترادف كلمة الحومة وتمني الحي (5) . والتسمية قد تختلف أحيانا من عصر إلى آخر . فهم يتجمعون في الملاح بالمغرب الأقصى ، وقاعة اليهود أو المسبنة نسبة ليوم السبت في اليمن ، وفي حارة اليهود في مصر ، والشيتتل في شرق أوروبا التي تعني باللغة اليديشية المدينة الصغيرة ، والقاهال التي تعني جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد (6) . وفي أوروبا تدعى أحياء اليهود أيضا بالجيـتـو (Ghetto) .

1) - عبد العزيز الدوي (المؤسسات الحكومية) المدينة الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد تلح ، أشرف على النشر ، ر.ب. سرجنت ، اليونسكو ، السيكومور فجر ، 1983 ، ص 53 .

2) - نفسه ، ص 53 ، وراجع ، محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد 128 ، ص 238 وما يليها .

3) - أنظر : Idris. la berberie orientale T II p. 423.

4) - أنظر : Cahen. op.cit. p. 23.

5) - أنظر : Paul Sébag avec la collaboration de Robert Attal.

l'évolution d'un ghetto nord africain. lahara de Tunis. publication de l'institut des hautes études de Tunis. 1959 p 7.

6) - رشاد عبد الله الشامي ، الشخصية اليهودية والإسرائيلية والروح المدوانية ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد 102 ، ص 12 وما يليها .

لقد زعم الكتاب اليهود أن المعاملة الاجتماعية السيئة ، هي التي جعلتهم يتجمعون في أحياء خاصة ، وذلك نتيجة للمصرية التي يتعرض لها اليهود في العالم الاسلامي . ولكن هذه الحجة غير مقبولة من الناحية التاريخية ولا من وجهة النظر الاجتماعية . فوجود اليهود في مناطق خاصة بهم لا تعود للحامل العنصري ، حيث أن تسمية الأحياء في كثير من الأحيان ترجع الى المصر البشري الذي يقطن بالحي . والمصادر تتحدث عن أحياء خاصة بالقباط في المدن الاسلامية الكبرى كالبصرة ، وبغداد مدينة السلام (7) والقاهرة (8) وغيرها . ومن ناحية أخرى فان الأقليات دائما كانت تتجمع في المدن بأحياء خاصة لكي لا تحس بالغرابة ، فالحادات والتقاليد والمميزات المشتركة تساعدها على الانسجام فيما بينها .

لذلك فالزعم الراجح عن الأحياء اليهودية ، ليس له سند تاريخي ، فالمصادر المشرقية تتحدث عن الحارة كمناطق تجمع للسكان المسلمين ، فقد جاء في كتاب البرزلي " جامع مسائل الأحكام " أن ابن أبي زيد القيرواني سئل في فتوى تحتوي كلمة ((الحارة)) فنفهم بأنها تخص تجمع المسلمين (9) ، ولذلك فهي لا تقتصر على اليهود ، بل أحياء قد تضم المسلمين وقد تضم اليهود .

ومسألة التجمع في الأصل ضرورة اجتماعية ، أكثر مما هي رد فعل لليهود على المعاملة القاسية التي يتعرضون لها ، وهي ميزة خاصة يتميزون بها في كل المجتمعات التي عاشوا بينها .

وبالنسبة لجالية تونس ، تستقر في حارة لا تعود لليهود القديمة ، وتروي بعض الروايات أن الولي سيدي محرز بن خلصيف (10) سمح لليهود بالاقامة في موضع قريب من المقر الحالي لهم (11) ، وتدعى حارة اليهود وذلك لحمايتهم .

(7) - راجع ل . ماسنيون ، خطط البصرة وبغداد ، ترجمة وإضافة ابراهيم السمراي ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1981 ، ط 1 ، ص 16 وما بعدها .

(8) - عبد الرحمن زكي ، بناء القاهرة في ألف عام ، المكتبة الثقافية ، عدد 220 ، مصر ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دون تاريخ ، ص 5 - 5 .

(9) - أبو القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي ، جامع مسائل الأحكام فيما نزل بالمفتيين والحكام ، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر ، رقم 1333 ورقة 143 .

(10) - محرز بن خلف ، أنظر ترجمته في المرجع الموالي ، الهامش 11 من هذه الصفحة .

(11) - زين العابدين بن السنوسي ، محرز بن خلف زعيم الثورة ضد الشيعة ، تقديم ومراجعة أحمد الطويلي ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1981 ، ص 178 وأنظر Idris , op.cit p. 23. ومحمد بن خوجعة ، تاريخ معالسم .

التوحيد في القديم وفي الجديد ، تحقيق وتقديم ، الجيلالي بن الحاج يحيى ، وحمادي الساحلي ، بيروت ، دار المشرق الاسلامي ، 1985 ، ط 2 ، ص 204 .

ومن المدن التي استقر بها اليهود فاس (12) ولكن المصادر لم تحدد بالضبط الدروب التي سكنوها على الرغم من كثرتهم مثلما ذكر البكي (13). أما يهود مراكش فقد تجمعوا في أغمات آيلان، إذ أمر الأمير المرابطي علي بن يوسف (500 — 537 هـ / 1106 — 1142 م) بإخراجهم من المدينة (14) فزلوا ببساتين أغمات التي اختصوا بها تقريبا (15).

وبما أن اليهود ينوزعون على أكثر مدن المغرب الإسلامي، ويحكم عدد هم القليل وبالمقارنة مع السكان المسلمين فقد تجمعوا في أحياء خاصة بهم كما هو الحال بتيهوت ويحرف د رهم بدرب الدهادنة (16). وبالنسبة لهؤلاء فإن أكثر أحيائهم ومساكنهم تكون قريبة من بيت الحاكم لتضمن لهم الحماية في الوقت الملائم (17) الشيء الذي يصح على يهود الاندلس أيضا في بعض الأحيان.

ومن اليهود من قطنوا بين المسلمين وفي أحيائهم ودروبهم، وهو ما نفهمه من الإشارات التي ترد في المصادر. ففي مدينة القيروان وضع القاضي أحمد بن طالب على دور اليهود ألواح مسمرة عليها صورة قسرد (18) لمعرفة بيوتهم الموجودة في الأحياء التي يسكنها المسلمون.

والفتاوى التي أفتى بها العلماء المسلمون، تشير إلى وجود سكان يهود بين ظهراني المسلمين وفي أحيائهم. فقد ذكر الوئشريس أن القاضي (19) منع أحد اليهود المقربين من السلطان رفع بناء منزله (20).

(12) — البكي، المغرب، ص 115، الحميني، الروض، ص 43.

(13) — البكي، المغرب، ص 115.

(14) — الادريسي، وصف إفريقيا، ص 45.

(15) — حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، ص 216.

(16) — ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 363، إبراهيم بكير بحار، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، الجزائر، مطبعة لافوميك، 1985، ص 373.

(17) — الجحاني، المغرب الإسلامي، ص 123.

(18) — عياض، ترتيب المدارك، ج 2، ص 205، المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 477.

(19) — القاضي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المحافضي القيرواني، ولد سنة 324 هـ من الفقهاء الزهاد الواعين المغاربة، له تصانيف عديدة توفي سنة 403 هـ. أنظر، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبقات الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983، ط 1، ص 419.

(20) — أحمد بن يحيى الوئشريس، المعيار والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والاندلس والمغرب، التحقيق بإشراف محمد حجي، بيروت، دار المغرب الإسلامي، 1981، ج 2، ص 259.

وفي هذه المسألة قال الامام الشافعي ((ولا يحد ثون بناء يطولون به بناء المسلمين)) (21) وهذا المنع تنفيذه أصول المذاهب وقواعد الشرع اذ جاء في الاثر ((الاسلام يطول ولا يحل)) (22).

وقد سئل التاتبي في مسألة معاملة الجار اليهودي (23) فوافق على التعامل مع اليهود في حدود الشرع لكي يحافظ المسلم على كيانه . وأحياناً يكون درب اليهود بقرب المساجد كما جاء في احدى الفتاوى التي ذكرها الوشربسي (24) . وفي حالات أخرى يستطيع اليهودي شراء منزل في حي من أحياء المسلمين (25) . وكشفت وثائق الجنيزة حالات كثيرة لجوار اليهود للمسلمين (26) . ان مثل هذه الحالات المذكورة في المصادر الاسلامية ، وفي المصادر اليهودية ، تؤكد نزول اليهود في أحياء المسلمين والاقامة بها دون حرج أو مضايقة اذا حافظ الجار على حسن الجوار بعدم مضايقتهم ، والمساكن بما يسمح به الشرع الاسلامي ، وتقاليد وعادات المسلمين . مما يبين التسامح الذي عومل به أهل الذمة ومنهم اليهود . وهذا خلافاً للمعاملة السيئة التي كان يتعرض لها اليهود في أوروبا أثناء المصور الوسطى من قبل الحكام المسيحيين ومن البابوات الذي حشروهم في أحياء خاصة بهم (27) .

فاليهود في المغرب الاسلامي قد سكنوا أحياء خاصة بهم تدعى أحياناً بالدروب أو حي اليهود أو الحارة ، ولكن هذه التسميات لا يلمح منها الوازع العنصري ، وإنما هي كناية عن ساكنيها مثل بقية الأحياء الأخرى الخاصة بالقبائل كحي الفهر بين ، وحارة القريشيين وخطابة القرامطة (28) أو غيرهم ، وهذا في الحواضر الكبرى (29) .

(21) — ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج 2 ، ص 705 .

(22) — نفسه ، ص 705 .

(23) — الوشربسي ، المعيار ، ج 11 ، ص 300 ، 301 .

(24) — الوشربسي ، المعيار ، ج 7 ، ص 52 .

(25) — الوشربسي ، المعيار ، ج 8 ، ص 437 .

(26) — س. د . جواتيان ، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، تعريب وتحقيق د . عطية القوسي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، 1980 ، ط 1 ، ص 233 .

الهامش رقم 1 ، و ص 151 .

(27) — أنظر : Antoine Fattal ، le statut legal des non musulmans en pays d'islam Beyrouth ، imprimerie Otholique ، 1950 ، P 93 .

(28) — حسن حسني ، تيد الوهاب ، بشاطة التحقيق ، ص 15 .

(29) — نجد أيضاً هذه الأحياء في مصر الاسلامية فهناك حارة العرب ، وحارة اليهود ، زقاق الاندلسيين ، أنظر ابن دقماق ، الانتصار لواء سدة عقد الامصار ، بيروت ، مركز الموسوعات العالمية ، مصورة عن طبعة بولاق ، 1983 ، ص 12 ، 13 ، 15 ، 16 .

أما في المدن الصغرى فلا يوجد نظام الاحياء ، بل يتعايش السكان فيما بينهم . فقد تحدث المصادر عن اليهود في اجدابية (36) وقازار (31) وقملورية (32) ووجدر (33) وزوية (34) دون أن تعرف على نظامهم في السكن .
ونجد كذلك اليهود في الريف المغربي (35) غير أننا بجهل وضعية الإقامة والسكن ، ومدى مدة المكوث هناك . ولقد وردت اشارة متأخرة تعود الى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي في كتاب البوشريسي مفادها مسألة قدمت لسيد قاسم الحقباني عن يهود سكنوا في البادية ويتجرون في أنواع المتاجر ، وبعضهم سكنوا الحاضرة وتناول اقامتهم في البادية فهل تؤخذ الجزية منهم ؟ أو تؤخذ من الساكنين خاصة ؟ فأجاب ضربت عليه الجزية — المقصود اليهودي — كان بالحاضرة أو البادية (36) .

ان هذه الفتوى تدل على وجود يهود البادية منهم من يقيم بصورة دائمة ومنهم من يستقر لفترة معينة أي مؤقتة في وسط المسلمين .
وعن دور اليهود في الداخل ، فلا يعرف عنها أشياء ، ولدينا اشارة واحدة سجلها ابن سعيد المغربي عن أحد منازل اليهود بمدينة تلمسان على لسان أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مروان التلمساني (37) خاطب أحمد اليهود بقوله ((يا اسرائيلي ، دياركم نظيفة)) (38) .
وفي الحقيقة ان هذا القول لا يمكن أن نستخلص منه صورة شاملة عن دور اليهود في الداخل كالأثاث ، وتنظيم المنزل ، والزخرفة ، حتى نتعرف على مدى تأثير الحياة الاسلامية فيهم .

-
- (36) — الادريسي ، وصف إفريقيا ، ص 99 ، الحميري ، الروض ، ص 12 .
(31) — الحميري ، الروض ، ص 433 .
(32) — نفسه ، ص 488 .
(33) — البكري ، المغرب ، ص 9 .
(34) — أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق وتحليق اسماعيل الحربي ، الجزائر ، اصدارات المكتبة الوطنية ، 1979 ، ص 162 .
(35) — الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ، ص 19 .
(36) — البوشريسي ، المحيار ، ج 2 ، ص 253 ، وعن بعض اليهود في البادية المغربية ، راجع ، الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 2 ، ص 366 — 367 .
(37) — انظر ترجمته لدى ابن سعيد المغربي ، الفصول اليابعة ، ص 29 — 35 .
(38) — نفسه ، ص 33 .

ب- اللباس: رأينا في فصل سابق حين التعرض الى شروط أهل

الذمة وهي نوعان مستحق ومستحب، ومن الشروط المستحبة ((تغيير ميثاقهم بلباس
الخيار وشد الزنار)) (39). ومن خلال هذا الشرط يمكن التحدث عن لباس أهل
الذمة في المغرب الاسلامي لمعرفة نوعية هذا اللباس، ومتى فرض على اليهود ارتداء
ثياب معينة؟ وما هي الدواعي التي كانت وراء ذلك؟

فرض على يهود المغرب لباسا خاصا في أوقات معينة فقطه اذ نرى
اليهود بأزياء المسلمين. وقصة ابن عطاء اليهودي طبيب العز بن باديس نشرت بما
لا يدعو الى الشك ارتداء البسة يرتديها المسلمون حين بعثه المعز لمقاتلة أبي عيسى
عمران موسى كما رواها صاحب المعالم ((فلما دخل على الشيخ في داره ظن...
الشيخ بعض رجال الدولة الى أن قال بعض الحاضرين: أكرمك الله انه من خيار
أهل ملته، فكان الشيخ: وما ملته؟ فقال: هذا ابن عطاء اليهودي، فغضب
أبو عمران... وأمره بالخروج وهو يردد، وكان فيه معلم - دون علامة خاصة -
أمر الشيخ بصيغ دلف عمامته اشهرته (40).

وفي بعض الاحياء تصدر مراسيم سلطانية لفرض ملابس خاصة على اليهود.
ففي العهد الموحدى أمر الامير أبو يوسف يعقوب التصور حوالي 595 هـ / 1193 م
((أن يميز اليهود بالباس يختصون به دون غيرهم، وذلك ثياب كحلية وكمام مفرطة السفة
تصل الى قريب من اقدامهم، وبدلا من العمامات كلونات (41) على أشنع صورة تلبسها
البنو ادع تبلغ تحت أذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب)) (42).

(39) - الماوردي، الاحكام، ص 126.

(40) - الدباغ، معالم الايمان، ج 3، ص 161.

(41) - كلونات: مفرد ما كلوتة وهي عبارة عن طاقية توضع فوق الرأس، وقد تسمى...

الاعيان في فترات تاريخية متعاقبة في المشوق، محمد قنديل البقالي،
التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، 1984، ص 288، وأنظر: R. Dozy, dictionnaire détaillé des
noms des vêtements chez les Arabes Beyrouth Librairie du liban
sans date p. 387-388

(42) - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تعليق محمد
سعيد الصريان ومحمد الصري الحامي، القاهرة، مطبعة الاستقامة،
1950، ص 304، وأنظر: Fattal op cit. p. 105 E Fagnan

'le signe distinctif des juifs au maghreb' Revue des études juives
tome 28 1984 p. 295

ولكن الزركشي، خالف المراكشي، فذكر بأن المنصور أمرهم
 ((بحمل الشكلة (43) وجعل قمصهم طاول ذراع في عرض ذراع وجعل لهم برانس
 وقلانس زرق)) (44). غير أن هذا المرسوم لم يحمر داويلا، إذ عمل اليهود في
 عهد ابنه الناصر على تعطيلته، حينما تولى الأمير الجديد بكل ما لديهم من
 وسائل لإفائه. فأمرهم بلبس ثياب وعمائم صفراء (45).

وأمر أبو عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي بحمل
 الشكلة لليهود سنة 643 هـ / 1250 م في بداية ولايته (*). ولم تكن مثل هذه
 المراسيم جديدة على اليهود المغرب، فالمصادر تبين أن التشدد في اللباس قد
 سبق العصر الموحي. ففي عهد الأغالية أمر القاضي عبد الله بن أحمد
 بن طالب أثناء ولايته الثانية من سنة 267 هـ / 275 هـ / 380-383 م،
 بأن يضح اليهود على أكتافهم رقاعا بيضا في كل واحدة منها قرد وخنزير (46).

43- الشكلة: لا توجد هذه العلامة في قاموس دوني للملابس العربية، ولا في
 تكملة التلواميس العربية لنفس المؤلف. ووردت الكلمة لدى فانيان في
 تكميلات التلواميس العربية، بيروت، مكتبة لبنان، دون تاريخ، ص 91 كما
 يلي: ((الشكلة علامة مميزة فرضت على اليهود)) دون تفاصيل أخرى، أو
 تقديم وصف لها. وقد تسائل مؤلف آخر قائلا ((ماهي هذه الشكلة
 ... هل هي مماثلة للعلامة (Rouelle) التي يلبسونها
 (يقصد اليهود في أوروبا؟) دون أن يبت في الموضوع. أنظر:

Sebag, La hara, P.11, Brunchvig, la berbérie orientale sous les
 hafside, T.II, p.404-405.

وقد حاول هذا الأخير وصفها من خلال المقارنة فيرى بأنها قطعة من
 قماش ذات لون بارز، وأنظر:

Dhina, les Etats, p.261.

أما هوبكنز فكتب في هذا الموضوع ((وكانت الشكلة عبارة عن قمص طولها ذراع
 في عرض ذراع وبرانس وقلانس زرق)) فهو إذن يقر بأن الشكلة هي زي خاص
 وليس علامة مميزة، راجع، النظم الإسلامية في المغرب، ص 123-124.
 كما لم تتحدث كتب الحسبة عن هذه الشكلة، وأهمل ذكرها تماما، أنظر:
 Cahen, les juifs dans l'Afrique Septentrionale, p.47.

44- الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 16

45- المراكشي، المعجب، ص 335، وأنظر: Fagnan, le signe distinctif, p.206.

(*) أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ القسطيني،
 الفارسية في مبادي الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق، محمد الشاذلي النيفر
 وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968، ص 117.

46- المالكي، رباغ النفوس، ج 1، ص 476-477، عيان، ترتيب المدارك، ج 2،
 ص 265، الطالبي، تراجم أغلبية، ص 223، هوبكنز، النظم الإسلامية
 في المغرب، ص 121.

هذا بالنسبة للباس الرجال ، وفيما يتعلق بنى النساء ، فليس لدينا وثائق تمدنا بمعلومات كافية لمعرفة أزياء النساء اليهوديات في المغرب الاسلامي ، ما عدا المقارنة التي يمكن الاعتماد عليها . ففي المشرق توجد عادة اتعمال خفين أحدهما أبيض والآخر أسود . (47) .

ان هذه الشواهد التاريخية توضح تمييز اليهود عن بقية السكان في اللباس ، ولكن على ما يبدو لفترات معينة عبر التاريخ الاسلامي الداويل ، لان المصادر المفروية تبين عدم استمرارها لمدة طويلة ، أو لفترات متواصلة . وقد يتسائل الانسان حول مغزى وضع اللباس المميز ، فهل المقصود منه الاساءة كالخط من شأن اليهود ؟ أم مبروع من العنصرية ؟ أم الظروف هي التي استدعت لتمييزهم ؟ .

وفي حقيقة الامر كانت هذه الوضعية متبعة في جميع الاقطار الاسلامية على أساس الصلدة الحميرة لاهل الذمة ، اذ التزموا بعدم التشبه بالمسلمين في لباسهم وما جاء في الصلدة في هذا الشأن ((وأن يلزم زينا حيثما كنا ، والا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة)) (48) . بمعنى أن اهل الذمة أنفسهم اختاروا عدم التزين بلباس المسلمين والتشبه بهم . وكتب الحسبة تخصص دائما حيزا لهذه المسألة (49) .

ومطية التمييز هي عملية ارادية قد اختارها اهل الذمة ، وان بدت لبعض مشينة فالهدف منها ((هو التسهيل على والي المظالم لمراقبة المالكين والملاهي وحتى لا يتعرض اهل الذمة الى الحقوية والى منحهم من أشياء مخصص لهم فيها طبقا لما تعهدت لهم به دولة الاسلام من ممارسة حريتهم الدينية وحقوقهم الاجتماعية)) (50) .

(47) - عبد الرحمن بن نصر الشيزي ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ومراجعة د . السيد الباز الحري ، بيروت ، دار الثقافة ، 1969 ، ط 2 ، ص 106 .

(48) - ابن قيم الجوزية ، أحكام اهل الذمة ، ج 2 ، ص 735 .

(49) - راجع الشيزي ، نهاية الرتبة ، ص 106 ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي

المصروف بابن الاخوة ، معالم القوبة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه

روبن لبي ، كبرج ، مطبعة دار الفنون ، 1937 ، ص 40 ، أحمد سعيد

المجيلي ، التيسير في أحكام التسخير ، تقديم وتحقيق موسى لقيال ، الجزائر ،

ش . و . ن . ت . ، 1971 ، ص 77 - 78 .

(50) - محسن الحابد ، دراسات وبحوث مقارنة ، ص 147 .

هذا من الناحية القانونية بصفة عامة ، ومن ناحية أخرى تمس المعاملات اليومية ، فإن أهل الذمة يقومون بممارسات غير شرعية ، فقد تعاطى اليهود التعامل بالربا (51) ومارسوا الغش ، وتلاعبوا بالأسعار في أسواق مدينة القيروان وغيرهما ، مما استدعى القاضي عبد الله بن طالب باتخاذ مجموعة من الاجراءات ضد اليهود للحد من هذه الظاهرة التي تفتت في المشرق الاسلامي ، اذ استفحل التعامل بالربا في المجتمع القيرواني ، وحتى في المجتمعات الاسلامية (52) . وفي القيروان بالذات كان الفقيه سعيد بن الاشج (53) يساعد على التعامل بالحرام بقوله ((أديروا بينكم ما شئتم من بيع حرام ، ثم تعالوا الي أجهله لكم حالا)) (54) . فالصل الذي قام به ابن طالب هو محاولة وضع حد لليهود في معاملتهم الربوية وذلك بقصد صيانة المجتمع الاسلامي من تجاوزات أهل الذمة . وظاهرة التمييز هذه ، ليست فريدة ، واقتصرت على المجتمعات الاسلامية ، بل نجد حتى النصارى تعاملوا بها تجاه الاقليات التي تعيش معهم . ففي مملكة قشتالة صدرت عدة لوائح للتمييز بين النصارى والمسلمين واليهود (55) . وفي العهد الموحي ، فان الظروف التاريخية هي التي يمكن أن تفسر موقف الموحدين من اليهود بالتضييق عليهم ، وتمييزهم بلباس خاص . لقد قامت الدولة الموحدية على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالتالي فتشددت تجاه أهل الذمة ينطلق من الايديولوجية التي قامت عليها . بالاضافة للصرع المديريين الاسلام والمسيحية ، هذا الصراع الذي يبدو في الحروب الصليبية والدور الذي قام به اليهود للتجسس على جيوش الموحدين ونقل أسرارهم إلى الأعداء ،

(51) — تمنح الديانة اليهودية التعامل بالربا فيما بين اليهود فقد جاء في سفر التثنية بالاصحاح الثالث والخشرين ((لا تقترض أخاك الاسرائيلي ربا ، ربا فضية أو ربا طعام ، أو ربا شي مما يقترض ربا)) . ولكنهم تتسامح رفا في التعامل بها مع الاجانب من غير اليهود ((الاجنبي تقترض ربا)) . الشيخ أبو زهرة ، تحريم الربا ، تنظيم اقتصادي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1985 ، ط 2 ، ص 21 .

(52) — عبد المجيد مزiane ، النظريات الاقتصادية عبد ابن خلدون ، وأسسه من الفكر الاسلامي والواقع المجتمعي ، الجزائر ، ش.و.ن.ت. 1981 ، ص 94 .

(53) — ابن الاشج توفي بالقيروان سنة 236 هـ ، أنظر ترجمته ، للدباغ ، معالم الايمان ، ج 2 ، ص 232 .

(54) — المالكي ، ربا النفس ، ج 1 ، ص 507 .

(55) — محمد عبد الله عيان ، دول الطوائف ، منذ قيامها حتى الفتح ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1960 ، ط 1 ، ص 373 .

وحيثما تنبه المصور الى شرهم أراد أن يميزهم بزي خاص، لان هذا هو الذي يعتبر بمثابة إعلان يحذر الشعب منهم، وجعل منهم هذا الزي طبقة معينة من طبقات الشعب (56).

وأما الزي الذي فرض على اليهود في عهد الناصر (595-610هـ/ 1198-1213م) والذين استثمروا في ارتدائه الى سنة 621هـ/ 1224م كما ذكر المراكشي (57) فنجد ما يماثله في أولها حيث قدر المجمع المسكوني المنعقد في "لاتران" (LATRAN) بروما سنة 1215م بأن يحمل اليهود شارة صفراء ضرورية (LA ROUELLE) قصد التمييز بين المسيحيين واليهود (58)، وقد علق أحدهم على هذا الإجراء بقوله ((ان الدواعي الكامنة وراء هذه الاجراءات فسي المصور الوسطى ليست عنصرية لان المسلمين والمرضى بالجدام والمومسات يحملون شارات مميزة، وهي تهدف اما لمنع الاختلاط أو التحذير من معاشرة تعتبر مفسدة من الناحية الدينية)) (59).

فالاجراءات هذه معمول بها في المجتمعات المسيحية والاسلامية وهي تهدف وقاية المجتمع من المخاطر التي تحدث به بسبب الاختلاط، لذلك يجسد العلماء والفقهاء، والمحتسبين يحذرون من مغبة المعاشرة التي قد تؤدي الى الفساد، والى تصرف أهل الذمة بحرية مطلقة، بل عليهم التصرف في اطار حريتهم المرخس بها. وعن هذه المسألة جاء في أحكام السوق ((أخبرني يحي أنه كتب اليه صاحب سوق القيروان يسأله عن اليهودي والنصراني بوجود وقد تشبه بالمسلمين وليس عليه رقاع (60) ولا زيار (61) وهو يحمل ما يخصره الخمر وما ترى من عقوبته في ذلك)) (62). ان هذه المشكلة كفيفة بأن توضح

(58) - علام، الدولة الموحدية، ص 241 - 242.

(57) - المراكشي، المعجب، ص 305.

(58) - أنظر: François de Fontette, le racisme, PARIS, PUF, 1981, p3.

(59) - أنظر: Op, cit, p31.

(60) - رقاع: لا توجد الكلمة في قواميس دوزي وفانيان، أما الدكتور موسى لقبال فكتب موضحاً ((زيار... ويرادفه الغيار، والرقاع)) راجع، المجيلدي، التيسير، كشف المصطلحات، ص 94، وقان القلقشدي، صبح الاعشى، ج 5، ص 142.

(61) - الزنار: حزام يتخذه أهل الذمة في أوساطهم تمييزاً لهم عن المسلمين، راجع المجيلدي، التيسير، كشف المصطلحات، وأنظر: DOZY, Dictionnaire, p196, DOZY, Supplément, #1, p606 Fagnan, additions, p72.

(62) - يحيى بن عمر، أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة فرحات دشراوي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1975، ص 96، قان أيضاً، الوثائقي، المعيار، ج 6، ص 421.

المذهب الذي ذهب اليه المطالبون بوضع علامة لليهود لكي تصان حقوقهم فسي
الامصار الكبرى.

أما في الريف فقد نقل الوشريس عن المازني فتوى تدل على
أن اليهود في الريف لا يتميزون عن المسلمين في اللباس وذلك بقوله ((وقوله فسي
الامصار الكبرى حيث يكثر اللبس. وأما الصغار أو حيث تكون القرية لهم فظاهر
كلامه أنه لا يحتاج اليه)) (63).

ان هذه الفتوى توضح بجلالة عدم حمل اليهود شارات خاصة بهم
وهذا لما يحرف عن الريف من عدم اكتضاض السكان ، ففيه يمكن بسهولة التعرف علي
الذي ، اذ يصعب عليه الاندماج في أوساط المسلمين والقيام بأعمال خارجية
عن الشرع الاسلامي ، خلافاً للامصار الكبرى.

جاء - المرأة : لقد نظرت الشريعة اليهودية للمرأة نظرة
احتقار وصغار ، فيقول بابا بتر : ((ما أسعد من رزقه الله ذكورا ، وما أسوأ حظ
من لم يرزق بغير الاناث)) (64). وفي الحقيقة نجد هذه النظرة منتشرة وشائعة
لدى المجتمعات في القديم ، لذلك فالمرأة صالحة الا للانجاب والحفاظ على النسل .
ولا يسمح اليهود للمرأة الالتحاق بالمدارس الدينية لان تعليم
المرأة لم يكن اجباريا في الدين اليهودي ، ولانها تعتبر خفيفة العقل ، وقد جاء
على لسان الحاخام " اليحاذر ((كل من يحلم ابنته التوراة فكأنما يحلمها
السخافة)) (65).

أما اعمال المرأة ومهامها فهي منزلية أساسا ، اذ تهتم بشؤون
البيت وتربية الاطفال بالدرجة الاولى . وتطحن الحبوب وتحضر الخبز ، وتغسل
الملابس . وحينما تتزوج وفي حالة احضار خدام تابعين لها من بيت أبيها ، فامكانها
أن تعفى من بعض الاعمال ، ولكن مهما كان عدد الخدم الذين احضرتهم معها ، فانها
لا تعفى من الغزل مثلما أكد ربي " اليزر (ELIEZER) ولزوجها أن يرغمها
عليه ، لان البطلالة تنفوذ الى الفساد (66).

(63) - الوشريس ، المحيار ، ج 2 ، ص 259 .

(64) - شبلي ، مقارنة الاديان اليهودية ، ص 284 ، عمر رضا كحالة ، الزواج ،
بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1981 ، ج 1 ، ص 33 ، قارن أيضا محمد شكري
سرور ، نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية ، القاهرة ، دار الفكر
العربي ، 78-1979 ، ص 59 .

(65) - ظفر الاسلام خان ، التلمود ، ص 58 .

(66) - شبلي ، مقارنة الاديان اليهودية ، ص 285 - 286 .

فمن خلال هذا الرأي يمكن فهم دور المرأة الاجتماعي ، والاقتصادي وعي في المنزل . ويعتبر المشيخ اليهودي المرأة المتروكة كالتاصر والصبي والمجنون بحيث لا يجوز لها البيع والشراء (67) .

وفيما يتصلق بالمرأة اليهودية ودورها في المغرب الاسلامي ، فان المصادر اشارت اليها اشارات عرضية لا يمكن بأي حال أن توضح لنا وضع المرأة اليهودية .

ان الاشارة الوحيدة في كتاب ابن ابي زرع عن المرأة تتمثل في امرأة يهودية تدعى " حلة " دخل عليها يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس ومسي في الحمام (68) . والاشارات الاخرى أوردها الوثريسي مفاد الاولى عدم اکتيال المرأة اليهودية القمح ولا غيره من الطعام ولا تحضر موضعه لاجل حيضها (69) واختلاف يهودي ويهودية بقوطية على التقاضي عند المسلمين أو اليهود (70) وقد نثر عدد كبير من الفقهاء المسلمين في هذه القضية ولهم اجابات تقريبا تتشابه في هذه الفتوى (71) .

فمن أن هذه الاشارات لا تعطينا فكرة عن وضعية المرأة في المغرب الاسلامي ودورها في داخل الجاليات اليهودية التي استقرت بالمغرب وبالتالي امكن الاعتماد على بعض الآراء التي تتطابق من الفكر النظري دون سواء لعدم وجود الشواهد التاريخية .

(د) - الزواج : نصت الشريعة اليهودية على أن الزواج فرض من الفروض على كل انسان مهما كانت حالته الاجتماعية والصحية ، اذ فرض الزواج على الصغار والكبار والفقراء والافتياء والعمائم والجهلاء لانه يجب عليهم الاشتراك في استبقاء النسل (72) .

(67) - نفسه ، ص 285 .

(68) - وروى البركي هذه الرواية فقال ((... ثم أن يحيى بن يحيى دخل على يهودية في الحمام يقال لها حلة . وقد راودها على نفسها فتغير عليه أهل فاس)) المغرب ، ص 124 ، أنظر ايضاً ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 211 ، 212 ، وقال ابن التتسي ((فأساء السيرة وكثر غيبته في الحرم ، فثار به العامة لامر شيوخ ارتكبه فأخرجوه من عدوة القرويين الى عدوة الاندلس فمات من ليلته أسفا)) أبو عبد الله التتسي ، تاريخ دولة الادوية (من كتاب نظم الدرر والعقيان) تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 44-45 ، موبكسيز ، النظم الاسلامية في المغرب ، ص 120 .

(69) - الوثريسي ، الصيار ، ج 2 ، ص 489 .

(70) - نفسه ، ج 10 ، ص 128 .

(71) - نفسه ، ج 10 ، ص 129 ، 130 .

(72) - كخالة ، الزواج ، ج 1 ، ص 32-33 ، ترى الديانة اليهودية أن ((المازب ليس رجالاً بمعنى الكلمة)) سورة نظام الزواج ، ص 62 .

ومن الناحية الشرعية الإسلامية ، يجوز للمسلم أن يتزوج كتابية من النصارى أو من اليهود ، ولكن لا يجوز للكتابي أن يتزوج من المسلمة . وقد أثارت هذه المسألة جدلاً عريضاً بين العلماء لكل واحد منهم حججه ورواياته (73) غير أنهم اتفقوا على جواز اتخاذ المسلم زوجة من أهل الكتاب .

ولم يخالف العلماء والفقهاء المخارمة هذه القاعدة ، فهذا ابن أبي زيد القيرواني ، يقر بالزواج من الكتابيات بقوله : ((ويحل وطء الكتابيات بالملك ويحل وطء حرائرهن بالنكاح)) (74) .

وأما عن زواج اليهود فيما بينهم فإن الوثائق نادرة جداً . فابن أبي أصيبعة في معرض حديثه عن الطبيب اليهودي اسحق بن سليمان ذكره (ولم يتخذ امرأة ولا أعقب ولداً) (75) ولا يعرف في الحقيقة السبب الذي أدى بإسحاق الضرب على الزواج . ويمكن الاعتماد على إشارة أخرى وهي زواج ابنة نعيم بن يعقوب من ابن حموييل ناجد غرابطة بالاندلس (76) .

وفي إحدى رسائل الجنيزة ، والتي وردت على مصر من مدينة القيروان يهني أحد اليهود القيروانيين بزواجه في مصر والإقامة بها بحـدد أن كان مستقراً في أفريقية (77) ، وقد كتب هذا الخطاب حوالي 432 هـ / 1040 م .

وفيما يتعلق بالزواج ، فمن إجراءاته تحرير عقود شرعية ليتسّم الاعتراف بهذا الزواج ، ويصحب هذا العقد بيان بكل القطع التي تحصره من المروس معها (78) لأن الزواج ليس مجرد اتفاق عرفي ، وإنما كان اتفاقاً حقيقياً موثقاً (79) .

ومن خلال وثائق الجنيزة فإن الجماعات اليهودية ، وخاصة الطبقة المتوسطة منها ، لا تسمح بالزواج مع أكثر من امرأة ، لذلك نجد في عقود الزواج اشتراط عدم اتخاذ زوجة ثانية ، وأن لا تشارك مخطبة الزوجة (80) .

(73) — أنظر ، محمد رأفت عثمان : الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام ، بيروت ، دار اقرأ ، 1982 ، ط 3 ، ص 138 وما بعدها .

(74) — ابن أبي زيد القيرواني ، الرسالة ، ص 178 .

(75) — ابن أبي أصيبعة ، عيون الألباء ، ص 480 .

(76) — جواتيابين ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص 236 .

(77) — نفسه ، ص 237 .

(78) — نفسه ، ص 194 ، سرور ، نظام الزواج في اليهودية والمسيحية ، صص 218 — 219 .

(79) — نفسه ، ص 204 .

(80) — نفسه ، ص 204 — 205 .

وان حدث أن تزوج الرجل امرأة ثانية ، فلأولى الحق طردها أحيانا اذا لم تكن على هواها . ويمكن للزوجة ولها الحق في اختيار السكن ، ولا يستطيع الزوج السفر اذا لم توافق زوجته ولا يرضيها ذلك (81) .

ومن جملة العقود التي عثر عليها في جليزة القاهرة يحدد الزوج فيها سكن الزوجية ، وبشروط فيها مرافقة زوجته له في أي سفر يقوم به ، وقد أوضحت بعض الوثائق الأخرى حق تصرف الزوجة أحيانا في ممتلكاتها حين يكون الزوج مسافرا ويحق لها التصرف في ممتلكات زوجها (82) ، خلافا لتعاليم التلمسود الذي استهان المرأة اليهودية (83) إذ تعتبر هذه التعاليم المرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون (84) .

ومن خلال هذه المعلومات المستمدة من دفين القاهرة ، يتبين أن اليهود يتزوجون فيما بينهم لعدم العثور على عقود تمت بين اليهود والمسلمين ، ولا حتى مع النصارى لأن هؤلاء بدورهم يمنعون مواطنيهم أثناء العصور الوسطى من الزواج مع اليهود .

ولكن اليهود لا يعتبرون خطيئة مباشرة النساء المسيحيات وابن ميمون (85) يقول في ذلك حرمان النساء الغير يهوديات ((ان لليهود الحق في اقتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير يهوديات)) (86) . فهن في نظر التلمود وشراحه من الحاخامات كالبهايم لانهن غير يهوديات .

حـ - أعياد اليهود : يحتفل اليهود في دار الاسلام بأعياد خاصة بهم ، ولا يشذ يهود المغرب الاسلامي على هذه القاعدة . وعلى الرغم من أن أخبار هذه الأعياد في المصادر المغربية قليلة ان لم تكن معدومة . ولكن لا يعني سكون الوثائق عليها اهمالها من طرف الجالية اليهودية ، فالوشرقي

(81) - نفسه ، ص 205 .

(82) - نفسه ، ص 205 .

(83) - ظهر الاسلام خان ، التلمود ، ص 58 .

(84) - شلبي ، اليهودية ، ص 285 .

(85) - ابن ميمون ، سيأتي التصريف به في فصل الحياة الثقافية .

(86) - شلبي ، اليهودية ، ص 254 ، عبد الله التل ، خط اليهودية العالمية ص 75 .

حفظ لنا وثيقة تثبت احتفال اليهود بأعيادهم في مواسم معينة . والوثيقة هي عبارة عن فتوى قدمت للقاضي أبي عبد الله بن الأزرق (87) مفادها أن اليهود يصفون بنائفاً في عيد لهم يدعى عيد الفطر ، ويهدونها لبعض جيرانهم من المسلمين . فهل يجوز قبولها منهم أو أكلها أم لا ؟ (88) .

وأجاب ابن الأزرق عن هذه الفتوى بالرفض والاكراه (89) والذي يهمنا هنا عادة اليهود الاحتفال بأعيادهم في المضرب الإسلامي ، التي تعتبر عديدة ومتنوعة ، منها أعياد شرعية جاءت في التوراة ، وأخرى محدثة . فأما الأولى فهي خمسة .

(1) - عيد رأس السنة العبرية : ويدعى بلسانهم ((رأس ميشا)) أي عيد رأس الشهر . ويدعى بالعبرية الحديثة ((روشي هاشانا)) وهو بمثابة عيد الأضحى لدى المسلمين . ومسعود هذا العيد أول يوم من شهر تشري (90) ويحتفل اليهود في هذا العيد بذكرى افتداء اسماعيل . وهو أيضاً عيد العلق والحرية لخلاصهم من فرعون وقد سماه المقرئني عيد البشارة (91) .

(2) - عيد حوماريا : ويسميه اليهود الكبور ، وهو عند هم الصوم الكبير ، أما عتوية من لم يصمه القتل في شريعة اليهود . ومدة هذا الصوم خمسة وعشرين ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشري وتنتهي بغروبها في اليوم الموالي . وهذا الصوم بالنسبة إليهم هو تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى عليه السلام . ويزعم اليهود أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع الذنوب سوى الزنا بالمحصنة ، وظلم الرجل لآخيه وإنكار ربوبية الله تعالى (92) .

(87) - أبو عبد الله بن الأزرق : ويصرف بالاندلسي ولد سنة 831 هـ / 1428 م بما لقى وتوفي 896 هـ / 1491 م بالقدرس تولى القضاء بخرناطة كما تولى الافتاء والتدريس ، زار تلمسان ودخل إلى تونس ثم توجه إلى القاهرة . من أهم آثاره ((الأبريز المسبوك في كيفية أدب وسير الملوك)) و ((بدائع السلك في طبائع الملك)) . وقد قام محمد بن عبد الكريم الجزائري بتحقيق الكتاب الأخير وصدور عن الدار العربية للنشر ، تونس ، ليبيا ، 1977 ، أنظر مقدمة المحقق ص 9 - 24 .

(88) - الوثريسي ، المصيار ، ج 11 ، ص 111 ، ابن الأزرق ، بدائع السلك ، مقدمة المحقق ، ص 21 .

(89) - أنظر من الجواب كاملاً في المصيار ، ج 11 ، ص 111 - 112 .

(90) - شهر تشري هو سابع شهور اليهود من الوجهة الشرعية ، رغم أن المتعارف عليه أنه أول شهور السنة العبرية . أما شهور السنة لديهم فهي : تشري ، محشوان ، كسلو ، طابات ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول ، أنظر ، النويبي ، نهاية الأدب ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المجلد الأول ، ص 159 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 60 ، هامش رقم 1 .

(91) - القلقشندي ، صبح الأعيان ، ج 2 ، ص 436 ، النويبي ، نهاية الأدب ، ج 1 ، ص 195 ، قاسم ، اليهود ، ص 95 - 60 .

(92) - النويبي ، نهاية الأدب ، ج 1 ، ص 195 ، القلقشندي ، ج 2 ، ص 436 ، قاسم ، اليهود ، ص 96 - 61 .

ويرى الاستاذ حسن ظاظا ((أن هذا العيد الذي يرجع الى عصور العبرانيين الاولى مرتبط بأصول الشريعة اليهودية التي قررت يوما فسي السنة لحساب الذات ، وأن اليهود من طول ما عانوه من اضطهادات على طول تاريخهم جعلوا هذا اليوم للنقض موافيقهم وأكل الديون التي عليهم لغير اليهود مما أوجد معارضة بعض الفقهاء في العصور الحديث)) (93).

(3) - عيد المظلة : يدوم هذا العيد سبعة أيام ، ويحتفل به

به ابتداء من الخامس عشر من شهر تشري ، وفي اليوم الثامن عيد الاعتكاف لدى الربانيين (94) يجلس اليهود في هذه الايام تحت ظلال جريد النخل ، وأقصان الزيتون ، وتحت كل الاشجار التي لا يتأثر ورقها وذلك تذكارا للغمام الذي أظلمهم الله به أيام التيس (95) . ويبدو أن لهذا العيد أصول زراعية ووعوية فمن أسمائه العبرية ((حج بنا أسيف)) والتي تعني عيد التخزين (96) .

(4) - عيد الفطر : ويسمى أيضا عيد الفصح ، ويحتفل به ابتداء من اليوم الخامس عشر من شهر نيسان اليهودي ويدوم سبعة أيام ، في هذا اليوم يأكل اليهود الفطائر ، وينظفون بيوتهم من خبز الخمير وذلك احتفالا بذكرى خلاصهم من فرعون ، وغرقه ، وخروجهم الى صحراء التيه بعد نجاتهم من سطوة فرعون مصر (97) .

(5) - عيد الاسابيع : وله اسماء أخرى كعيد العصرة أو عيد الخطاب ، ويحتفل به بعد عيد الفطر بسبعة أيام أي في السادس من شهر سيوان من شهور اليهود وهي بالنسبة اليهم الاسابيع التي أنزل الله فيها الفرائض التي تضمنت الوصايا المشددة . وفي هذا العيد يصنعون القطائف ويضعون فسي صلحها . ويأكلونها تذكارا للذن الذي أنزل الله تعالى عليهم وهم في التيه . أما الاسم الحبي لهذا العيد مشرعا بمعنى الاجتماع (98) .

(93) - نقلا عن قاسم عبده ، اليهود في مصر ، ص 61 .

(94) - فرقة من فرق اليهود سيأتي التحريف بها .

(95) - النوبي ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 195 ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 436 - 437 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 61 .

(96) - قاسم ، اليهود في مصر ، ص 61 ، يحتفل اليهود ويقلدهم المسلمون بهذا العيد في المغرب خاصة افريقية ، راجع ، أبو الحسن علي القايي ، الرسالة المفصلة لآحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، تحقيق وتعليق ، أحمد خالد ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1986 ، ط 1 ، ص 154 .

(97) - النوبي ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 196 ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 437 ، الوشريسي ، المعيار ، ج 11 ، ص 111 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 61 - 62 ، شبلي ، اليهودية ، ص 287 .

(98) - النوبي ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 196 ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 437 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 62 .

ولليهود أعياد أخرى محدثة وأشهرها عيدان همان :

(1) - عيد الفوز : ويدعى بالعبرية - البوريم - وموعد الاحتفال به في الثالث عشر من شهر آذار ويستمر حتى الخامس عشر منه . يتحدث القلقشندي عن هذا العيد بقوله ((واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام ، وفي هذا العيد يصرون من الورق صورة هيمون ويملأون بطاها بخالة وملحاً ويلتونها في النار حتى تحترق ، يخدعون بذلك صبيانهم)) (99) . وأما أصل المناسبة فترجع إلى التاريخ القديم لليهود أثناء العهد الاسير البابلي ، كان لأحد أحبار اليهود ابنة عم راثعة الجمال تدعى أستير تزوجها الامبراطور أردشير بن بابك ، وقرب الامبراطور ابن عم زوجته مردوخاي . فحسّر في نفس وزير أردشير ما توصل اليه اليهود من مكانة وحظيرة ، وأكلمته الفيرة بسبب تقرب الامبراطور لسردوخاي . ففكر في الانتقام والقضاء على اليهود محددًا يوم الثالث عشر من آذار ، غير أن جواسيس مردوخاي أخبروه بالمسامرة ، ووصل الخبر إلى الامبراطور ، فأمر بقتل وزير هيمون ، وقتل نفسه ، وكتب لليهود بالامان والبر والاحسان في ذلك اليوم ، فأصبح اليهود يحتفلون به سنويا واتخذوه عيداً (100) .

(2) - عيد الحنكة : ويدوم ثمانية أيام تبدأ في ليلة الخامس والعشرين من شهر كسلو من كل سنة . وبهذه المناسبة يوقد اليهود في الليلة الاولى سراجاً على أبوابهم وفي الثانية سراجين ، إلى أن تصبح المصابيح ثمانية في الليلة الثامنة . وأصل الاحتفال بهذا العيد يرجع إلى عهد حكم البطالمة الذين كانوا يسيطرون على بلاد الشام إذ حاول أنتيوخوس إرغام اليهود على عبادة الاصنام ولكن الكاهن الأكبر بمصونة أبنائه الثمانية ، قاد حركة مقاومة ، فاستعادوا الهيكل من جيوش البطالمة وفي الخامس والعشرين من كسلو نظف الهيكل من التثنية الاغريقية . وفتح المعبد من جديد ، غير أن اليهود لم يجدوا الزيت المطلوب لاضائته فوزعوا القود على عدد المصابيح التي يوقدون بها على أبواب بيوتهم في كل ليلة إلى أن تتم ثمان ليال . وبحكم أنهم نظفوا الهيكل من آلهة الاغريق سمي هذا العيد - الحنكة - والذي يعني بالعبرية التنظيف (101) .

(99) - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 2 ، ص 433 .

(100) - النويري ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 196 ، القلقشندي ، صبح ، ج 2 ، ص 333 ، قاسم ، اليهود في مصر ، ص 3 .

La bible, Paris . Alliance Biblique Universelle 1984 p. 1208-1220.

(101) - النويري ، نهاية الارب ، م 1 ، ص 197 ، القلقشندي ، صبح ، الاثني عشر ،

ج 2 ، ص 339 ، قاسم ، اليهود ، ص 64 .

(133)

هذه أهم الأعياد التي يحتفل بها اليهود ، وهي أعياد تتصل بالاحداث التاريخية ، ومنها ما هو متصل بمواسم معينة كالزراعة والحصاد ، وأخرى تتصل بالهلال أو التوبة والتكفير عن الذنوب (102) .

أما بالنسبة لأيام فيومهم المقدس هو يوم السبت ويطلقون عليه في العبرانية شبات — SEBBAT — معناه الراحة ، وقد ورد في الكتاب المقدس الحديث عن هذا اليوم ((تحفظون السبت لأنه مقدس لكم ، من دنسه يقتل قتلاً . ان كل من صنع فيه عملاً تقطع تلك النفس من بين شعبها ، ستة أيام يصنع عمل أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ، لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس)) (103) .

تنظيم الجاليات اليهودية :

ان المصادر التاريخية تثبت لنا عن وجود جاليات يهودية في المغرب الاسلامي متوزعة على المدن الكبرى والصغرى والريف ، ولكن المعلومات عن الاحوال الخاصة لهذه الجاليات قليلة ، وعلى الرغم من ذلك ، يمكن استشفاف بعض الحقائق من الاشارات القليلة .

يحتبر أهل الذمة احدى طبقات المجتمع في المغرب الاسلامي (104) بحكم تواجدهم ضمن الامة الاسلامية . وقد أباح الشرع الاسلامي لأهل الكتاب المحافظة على حريتهم الدينية وعلى عاداتهم وتقاليدهم . ونظام الجاليات اليهودية في المغرب ، لم يلمس ، يتمحور أساساً في وجود الاعيان على قمة هرم الجالية التي يترعّمها الرئيس أو شيخ اليهود والذي يدعى الجاون (GAON) كما هو الحال في مصر والاندلس (105) ويدعى رأس الجالوت في العراق (106) .

أما بالنسبة لأفريقية . وفي عهد الدولة الزييرية ، فقد كان يترأس جاليتها ناجد ويتمتع بصلاحيات سياسية ودينية (107) . وقد ترأس الجالية اليهودية أيام حكم المعز بن باديس طبيبه الخاص

(102) — لمزيد من المعلومات عن هاذين الصيدين راجع ، شبلي ، اليهودية ، ص 287 — 289 .

(103) — نقلاً عن شبلي ، اليهودية ، ص 288 ، وأنظر : La Bible, Exode, p, 113 .

(104) — علام ، الدولة الموحدية ، ص 242 .

(105) — قاسم عبده قاسم ، اليهود في مصر ، ص 53 ، الهامش رقم 3 .

(106) — نفسه ، ص 53 ، هامش 2 .

(107) — أنظر : Idris, la berbérie, TII, p765

ابن عطاء اذ يشير الدباغ بأنه من خيار أهل ملتبه (108). فهو
على ما يبدو المشرف على تنظيم الجالية اليهودية في شؤونها الاجتماعية والاقتصادية
وبحكم قريه من الحاكم يحمل على حل المشكلات التي يتعرض لها أبناء ملتبه .
وفي الاندلس فقد تعاقب على رئاسة جالياتها عدد من
الرؤساء كحسداي بن شبيب بروط الذي عينه عبد الرحمن الثالث حاكما أكبر
ليهود الاندلس (109). وابن نغيلة (110) وابنه يوسف (11) وأيضا
والد ابن ميمون (112) الذي كان على ما يبدو رئيسا لليهود أثناء المدة التي
أقام بها في مدينة فاس.

ومن أهم الجاليات اليهودية في الاندلس جالية اليسانة التي
كان يتزعمها في عهد ملوك الطوائف ابن ميمون الذي عينه الامير عبد الله (113).
وأما المراتب الاخرى التي تلي رئيس اليهود مجموعة من الموظفين
الذين تولوا الاشراف على جمع التبرعات ، ورعاية المعابد اليهودية . ومن الجماعة
اليهودية الدوحيين الحزان ((وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويخطبهم))
(114) وهو المشرف على الصلاة ويشترط فيه الامام بأحكام التلمود . ويقوم
الجزان أيضا بوظيفة التعليم .
ويتولى القضاء والفصل في المنازعات بين اليهود ، الحبر ، والذي
يصدر الفتاوى ، وله الامر والهي في المسائل الدينية . ويبدو أن هذا المنصب
قد تولاه أحمد اليهود في زويلة اذ ذكر الدرر جيني ((وبلغنا أن أبا نوح دخل
زويلة ووالها حينئذ ابن خطاب وأكرم أبا نوح غاية الاكرام ومعه عبد الله بن
زورتن الوسياني فكان عنده في أعلى درجة قيل فجلس

- (108) — الدباغ ، معالم الايمان ، ج 3 ، ص 161 .
(109) — محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 90 .
(110) — ابن الخطيب ، الاحاطة ، ص 439 ، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في
الاندلس ، ص 40 ، احسان عباس ، مقدمة رسائل ابن حزم ، ج 3 ، ص 10 ،
اسماعيل العربي ، دولة زيري ، ص 100 .
(111) — قال ابن بسام ((وتسمى من خطبهم الشرعية بالناغيد ، معناه المدبر
بالعربية ، خاتة تحامها قدما وهم ، وتطأ لها قدما زعمائهم
(أنظر بالذخيرة ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، ص 767 ، وعباس
مقدمة ، رسائل ابن حزم ، ص 15 .
(112) — أنظر مقدمة ماكس ماير هوف لكتاب ابن ميمون شرح اسماء الحقا ، ص
(113) — الامير عبد الله ، التبيان ، ص 130 ، اسماعيل العربي ، دولة بني زيري ،
ص 139 .
(114) — القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج 5 ، ص 474 ، محمد قنديل البقلي ،
التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، ص 105 .

ذات يوم في مجلس ابن خطاب وحوله رجل يهودي يقال له حلي يزعم أنه حبر ((115)). وفيما يتعلق بالمسائل المدنية والجناحية فانها تحل حسب الشريعة اليهودية اذا لم يكن الخصم من المسلمين . فالمدعي المالكي يقر بالعودة الى محاكم المسلمين في حالة الخصومة بين المسلم الذي (116). ويقر الخشني بالنظر في نزاع بين الذميين لدى المحاكم الاسلامية في قضايا القصب والتعسدي وجحد الحقوق (117).

أما المسائل المتعلقة بالحدود والزنا والطلاق ، والخباق ، والخمر فهي من اختصاص القضاء اليهودي لينظر فيها حسب شريعتهم الا في حالة التراضي للعودة الى محاكم المسلمين (118). وقد ثبت وجود قضاة يهود في مدينة المهدية (119) مما يبين بأن عدد كبير من اليهود يحلون قضاياهم أمام المحاكم اليهودية ، وعلى ما يبدو فاعظم الخصومات المطروحة هي خصومات تجارية ، اذا عرفنا الدور التجاري الذي كانت تلعبه مدينة المهدية على الساحل الافريقي . وقد أثبتت الكثير من القضايا وبثت فيها المحاكم الاسلامية ،

فالونشريسي قد حفظ لنا مسألة بعنوان ((اختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عند المسلمين أو اليهود)) فأجاب عليها عدد كبير من العلماء (120) ولم تخرج اجاباتهم عما اثبتته وأثريه الخشني من الاحكام المستمدة من المذهب المالكي ، وعن هذه الوضعية يخلق الاستاذ هادي روجي ادريس بان اختصاص القضاء اليهودي لا يحل الا مسائل قليلة (121) وكأنه غير راض على تدخل المحاكم الاسلامية في شؤون الجاليات اليهودية ولموضح مدى تدخل المسلمين في الأوضاع اليهودية الداخلية على الرغم من وضوح الاحكام المتعلقة بأهل الذمة وواقعيتها في المغرب الاسلامي ، لان اليهود يحضون ارادتهم يعودون للمحاكم الاسلامية لكونها محاكم محايدة .

115 - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 1 ، ص 156 .

116 - محمد حارث الخشني ، أصول الفتيا في الفقه على مذهب مالك ، تحقيق وتعليق محمد المجدوب ، ومحمد أبو الجفان ، وعثمان بطبخ ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ليبيا ، 1985 ، ص 431 .

117 - نفسه ، ص 431 .

118 - نفسه ، ص 327 ، و ص 431 .

119 - أنظر: Idris, la berberie, TII, p528, 672, 768 .

120 - الونشريسي ، المعيار ، ج 10 ، ص 128 - 130 .

121 - أنظر: Idris, la berberie, TII, pè 768 .

معاملة اليهود بالمسلمين :

ان الجالية اليهودية بالمغرب الاسلامي لم تكن مضطهدة بل وجدت الفرض متاحة للاغتلاط اليومي (122) . وبحكم المجاورة بين اليهود والمسلمين ، ووجودهم في بيئة واحدة ، والتعامل اليومي أثبتته المصادر التاريخية والفقهية ، وفتوى القابسي المتضمنة كيفية معاملة الجار ، توضح اذتمام الناس والفقهاء بهذه المسألة ولمعرفة نظرة الشرع الاسلامي : لكي تكون المعاملة مستمدة من نصوص فقهية ، ولمعرفة حدود التجاوزات التي يمكن أن تظهر أثناء المعاملات مع اليهود . وأجاب القابسي عن هذه المسئلة بقوله ((وأما جارك من أهل الذمة ، فيستتضيئك حاجة لا ماتم فيها ، فتتضيها له ، فلا بأس ، أما لئلا تقول له ان خاطبك فان لم فيه تعظيم له ولا تشريف ، ولا ما يخبطه في دينه ، فلا بأس . . . وأما أن سلم عليك فالرد عليه أن تقول : عليك ولا ترد . . . وأما سؤالك عن حاله وحال ما عنده ، فما لك فيه فائدة ، وما عليك منه ان أنت لم تكثر ولم تفوت فيسه ، ولكن بقدر ما يدعو اليه حق الجوار)) (123) .

فالقابسي من خلال هذه الاجابة لا يرى منح المسلمين من مخالطة اليهود ومعاشرتهم ولكن ضمن حدود ومحنة لا يمكن تجاوزها . فقد صرح بقضا المسلم حاجة اليهودي لا اثم فيها ، وأيضا بالمخاطبة ، والسؤال عن حاله وذويهم ، والسرد على التحية ، (124) . ومسألة الحذر في العباشة التي يمكن أن تظهر في المعاملات اليومية أساسها الابتعاد عن المعصيات التي يسمح بها لأمسلس الذمة لتمتعهم بالحرية في دار الاسلام .

(122) - جواتياين ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص 151 .

(123) - الوشيري ، المعيار ، ج 11 ، ص 300 - 301 .

(124) - ان مسألة معاملة اليهود عند اللقاء قد أفرد لها ابن قيم الجوزية مبحثا

مهما ومما جاء لديه ((. . . فلو تحقق السامع أن الذي قال له :

((سلام عليكم)) لا شك فيه ، فهل له أن يقول : عليك السلام أو

يقتصر على قوله ((وعليك)) ؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد

الشرعية أن يقال له وعليك السلام ، فان هذا من باب العدل ، والله

يأمر بالعدل والاحسان ، وقد قال تعالى : ((وإذا حييتم بتحية

فحيوا بأحسن منها أو ردوها)) ، انظر ابن قيم الجوزية ، احكام امسلس

الذمة ، ج 1 ، ص 199 . ومجمل القول لا يبدأ المسلم بالتحية ،

فان سلم الذي فعلى المسلم أن يرد عليه ((وعليكم)) وأن يقيس حسن

من سمع التحية لا يداخلها شك ، ولا اوتياها فعليه أن يرد التحية

كاملة .

وفي افريقية فقد شاع الاختلاط اليومي بين اليهود والمسلمين اذ جاء في المصادر عرضاً أمثلة عن هذا الاختلاط. ففي ترجمة اسماعيل بن رباح (125) تذكر المصادر التاريخية أن جماعة جلسوا على دأمام فد خل عليهم يهودي فد عوه للكل معهم (126).

ومن صور التعامل بين اليهود والمسلمين، منح بعض اليهود في أعيادهم هدايا للمسلمين، وعلى ما يبدو كانت هذه الظاهرة شائعة في المغرب الاسلامي الشيء الذي استدعى فتوى في هذه المسألة اذ رد القابسي بمنسجع قبول هدية المسلمين الذين يتشبهون بالنصارى، وأنكر قبول هدايا النصارى واليهود (127).

وجاء في مناقب الجبنياني (128) عن ابنه عبد الرحمن ((كنت يوماً أمشي مع أبي على الطريق حتى لقينا رجلين. فقال قبل أن يصلنا إلينا: أنظر الى الرجل الذي للقبلة منهما، اذا سلم رد عليه. فلما وصلا إلينا سلم الذي يلي القبلة، فاذا هو مسلم والاخر يهودي)) (129).

وفي هذا السياق فان المالكي في معرض حديثه عن أبي اسحاق ابراهيم بن احمد السبائي (130) وشماله وتخرج دولة بني عبيد منه، تحدث عن طبيب المعز لدين الله موسى بن العازار عن امرأة فقيرة من المسلمات تسد خل الى داره وهي التي حملت ابنة موسى المصابة بالبياض في عينيها لابن السبائي فأصبحت تبصر (131). وفي الحقيقة ان هذا الخبر طريف في حد ذاته لما عرف عن موسى من مهارة طبية في طب العيون (132) ولكن المهم هو خبر المرأة المسلمة التي تدخل الى دار اليهودي. ولعل الفقر هو الذي قد دعاها للذهاب الى تلك الدار، وقد تكون خادمة لدى موسى. لانه اذا صحت الرواية لا يمكن أن يسمح أحد في مكانة طبيب الحاكم اخراج ابنته مع عجوز فقيرة تأتي للتسول. وقد تكون هذه الرواية موضوعة لابرار كرامات السبائي وفضله.

(125) — اسماعيل بن رباح: أنظر ترجمته عند المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 333 — 344.

(126) — أبو الحروب، طبقات علماء افريقية وتونس، ص 146، المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص 336.

(127) — الوثريسي، المعيار، ج 11 ص 111 — 112.

(128) — أبو اسحاق الجبنياني: أنظر ترجمته في المصدر الموهلي.

(129) — أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الهبيدي، مناقب الجبنياني، تقديم وتحقيق هاني رويحي ادريس، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الجزائر، 1959، ص 74.

(130) — ابراهيم أحمد السبائي: أنظر ترجمته لدى المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 469 — 507.

(131) — المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 502.

(132) — المالكي، رياض النفوس، ج 2، ص 502، الدباغ، معالم الايمان، ج 3، ص 67 — 68، حنفي عبد الوهاب، وراقات، ج 1، ص 303.

وأورد جواتياين معتمداً على وثائق الجيزة العلاقات بين
اليهود والمسلمين في المجال الاقتصادي إذ أقام بعض المسلمين شركات تجارية
مع اليهود (133)، بمعنى أن المصلحة المشتركة قد ساعدت على إقامة مثل هذه
الشركات. وكما قال أحد الباحثين المعاصرين ((ولم تكن تخلو حاضرة عربية في
القرون الوسطى من رأسماليين يهود يقدمون خدماتهم للتجار العرب المغامرين
في البحار والصحاري ويأخذون عن ذلك تعويضات كثيراً ما كانت تتعدى أضعاف
رأس المال... وأن الحب المتبادل بين التجار المسلمين والرأسماليين اليهود
لم يكن مبنياً على الريحية والتسامح كما يقول المؤرخون بل هو حب المنفعة المتبادلة))
(134).

وما دامت هذه الحالة المتمثلة في ارتباط المصلحة بين بعض
اليهود والمسلمين، فلا عجب أن نرى اليهود يملكون شركاتهم بالأدعية والتمنيات
الطبية، ويقومون بزيارتهم في بيوتهم لتقديم التهاني في أيام الأعياد خاصة
في أفريقية (135).

موقف اليهود من الاسلام:

عاش اليهود في المغرب الاسلامي كأهل ذمة لهم من الحقوق
المستحقة كممارسة ديانتهم، والتقاضي لدى محاكمهم، والعمل في الميدان التجاري
في جو خال من الضغط مقابل دفعهم للجزية (136). فما هو موقف اليهود في
المغرب من الاسلام والمسلمين؟ ان الاجابة صعبة للغاية لقلة الشاهد
التاريخي لاخذ صورة متكاملة. غير أن المصادر التاريخية والفقهية قد تركبت
بعض الشذرات التي يمكن الاعتماد عليها لتكوين فكرة ولو جزئية عن هذا الموقف.
اتخذ بعض اليهود موقفاً عدائياً من الاسلام في دار الاسلام
حيث يتمتعون بالحرية، فقد عاقب أبو عبد الله محمد بن أبي منظور أحد اليهود
بالضرب حتى الموت بعد أن شهدت عنده البينة بسب النبي صلى الله عليه وسلم.
ويبدو أن هذا العقاب صارم (137) ولكن القاضي عاقب المذنب بعد أن عرض عليه
الاسلام فأبى (138)، وفعلت هذه انتقضت ذمته

- (133) — جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص 238.
(134) — ميزان، العرب واليهود في التاريخ، ص 116 — 117.
(135) — جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص 238.
(136) — عن الجزية تحريفها، ومقدارها، وعلى من تضرب، أنظر، الماوردي، الاحكام،
صص 124 — 126، ابن قيم الجوزية، احكام أهل الذمة، ج 1، ص 1
وما بعدها.
(137) — اتفق العلماء، على أن سبب الله والرسول (ص) قتل مسلماً كان أو كافراً،
أنظر، الوشرسي، المعيار، ج 1، صص 344 — 348 — 366.
(138) — الدباغ، معالم الايمان، ج 3، ص 45، المالكي، رياض القوس، ج 2،
ص 359، عياض، المدارك، ج 2، ص 340.

(139)

وأستحق القتل كما جاء في الحسبة على أهل الذممة (139) .
 واستعمل اليهود أنواع الخداع والسرقة مدفهم الحصول على
 المال الوفير دون النظر إلى أخلاقيات المعاملات التجارية ، لأنهم
 لا يتورعون في استحمال أدنى الوسائل لجمع الخيرات والنص التالي يوضح
 ذلك بصورة جلية سلوكياتهم في سجل ماسية ((والبنائون عند هم اليهود لا يتجاوزون
 بهم هذه المداغة . والسبب في تسخير أهل سجل ماسية لليهود في ذلك كونهم
 محبين في سكن بلادهم للاكتساب لما علموا أن التبر بها أمكن منه بغيرها في
 بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه ، فهم يحاملون التجار به ليخدعوهم بالسرقة
 وأنواع الخداع)) (140) .

وعلى ما يبدو كان بعض اليهود يشاركون أحيانا في النهب
 والسلب في المناطق الداخلية للمغرب الاسلامي ، إذ قدمت للمازبي فتوى مفادها
 أن اليهود في مدينة قفصة يحملون في تجارة الحرير ، فطالبهم بالحلف بالبيعة
 - كبيع اليهود - على أن الحرير المعروض للبيع لم ينتهيه من إحدى القوافل
 التي تعرض لها قطاع الطريق (141) .

ومن مواقف اليهود التي تتسم باللفاق والخداع ، اسلامهم
 الظاهر خاصة بعد أن خيرهم عبد المؤمن بن علي بين الاسلام أو مفادرة المغرب .
 فالكثيرون منهم اختاروا الاسلام ، وحضروا للمساجد لاداء الفروض ، وحفظوا
 القرآن الكريم ، ولكنهم حافظوا على يهوديتهم في الخفاء ، (142) . وهو
 مما أدى بالامير الموحدي أبي يوسف بوضع زي مميز لهم لشكه في اسلامهم وقد
 نقل المراكشي قوله ((وكان يقول لو صح عندي اسلامهم لتركتهم يختلطون
 بالمسلمين في انكحتهم وسائر أمورهم ، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم
 وسبيت ذرايعهم وجعلت فيثا للمسلمين ، ولكني متوردد في أمرهم)) (143) .

(139) - ابن الاخير ، معالم القرية ، ص 35 .

(140) - الحميري ، الروض ، ص 166 ، الجحاني ، المغرب الاسلامي ، ص 188 .
 واسماعيل الصربي ، المدن المغربية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،
 1984 ، ص 123 .

(141) - محسن الحابد ، دراسات وبحوث مقارنة ، ص 145 - 146 .

(142) - أنظر : Sebag La hara p 10

(143) - المراكشي ، المعجب ، ص 305 .

وفي عهد ابنه الناصر استمر في موقفهم ، إذ يؤكد المراكشي الذي كتب كتابه سنة 621 هـ / 1221 م سيرة اليهود بقوله ((وأما اليهود عندنا يظهر من الاسلام ويصلون في المساجد ويقرؤون أولادهم القرآن ، جارين على ملتنا وسنتنا والله أعلم بما تكن صدورهم وتحتويه بيوتهم)) (144) . ودون شك فإن هذه الوضعية قد أساءت للمسلمين ، مما سمح لليهود بالتجسس عليهم ومعرفه أسرارهم وتقديرهم للعداء .

وأحسن مثال على اعتناق اليهود للاسلام هو موسى بن ميمون (145) الذي أسلم وارتد بفسطاط مصر (146) . وهو على ما يبدو لم يكن حالة فريدة أو نادرة . فالمصادر اليهودية تؤكد هذا التحول للاسلام في الظاهر ، فقد أورد المؤرخ ممان (MANN) مراسلة بين يعقوب بن إيلي (Jacob ben Elie) إلى بابلو كريستيانى (P. Cristiani) يروي فيها يعقوب معاناة اليهود على أيدي الموحدين مع محافظتهم على ممارسة ديانتهم سراً (147) .
لعل من يقول بأن شكوك المسلمين هي سبب هذه الوضعية التي يوجد عليها اليهود ، ولكن في الواقع ان الحقائق هي التي تتحكم في المواقف في كثير من الأحيان . والمهدي ابن تومرت حين أمر بقيام صلاة الجنازة على يهودي أسلم لما رأى عزوف الناس على الصلاة عليه قائلين لهم ((لم تصلون على هذه الجنازة ؟ قالوا له : هو يهودي وكان يصلي . فقال ((رخصة)) أفياكم من يشهد له بالصلاة ؟ فقال الناس : نعم ، من كل جانب ومكان . فقال لهم : قد شهدتم له بالإيمان)) (148) . وقامت الصفوف وصلت الناس عليه وكان ذلك في تونس حينما مربها أمرا بالمحزوف ، ناهيا عن المنكر وغائب الفقهاء الذين لم يقوموا بواجبهم (149) .

هذا هو موقف المهدي بن تومرت من اليهود الاسلاميين ، فكيف يتحول الموحدون في سياستهم تجاه اليهود ؟ ان هذا التحول يعود الى مواقف اليهود بصورة عامة من الموحدين وعداوتهم ومساعدتهم للعداء مثلما حدث في الاندلس حينما ساعد اليهود ابن حمشك .

- (144) - المراكشي ، المعجب ، ص 305 .
(145) - موسى بن ميمون ستاني ترجمته في الفصل الرابع .
(146) - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 582 .
(147) - نقل عن هوبكة ، النظم الاسلامية ، ص 123 .
(148) - أبو بكر على الصنهاجي المكيه بالبيدق ، أخبار المهدي بن تومرت ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ش.و.ن.ت . 1975 ص 34 .
(149) - نفسه ، ص 34 .

(2) — الحياة الاقتصادية :

شارك اليهود مشاركة فعلية في الحياة الاقتصادية بالمغرب الاسلامي . وقد تعددت الفروع التي عملوا بها ، على الرغم من أن أهم ميدان تركزوا فيه ، وطبعوه بطابعهم الخاص ، وسيطروا عليه هو الميدان التجاري . وقد تحدثت المصادر التاريخية من خلال الاشارات أو بعض الشذرات عن الاختصاصات التي اختلفوا بها ، والاعمال التي قاموا بها سواء فسي المدن الكبرى أو الريف والتي تتراوح ما بين الاعمال الكبرى أو المهن الصغيرة . (1) — التجارة : ان أهم نشاط اقتصادي تركزوا فيه ، التجارة . ففي القيروان تحدثت المصادر عن سوق اليهود (150) وهي على ما يبدو مقتصرة عليهم ، كما توجد في نفس المدينة حوايت أو دكاكين الرمادية أو الرمادية (15.1) وفي عاصمة الدولة الرستمية تألفت تجدد مولاء التجار ويمسرف

- (150) — ابو الحروب ، طبقات علماء اغريقية وتونس ، ص 130 ، طالبي ، تراجعهم أغلبية ، ص 359 ، حسن حسني عبد الوهاب ، سباط الحقيق ، ص 15 .
 (151) — الدباغ ، معالم الايمان ، ج 2 ، ص 37 ، 38 ، 167 ، المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 280 و ج 2 ، ص 365 ، عياشي ، ترتيب المدارك ، ج 2 ، ص 202 . اختلف في تسمية هؤلاء التجار فتذكرهم المصادر أحياناً الرمادية وأحياناً الرمادية . يقول دوزي بأن الرمادية هم باعة أقمشة الصوف والكتان اعتماداً على البقديسي ، والكلمة تدل عند المغاربة على سوق بالقيروان أنظر : Dozy وجاء لدى محقق الممال ، ج 2 ، ص 38 ، هامش رقم 1 : Supplement T1 p. 562 يمكن أن تسميتهم بالرمادية ، لأنهم يتوسلون إلى نواح سلعتهم بالكذب غالباً . أما لدى باحث آخر فهو يقر بوجود سوقهم في القيروان وعثر على قبور بعضهم في مقبرة بنفيس المدينة ويشير إلى أنهم لم يكونوا من اليهود ، وإنما فيهم المسلم ، وأشار إلى وجود كلمة الرمادار الدارجية في تونس والزمطاني في المغرب والتي تعني الرجل المتلون ومحب المال . راجع ، يواكيم بريتز ، بابوات من الحي اليهودي ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، تقديم ومراجعة سهيل زكار ، دمشق ، دار حسان للطباعة والنشر ، 1933 ، ط 1 ، ص 59 ، الهامش رقم 2 . وذكر ابن خرداذبة الرذائية اليهود بقوله : ((الذين يتكلمون بالعزنية والفارسية والبرومية والافرنجية والانديسية ، والصقلية . وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا)) المسالك والممالك ، ص 153 ، واختلف المستشرقون في تقدير وتحقق دي خويه ، بربل ، 1889 ، ص 153 ، واختلف المستشرقون حول مفهوم الرذائية فمؤيد لو مبار رأى بأن الكلمة مشتقة من شهر يوديو التي تعني النون ، واقترح دي خويه شرحاً آخر وهو أن الكلمة مشتقة من الفارسية وهذا الذي تعني الحارث بالطرق أو الدليل أنظر : مؤيد لو مبار ، الاسلام في مجده الأول ، ترجمة اسماعيل العربي ، الجزائر ، ش . ه . م . ت . 1979 ، ص 313 ، 314 .

ديهم بالبرهاد نيسة (152).

وكان لليهود دور تجاري هام بمدينة سحلماسة التي سيطروا بها على تجارة الذهب (153) المجلوب من غانسة وقد تحدث ياقوت الحموي عن دور الذهب في ثراء سكان المدينة بقوله: ((وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا، لأنها على طريق من يريد غانسة التي هي معدن الذهب)) (154). ورأينا كيف أن هذا المعدن هو السبب في استقرار اليهود بهذه المدينة. بالإضافة إلى أنها في الطريق المؤدية إلى مدينة فأس التي تجلب إليها من كل الأقاليم السلع والمتاع الثالية (155). واليهود يقيمون في أغلب الأحيان تجارتهم في المدن الكبرى والمسالك التجارية.

فما يتعلق بالأعمال التجارية التي اشتغلوا بها في المغرب الإسلامي تجارة الذهب المستخرج من بلاد السودان. وتأتي المنسوجات المصنوعة من الكتان أو من القطن في قائمة البضائع التي يحمل على تصديرها اليهود من المغرب، وكذلك كل أصناف السجاد، والحرير بجميع أنواعه وأشكاله، كما صدر التجار اليهود المعادن الثمينة كالفضة، ومعادن أخرى مثل الرصاص، والزئبق (156).

أما المنتجات الزراعية التي يشارك لليهود في تصديرها من المغرب، الزيت، والصابون، والشمع، والزعفران، ونبات الصبغة والقطران، وأيضا قشر اللوز، والسكك المملح، والقمح على الرغم من قلته، وجلود الحيوانات والصوف. إضافة إلى عقود المرجان التي ضربت رقما قياسيا من بين المنتجات الزراعية المصدرة من المغرب نحو المشرق (157).

وقد عمل اليهود على تصدير الكتب العبرية والعربية من المغرب الإسلامي إذ ((كانت القيروان مركزا هاما للتعليم ومركزا نشطا في إنتاج الكتب، ولقد كان تجار الكتب شغوفين بأن يضموا لمكتباتهم أشهر كتب العلماء كما هو الحال عليه اليوم)) (158).

ففي مرحلة من الإسكندرية إلى القيروان والموجودة ضمن وثائق الجزيرة يقول فيها صاحبها ((لقد سمعت أن ابن اخت الديان قد مات، وأنه يمتلك مجموعات التشریحات المختارة وكتبها من مختارات أسبانيا... أرجو أن تضع ذلك في اعتبارك)) (159) يقصد حاول أن تقتني منها ما أمكن.

(152) - ابن الصغير، أخبار الأئمة، ص 363، بحار، الدولة العثمانية، ص 373.

(153) - الحميري، الروض، ص 306.

(154) - ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 192.

(155) - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزمعي، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، نشرة المعهد الفرنسي، بدمشق، مجلة الدراسات الشرقية، المجلد 21، السنة 1968، ص 193.

(156) - جواتياين، دراسات، ص 239 - 240.

(157) - نفسه، ص 241.

(158) - نفسه، ص 241.

(159) - نفسه، ص 241.

أما الواردات التي قام بجليها التجار اليهود الى المغرب خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فهي التوابل الشرقية كالنفل ، والقرفة ، والقرنفل ، والزنجبيل ، والمر ، والمسك ، والكافور . ونباتات الصبغة ، وأيضا النيلة ، والبقم ، والدمنات ، وكذلك النباتات الطبية والعقاقير وقد رأينا أن الطبيب موسى بن الحازار أرسل الى مصر للحصول على أحد هذه العقاقير لمدادواة أبيته (160) .

ومن المواد المستوردة عن طريق التجار اليهود ملح الامونيوم ، والخامات التي تستعمل في تصنيح الجواهر كاللؤلؤ ، والاحجار الكريمة ، والفيروز ، وأنواع مختلفة من الخزف ، وأيضا بعض أنواع الاصداف (161) . إضافة الى المواد الغذائية التي من أهمها السكر ومنى الورد (162) .

وقد تعرفنا على بعض التجار اليهود الذين يحملون فسي التجارية بين المغرب والمشرق بفضل وثائق الجيزة من بيدهم : جودة بن يوسف (163) ، واسحاق اللامي (164) ونحوي بن نسيم (165) وإبراهيم بن بيجو (166) وخلفون بن نيتايل الدماطي (167) . وإبراهيم وحلفون من اليهود الذين شاركوا في تجارة الهند . فإبراهيم أقام بها خلال عام 1132 م . - 1149 م . وأما خلفون فقد تعددت أنشطته التجارية من حوالي 1125 م الى 1146 م في مصر والهند واليمن والمغرب والاندلس . ومن تجار مدينة طرابلس يوسف اللبيدي (168) . ومن بين هؤلاء التجار ، اسحاق بن باروخ وأبو سعيد خلفون

بن شميل . وقد تعرفنا عليهما من خلال مراسلة جرت بينهما مورخة بتاريخ 29 شوال 532 هـ / 10 أكتوبر 1133 م . إذ أرسل الأول من مدينة المربة بالاندلس الثاني في مدينة تلمسان التي قدم اليها من فاس وذكر تاجر آخر بنفس الرسالة يدعى يعقوب بن المنية (169) .

(160) — المالكي ، رباي النفوس ، ج 2 ، ص 502 .

(161) — جواتيابين ، دراسات ، ص 241 — 242 .

(162) — نفسه ، ص 243 .

(163) — نفسه ، ص 244 .

(164) — نفسه ، ص 234 .

(165) — نفسه ، ص 198 ، ماض رقم 1 .

(166) — نفسه ، ص 260 .

(167) — نفسه ، ص 261 .

(168) — نفسه ، ص 252 .

(169) — أمين توفيق الطائي ، جوانب من الحياة الاقتصادية بالمغرب في القرن

السادس الهجري ، مطبع مركز الدراسات والبحوث على التطور الجهوي ،

جامعة وهران ، ص 19 .

ان هذا العدد من التجار يوضح بجلاء الدور الذي لعبه اليهود في التجارة المغربية إذ لا توجد تقريباً سلعة في أسواق المغرب الإسلامي وفي حوض المتوسط لم تمر على أيدي اليهود . ومن العوامل التي ساعدتهم القيام بهذا النشاط الحرية التي تمتع بها اليهود وسرفتهم الجيدة بالمغرب والأندلسية والإفريقية والأندلسية والمقلية (170) . فاللغة العربية سمحت لهم بوسط أسواق المغرب بالمشرق .

وكان لليهود دور عظيم في تجارة الرقيق أو العبيد ، فقد ذكر ابن سعيد المغربي حادثة تاجر يهودي مع محمد بن الأمير عبد الرحمن السعدي اشتد في ثمن جارية رائعة الجمال فأسكنها عنه ، ورفع القاضي القضية إلى القاضي سليمان بن أسود ، فأنكسر القاضي هذا الفعل ، وسافر إلى الأمير عبد الرحمن في قرطبة لابلغه بما حدث ، وردّها إلى صاحبها (171) . فالرواية تبين بوضوح مدى مشاركة اليهود في تجارة العبيد ويؤكد ما ابن خرداذبة بقوله : ((يسافرون في التجار اليهود من المشرق إلى المغرب . . . يجلبون من المغرب الغنم والجواني والغلمان)) (172) .

وحتى في أوروبا نجد أكثر تجار العبيد من اليهود (173) . ولا يمكن أن يكون شأن هذه التجارة قد نقص في القرنين الرابع الهجري في المشرق الميلادي والسابع الهجري في الثالث عشر الميلادي لكي يقول جواتيان بأن اليهود لم يشاركوا في هذه التجارة خلال هذه المدة انطلاقاً من وثائق الجنيزة (174) ، إذ من المعروف أنهم ما وسوها دوماً ، ان لم نقل هي حكسولهم . وقد ابتدع اليهود ظاهرة الخصاء لملاقتها بتجارة العبيد ، ومنهم أخذها غيرهم من المسلمين وفي ذلك قال المقري (175) . وتخصيهم للفرجة يهود ذمتهم الذين بأرضهم ، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم ، فيحمل خدمتهم من هناك إلى سائر البلاد)) (175) . كما تحدث عن هذه الظاهرة من قبل ابن حوقل النصيب (176) وهو ما يوضح دور اليهود في تجارة العبيد في سائر أنحاء العالم .

- (170) - ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص 153 .
 (171) - عبد الملك بن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق وتعليق شوقي ضيف ، مصر ، دار المعارف ، 1964 ، ط 2 ، ج 1 ، ص 151 ،
 (172) - ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص 153 .
 (173) - أنظر : H. pirenne, Mohamed et Charlemagne Paris, P.U.F. 1970, p. 68.
 (174) - جواتيان ، دراسات ، ص 265 .
 (175) - المقري ، نفح الطيب ، ج 1 ، ص 145 ، عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة الفقهاء ، ص 206 .
 (176) - ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 106 .

عرفنا من قبل دور اليهود في تجارة الذهب ، ومن النشاطات المتفرعة عنها الصيرفة ففي مدينة القيروان حوانيت خاصة لتبديل العملة (177) والعمل بهذا الفرع التجاري المالي الخطير في حياة المجتمعات من الصعوبة الاشغال فيه نظرا للشروط التي يجب أن تتوفر في الصيرفي خاصة في المجتمعات الإسلامية اذ من الشروط اللازمة والضرورية معرفة الشرع الاسلامي في هذا الميدان لكي لا يقع في المحظورات ، ولقد نهى الى ذلك ابن الاخوان بقوله : ((التمشي بالصرف خطو عظيم على دين متعاطيه بل لا يقي للدين معه الا بعد معرفة الشرع ليتجنب المحظورات)) (173) .

أما الوثائقي فقد نهى بدوره من يريد العمل بهذا الفرع المالي ((فالغالب على معاملتهم الفساد والربى)) (179) . فمن خلال هذه النظرة لهذا النوع من التجارة نجد اليهود الذين يحلون الربا مع غير اليهود قد تعاطوا مهنة الصيرفي في المغرب الاسلامي . وقد كانت دون شك مصدرا رباحا فاحشة . والرواية التي أوردها المالكي تبين مدى تعامل اليهود بالربا في أسواق مدينة القيروان ((قال أحمد - أحمد بن أبي سليمان - رأيت في ماضي كأن صحن مسجدي امتلا زبلا ، ورجلان في ناحية منه يتحدثان باليهودية ، فلما أصبحت جاء رجل فأخذ مفتاح المسجد ، فاذن ، ففقت فخرجت الى المسجد فاذا صحنه ملي ببناس متبيضين ، فلما صلوا أتوا الي فقالوا لي : ((نحن الصيارفة أمرنا عبد الله بن أحمد بن دالب أن لا نتصرف من أحد حتى ننظر في كتاب الصرف ، فقراءته لهم ، وعلمت أن ذلك تأويل الرويا)) (180) ، فقوله رجلان ... يتحدثان باليهودية يدل على دور اليهود في المعاملات المالية بالربا .

واشتغل اليهود كسماسرة في أسواق المغرب وقد كان دورهم قوي الاثر في العمليات التجارية بالأسواق فهو ((التائم بالوساطة بين الباعة والمشتريين ، يمتد نشاطه على سوق واحدة ويكون تدخله في العمليات التجارية الصغيرة)) (181) . وفي أكثر الأحيان يقتصر عمله على عمل الدلال اذ يقوم باشتغال البضائع للبيع ويشرف على عمليات المزايدة فيها (182) . وقد ذكره المالكي أحد هؤلاء الباعة في أسواق افريقية (183) .

(177) - الجنحاني ، المغرب الاسلامي ، ص 63 .

(178) - ابن الاخوان ، معالم القرية ، ص 133 .

(179) - الوثائقي ، المعيار ، ج 5 ، ص 64 .

(180) - المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 506 - 507 .

(181) - نجاة باشا ، التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الى القرن الثامن للهجرة ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، منشورات الجامعة التونسية ، 1976 ، ص 53 .

(182) - نفسه ، ص 53 .

(183) - المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 337 .

وفي مقابل مشاركة اليهود في التجارة المغربية ، عليهم بدفع ضرائب على السلع المباعة اذا كان التاجر لا يقطن بلد معين . والعلماء قد نظروا في هذه المسألة من الجانب العملي الواقعي .

ان الخشني يوضح تعشير تجارة الذي بقوله : ((وحكم الذمسي اذ اجرالى غير البلد الذي هو به ، أن يؤخذ منه العشر من ثمن ما يبيعه ، وان لم يبيع فلا شيء عليه)) (134) . ويذهب ابن ابي زيد القيرواني نفس المذهب ((ويؤخذ ممن تجر منهم من أفق الى أفق عشر ثمن ما يبيعه وان اختلفوا في السنة مرارا)) (135) .

أما التجار الذين يتجرون داخل بلدان المغرب ، فيدفعون الجزية فقط ، مثل بقية أهل الذمة ، اذ لا يدفعون ضريبة على أموالهم وان كانت معدة للتجارة وفي هذا يقول أبو يوسف ((وما لم يكن من مال للتجارة ومروا به على الحاشر فليس يؤخذ منه شيء)) (136) . ويشرح الاستاذ زيدان سبب إعفاء الذي من الضرائب التجارية عندما يعمل في البلد المقيم به ، ووجوبها عليه حينما ينتقل الى بلد آخر بسبب الحماية التي توفر للذي ، ولا يتفاهه بالمرافق الاخرى كطرق المواصلات والقناطر والجسور ، وايضا لان ربحه يزداد بسبب تنقله (137) .

وهذه القاعدة كانت متبعة في المغرب الاسلامي ، فابن حوقل في معرني حديثه عن سجل ماسة يذكر أنواع الجبايات التي كان يجبيها أميرها : ((ولم يزل المعتر أيام ولايتها وعو أميرها يجتبيها من قوافل خارجة الى بلد السودان وعشر وخراج وقوانين قديمة ، على ما يباع ويشتري من اهل وغنم وبقرة)) (138) . فالعشر هنا تدل على الضرائب التي تؤخذ من التجار اليهود ، لان الضرائب على تجارة المسلمين تبلغ نصف العشر ،

ان اليهود كانوا يتعاملون مع المسلمين ، ومع بعضهم ولكن على أي أساس يتعامل التجار اليهود ؟ يرى جوايتاين بأن اليهود كانوا يمثلون طبقتهم في القرن الخامس الهجري ٤ الحادي عشر الميلادي ، ولم يكونوا ممثلين لجماعتهم الدينية القوميسية (139) .

(134) — الخشني ، أصول الحثيا في الفقه ، ص 437 .

(135) — ابن ابي زيد القيرواني ، الرسالة ، ص 134 .

(136) — نقلا عن زيدان ، أحكام الذميين ، ص 136 .

(137) — نفسه ، ص 131 .

(138) — ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 96 — 97 .

(139) — جوايتاين ، دراسات ، ص 139 .

غير أن هذا الحكم يصعب الأخذ به بالنسبة للجاليات اليهودية المبنية على التعصب الديني والانتماء إلى جالية معينة تتعامل مع الآخرين على أساس المصلحة والفائدة ، ولا تربطهم رابطة الأرض أو الحدود ، وجوانباين نفسه يؤكد هذه الحقيقة بقوله : ((وبما أن وثائق الجليزة في جومرما مستودع للأوراق المستهلكة المكتوبة بالحروف العبرية فإنها كانت تتصل أساسا بالنشاط الاقتصادي لليهود بين بعضهم البعض ، ويبدو أن الأعمال التي كانت تدار إلى حد كبير في موازاة خطوط دينية ... كان من الطبيعي أن يتعاطف اليهود أبناء الملة الواحدة مع بعضهم البعض ، وكان ذلك سببا إضافي لوجود العنصر الطائفي في تنظيم التجارة)) (190).

(ب) - الصناعة : شارك اليهود في النشاط الصناعي في المغرب الإسلامي بصورة واضحة ، إذ اقتصرت بعض الصناعات على اليهود ، ومنها صناعة الذهب (191) والفضة والنحاس (192) . ومعظم الصاغة في المغرب من اليهود (193) .

واشتغل اليهود في ميدان البناء في سجلماسة إذ يذكر الحميني مدى تركيز اليهود في صناعة البناء بقوله : ((والبنائون عندهم اليهود لا يتجاوزون هذه الصناعة)) (194) . ومن الصناعات الأخرى التي عملوا بها الخبازة (195) . بالإضافة إلى الصباغة في جبل نفوسة (196) .

أما عن النشاط الصناعي لليهود من خلال أوراق الجليزة المنشورة باللغة العربية فهي تتحدث عن الصنائع التي عمل بها اليهود دون تحديد للمنطقة إلا في مناسبات قليلة ، وبالتالي اعتمد عليها لأنها تخص اليهود الذين يتركزون في منطقة البحر المتوسط وأهمها صناعة الأقمشة المعروفة بالسوسية نسبة إلى مدينة سوسة التونسية (197) التي تصدر إلى مصر . ففي القاهرة يوجد سوق تباع بها - سوق سوسي - وأيضاً تحضير الأدوية أي الصيدلة لأن الطب بالمغرب الإسلامي تطوراً عظيماً . ومن المؤكد أن هذه الصناعة

-
- (190) - نفسه ، ص 276 - 277 .
 (191) - البزلي ، جامع الأحكام ، ج 1 ، ص 90 .
 (192) - عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة الفقه المالكي ، ص 251 .
 (193) - عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 110 .
 (194) - الحميني ، الروض ، ص 306 .
 (195) - الدباغ ، معالم الإيمان ، ج 3 ، ص 19 ، البزلي ، جامع الأحكام ، ج 1 ، ص 41 .
 (196) - الدرجيني ، ج 2 ، ص 303 ، بحار الدولة الرستمية ، ص 168 .
 (197) - جوانباين ، دراسات ، ص 174 ، 239 ، 242 ، الطيبي ، ملاح ، ص 11 .

١٤٨
وجدت رواجاً كبيراً ، ونالت شهرة واسعة . ومن الصناعات الأخرى ، صناعة
الزجاج (198) .

وعمل اليهود دون شك في صناعة الخمر ، وأنواع البيرة (199)
مثلما عمل النصارى بهذه الصناعة (200) ، التي يستهلكها اليهود والنصارى دون حرج
لأنها غير محرمة في ديانتهم . وقد شاع شرب المسكرات حتى في بعض البيوتات
الحاكمة من المسلمين (201) ولدى العامة ، الذين تغلبوا في صنعها من العنب
ومن الفواكه (202) .

(ج) - مهـن أخرى : ومن المهن التي برز فيها اليهود
في المغرب الإسلامي صناعة الطب ، التي برع فيها الكثير من الأطباء أمثال اسحاق
بن عمران طبيب الأمير الأغلب إبراهيم الثاني (203) واتخذ عبيد الله المهدي
أول الخلفاء الفاطميين اسحاق الإسرائيلي طبيباً خاصاً له (204) . ودخل موسى
ابن العازار في خدمة المعز لدين الله الفاطمي (205) وابن عطاء خدم في بلاط
المعز بن باديس (206) .

واستعمل بعض أمراء الأندلس أطباء يهود من بينهم يحيى بن
اسحاق طبيب عبد الرحمن الناصر ولمكانته الخاصة لدى مؤسس الدولة الأيوبية
بالأندلس قلده العديد من المناصب الأخرى الهامة (207) . وخدم مجاهد العامري
مؤسس مملكة دانية وجزر البليار الطبيب اسحاق بن قسطار (208) . أما حسداي بن
اسحق فقد استخدمه الحكيم عبد الرحمن الناصر (209) .

-
- (198) - جواتيان ، دراسات ، ص 179 .
(199) - يحيى بن عمر ، أحكام السوق ، ص 96 .
(200) - الوتشريسي ، المعيار ، ج 6 ، ص 69 .
(201) - الأمير عبد الله التبيان ، ص 42 ، 47 ، ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 311 .
(202) - عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 242 .
(203) - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 479 .
(204) - ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد ، ص 48 .
(205) - الدباغ ، معالم الإيمان ، ج 3 ، ص 159 ، ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ص 545 .
(206) - الدباغ ، معالم الإيمان ، ج 3 ، ص 159 .
(207) - ابن أبي أصيبعة ، عيون ، ص 488 .
(208) - نفسه ، ص 498 .
(209) - نفسه ، ص 498 .

ومن الذين اشتغلوا بمهنة الطب كذلك في الأندلس
أبو الفضل حسداي بن يوسف ابن حسداي (210) . واشتهر منهم أيضا أبو جعفر
يوسف بن أحمد بن حسداي (211) إضافة إلى ابن بكلاوش (212) .
إن هذه القائمة الطويلة من الأطباء اليهود ، والذين استعملهم
بعض الأمراء والسياسيين المسلمين توحى بأن هذه الصنعة كانت مقتضوية على
اليهود وغيرهم من النصارى . ولكن من يطالع المتاحف التي امتلكتها جملة الأطباء
والحكماء يجد عدد كبير من الأطباء المسلمين ، ويبدو أن الحوائك السياسية هي
التي ساعدت اليهود وغيرهم من أهل الذمة للحصول على الحضرة لدى السلطات
المسلمين في المغرب الإسلامي .
أما في المجال الزراعي فإن الإشارات التي تتعلق باليهود
قليلة للغاية لصيغة دورهم في هذا الميدان ، ويبدو ذلك استتار المصادر التاريخية
عن اليهود ، وأهل الذمة المستقرين في ريف المغرب .
وعلى ما يبدو فإن اليهود والنصارى الذين استقروا بحسب د
كبير في أرياف الأندلس عملوا في الزراعة وما يتعلق بها من رعي وصيد . ويستدل أحد
الباحثين المتأخرين على اشتغال أهل الذمة بالحمل الزراعي أن الفونس السادس
حمل في سنة 487 هـ / 1094 م جملة من رعية غرناطة ثمانية أراضٍ بالبلطانة (213) .
وتسكت المصادر عن امتلاك اليهود للأراضي ، وأهل هذا
الصنعة يرجع إلى عدم محاولتهم امتلاك أراضي الزراعية ، والاعتماد أكثر على اليد
التجارية الذي سيطروا عليه سيطرة شبه تامة ، وكما قال أحد المستشرقين
(أ يبدو أن دور العرب كان أضال شأنا عن دور اليهود المغاربة) (214) .
ومن الإشارات القليلة التي وصلت إلينا في شأن ملكية الأرض
ما أشار إليه الجزائلي ، لما أراد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين توسيع مسجده
فأسفاه في المسلمين الأملاك التي كانت قبلة المسجد وأكثر هذه الأملاك كانت
لليهود (215) . وقد يفهم من هذه الرواية أن أكثر أملاك اليهود من الأراضي
كانت في المدن المكتسرة .

(210) نفسه ، ص 499 .

(211) نفسه ، ص 499 .

(212) نفسه ، ص 501 ، وأنظر: Roland trois études d'histoire de la médecine Arabe en occident Hegeris, 1930, tome X, p. 135.

(213) عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 103 ، 109 .

(214) هونج جسي وات ، فضل الإسلام في الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، 1986 ، ط 1 ، ص 36 .

(215) أبو الحسن علي الجزائلي ، زهرة الاس في بناء مدينة فاس ، ص 57 .

أما في الريف فإن أعدادهم به كانت على ما يبدو قليلة جداً .
وبالتالي فإن اشتغالهم بالعمل الزراعي لا يصل إلى مستوى أعمالهم في الميادين
الاقتصادية الأخرى كالتيجارة والصناعة .

فإن سكنت المصادر التاريخية عن امتلاك اليهود للأراضي
الزراعية ، فعلى العكس من ذلك فيما يتعلق بالمصادر الفقهية التي أشارت إلى هذه
الاملاك في المغرب الإسلامي . فالونشريسي قد ترك العديد من المسائل الفقهية
المتعلقة بالأراضي . وفي أحداها ، مسلم ابتاع جنة من يهودي وحبسها ، فقام يهودي
بإدعي استحقاقها بحبس (216) . أن هذه الفتوى تبين اكتساب اليهود
للأراضي الخاصة بالزراعة لأن كلمة ((جنة)) تدل على الأرض المستعملة للزراعة
ولكن لا تصرف أكثر من هذه المعلومات الزميدة لنشأة اليهود في الميدان
الزراعي (217) .

ومن الأعمال التي قام بها اليهود ، التجارة في الريف على
بطاق ضيق إذ نجد بعض الإشارات عن الباعة المتجولين في الأسواق أو الذين
يتجولون بين المدن والقرى والمد اشترقصد البيع والتجارة (218) كما
نجد البعض منهم يحملون كجزائريين يتاجرون في اللحم والطير (219) . ولقد
تركزت مشاركة اليهود في بيع اللحوم الأرياب لدى المسلمين في تعاملهم مع هذا
الصف من التجار ، مما حدا بالفقهاء ورجال الدين المغاربة الافتاء فيها ، وأظهر
بيان الشرح في ذلك . فهذا ابن أبي زيد القيرواني في رسالته يبرز موقف الإسلام
من المسألة بقوله ((ولا بأس بطعام أهل الكتاب وذبحاتهم وكره أكل شحم اليهود
منهم من غير تحريم)) (220) . رلى الرغم من اتفاق العلماء على جواز ذبائح
أهل الذمة من اليهود والنصارى ، نجد ابن عبدون الذي عاش في العهد المرابطي
لا يسمح ببيع ذبائح اليهود للمسلمين (221) . ويبدو أن لحارضة ابن عبدون
رأي سياسة أدت به إلى اتخاذ مثل هذا الموقف . فالدولة المرابطية حاربت
اليهود ، وضيقت عليهم الخناق للدور الذي لعبوه في معركة السراة . وكذلك

(216) — أنظر تفاصيل هذه المسألة التي طرحت على ابن عتاب في الونشريسي ،
المعيار ، ج 7 ، ص 438 — 439 .

(217) — يبدو أن اليهود لم يعمروا امتلاك الأراضي إلا في حالات قليلة ، فحتى
وثائق الجنيزة التي أمكن الاطلاع عليها لم تتضمن لمسألة الأرض وحيازتها .

(218) — المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص 337 ، الونشريسي ، المعيار ، ج 7 ، ص 245 .
(219) — الونشريسي ، المعيار ، ج 5 ، ص 250 .

(220) — ابن أبي زيد القيرواني ، الرسالة ، ص 158 ، وراجع الامام مالك ، المدونة
الكبرى ، ج 1 ، ص 438 — 439 .

(221) — أنظر : E. levi-provençal . Seville musulmane au début du
XII siècle , le traité d'IBN ABIJOUN . Paris , éditions

G.P. Maisonneuve 1947 , p. 110 .

لحملهم على اعتناق الاسلام (222) كما حدث في العهد الموحدي ، قال يـ
عبد المؤمن بن علي الذي نسبت قوليسة مشهورة (لا حاجة بنا لجزييتكم) (223)
ولعليسة يقصد دخولهم للاسلام أهم من الجزية التي ضريت عليهم .

وأياً في عنصر سابق أن اليهود يتاجرون في بيع الكتب والاعتناء
ما يهم الديانة اليهودية سواء كان ذلك في مصر أو في تونس ، ومن طريف ما يروى عن
عملوا في ميدان الوراقة أكثر مما يعرف في المصادر . ومن طريف ما يروى عن
الوراقين اليهود ، أن أحدهم دخل على المؤمن فجالسه ، وأعجب به ، ورثب
في الاسلام فوفى . وبعد سنة عاد اليهود فأسلم ، فتعجب المؤمن من ذلك
فأخبره اليهودي أنه خرج من عنده فسخ نسخة من التوراة حرق فيها فقيلت منه ،
ثم نسخ نسخة من الانجيل محرفة فباعها ، ثم حرف القرآن وأراد بيع النسخة المحرفة
فردت إليه بعد مراجعتها ، واكتشاف التحريف (224) .

وابن عيـدون في رسالته قد تشدد في مراقبة الكتب التي
يبيعها اليهود والنصارى ، ويمنعهم من بيع الكتب الناجمة ، ويمنع لهم بالتاجرة
في كتبهم المتعلقة بديانتهم (225) . وعمل بعضهم في الترجمة خاصة من العربية
ويبيعونها وينسبون تأليفها إلى أهلهم وأساقفتهم ، وهي أساساً من تصانيف
المسلمين .

وخلاصة القول أن اليهود في المغرب الاسلامي اجتهدوا
لم يتعرضوا للمضايقة فقد جاؤوا المسلمين في مساكنهم دون أي وان كانت لهم
أحياناً خاصة فيهم . ذلك لليهود أنفسهم لا لهم يحدون التجديع في أحياناً تسمح
لهم بممارسة شعائهم بعيدين عن أعين المسلمين ، ولا لهم يفضلون الانزواء والطلاقاً
من أفكارهم الدينية التي تقول بأن اليهودي أفضل من غيره وبالتالي عليه أن
يتجنب غيرهم في المعاملة الا اذا كانت المصلحة تقتضي ذلك .

وفي المجال الاجتماعي أيضاً نجد اليهود قد غالفوا المسلمين
في اللباس ولكن لفترات معينة ، والهدف من هذا الذي هو المحافظة على حقوقهم
دون أن يلحق بهم أي من قبل المحتسبين ، وذلك قبل أن تظهر خيانة
اليهود المسلمين الذين حافظوا على ديانتهم في الخفاء ، وعملوا على أي
المسلمين ، والتجسس ، فاقتضت الضرورة حينئذ بأن تصبح لهم علامات خاصة

(222) — عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 112 .

(223) — هوبكنز ، النظم الاسلامية ، ص 112 .

(224) — لطف الله قاسم ، الوراقة والوراقون في التاريخ الاسلامي ، الرياض ،
مشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، 1983 ، ط 2 (المكتبة
الصغيرة 37) ص 48 .

(225) — أنظر : Provensal, Seville. p. 128.

الفصل الرابع

الحياة الثقافية لليهود

1. التعليم والمؤسسات التربوية
2. الحركة الفكرية
3. التأثير الاسلامي في الثقافة اليهودية
4. الجدل الثقافي بين اليهود والمسلمين
5. دور اليهود في نقل الثقافة الإسلامية الى أوروبا

(1) - التعليم والمؤسسات التربوية :

اهتم اليهود بتعليم أبنائهم بجدية في العصر الوسيط فالظروف كانت ملائمة والمتمثلة في البيئة الاسلامية التي كان لها دور عظيم في تطوير التعليم ومفهومه لديهم، وحرية العقيدة الممنوحة لاهل الذمة، وأيضاً الصراع لتحقيق الذات اليهودية في المجتمع الاسلامي للحفاظ على خصائص اليهود الفكرية المميزة والمستمدة من كتبهم الدينية .

وقد تحدث أحد اليهود المعاصرين عن الوحدة الفكرية لليهود في العصر الوسيط بقوله : ((خلال هذه الفترة ، ورغم الشتات ، فان اليهودية تمتاز بوحدة خارقة في ميدان الافكار، والمعتقدات، والعادات الثقافية وفي كل ما يتعلق بحياة اليهود عامة)) (1) .

ويشتمل التعليم لدى اليهود على ثلاث مراحل فللاولى وهي المرحلة الابتدائية تهدف أساساً لتهيئة الطفل للمشاركة في اقامة الواجبات الدينية كقراءة نصوص الكتاب المقدس ، وتلاوة الادعية الدينية . أما بقية المواد الاخرى مثل الكتابة والحساب ولغة البلد الذي يقام فيه ، فهي من اختصاص فروع أخرى مهنية أو أنها تدرس في مستويات أعلى ، وكذلك دراسة بعض أجزاء الكتاب المقدس التي ليس لها علاقة مباشرة بالفروع والواجبات المقامة بالبيع اليهودية (2) .

وعلى ما يبدو فان هذه المرحلة من التعليم مستمدة من نظم التربية الاسلامية التي تبدأ بتعليم الولدان القرآن الكريم لانه ((أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعده من الملكات . وسبب ذلك أن تهليم الصغر لشدة رشوخا وهو أصيل لما بعده)) (3) .

وتحتوي المرحلة الأعلى دراسة منتظمة لمقاطع من الكتاب المقدس والقوانين الشرعية التي وضعها علماء الدين اليهودي المستمدة من الكتب الفقهية (4) . وهذه المواد الدراسية تعتبر مكمل للمرحلة الاولى إذ تؤدى بالطفل الى

(1) - أنظر : Haim Zafrani, pédagogie Juive en terre d'islam, l'enseignement traditionnel de l'hebreu et du judaïsme au maroc, Paris, librairie d'Amérique et d'orient, Andrieu Maisonneuve, 1969, p 15

(2) - أنظر : Ibid, pp 16 - 17.

(3) - ابن خلدون، الخطبة ج 2، ص 1038

(4) - أنظر : Haim Zafrani, pédagogie Juive, p 17.

اكتساب معارف دينية متينة ليحافظ على يهوديته ، ولتحصينه من محاولة الخروج عن ديانة السلف .

ودراسة التلمود هي أعلى مرحلة في التعليم وهي موجهة أساساً الى المثقفين ثقافة عالية . والدراسة المنهجية للغة العبرية منتشرة بين هؤلاء المثقفين والادباء . أما الفلسفة والتعليم الديني خاصة الطب فهي مقتصرة على نخبة صغيرة (5) .

فالتعليم كما هو واضح ، أساسه الديانة اليهودية بالنسبة لكل المراحل . وتعطى دروس للكبار وهي بمثابة محو الامية في الوقت الحالي ، وهي ضرورية ، وواجب أساسي . تقدم هذه الدروس في الليل ، وأيام العطل أي السبت وفي أيام الاعياد حتى تقتنر بالديانة اليهودية .

كما اهتم اليهود بالتعليم المهني سواء في الميدان التجاري أو الصناعة التقليدية (6) وقد أوضحت وثائق الجنيزة طريقة تعلم مهنة من المهن دون تقديم رسوم أو أجر مقابل ذلك . وليس لهذا النوع من التعليم أحكام محددة فالأباء يعلمون أبناءهم صنعتهم . وفي إحدى هذه الرسائل كتبت سيدة في الريف لامها بصدد شقيقها الأصغر تقول ((كيف تدعين الولد . . . قبل أن يتعلم صنعة)) (7) . وهو ما يعطينا فكرة عن الاهتمام بهذا النوع من التعليم الذي يعتبر أساسياً .

ويسمى هؤلاء الأطفال الذين يتعلمون مهنة أو صنعة بالصبيان (8) ومن واجباتهم تأدية صلواتهم لأنهم ليسوا سفاراً كما يتبادر الى الذهن (9) . وقد ذكر جواتياين أن أحد التلاميذ المتدربين أشتكى لانشغاله طول الوقت في

(5) — جواتياين ، دراسات ، ص 117 ، وأنظر : Zafrani, pédagogie, p.17.
(6) — أنظر : Zafrani, pédagogie, p.17.

(7) — جواتياين ، دراسات ، ص 176 .

(8) — الصبيان يعني الأطفال الصغار ، وقد استعمل العلماء المغاربة هذا المصطلح ، ووضعوا التأليف حول طب الأطفال وتعليمهم ، راجع ، ابن الجزار القيرواني ، سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، محمد بن سحنون ، كتاب أداب المعلمين ، تقديم وتحقيق ، محمود عبد المولى ، الجزائر ، ش.و.ن.ت. 1981 ، أحمد أبي جمعة المشرقي ، جامع انجوام الاختصار والتبيان فيما يحرم للمعلمين أبناء الصبيان ، تحقيق وتعليق ، أحمد جلول بدوي ، وراجع بونار ، الجزائر ، ش.و.ن.ت. 1975 .

(9) — أن الدين الاسلامي أولى أهمية عظمى لهذه المسألة إذ جاء في الحديث ((علموا أولادكم الصلاة إذا كانوا بنين سبع ، وأضربوهم عليها إذا كانوا بنين عشرين)) راجع محمد بن سحنون ، كتاب أداب المعلمين ، ص 63 .

الحمل وليس لديه وقت لاداء الصلاة (((10) . فالرسالة توضح مدى استغلال
 بصر الأطفال في ميدان العمل على حساب الفروع الدينية .
 والتعليم موجه بصورة عامة للبنين ، أما البنات فيتعلمن التدبير
 المنزلي في وسط الاسرة ، وأيضا مبادئ التربية التقليدية اليهودية على يد معلمين
 عريان أو على يد متخصصات من النساء مثلما ذكرت أوران الجنيزة عن وجود محلمات
 يشرفن على التعليم في المدارس (11) . وعلى ما يبدو فان مدارس البنات قليلة
 بالمقارنة مع مدارس البنين حسبما تقتضيه التربية اليهودية .
 أما طرق التعليم ، ففي المرحلة الابتدائية تقوم القاعدة التربوية
 على التلقين بقصد تحفيظ انتميز في سنواته الاولى الدعوات ونصوصا من التوراة (12) .
 وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تقليدية ورمي السائدة تقريبا في ذلك الوقت ،
 وتستمد ما حتى المدارس الإسلامية ، إلا انها استطاعت أن تبرز العديد من العلماء
 والفقهاء الذين ترأسوا الجاليات اليهودية .
 وقد اهتم العلماء اليهود — ايمانا بدور التربية — بالجانب
 الدللي التربوي فناقشوا هذه المسألة في كتاباتهم ومؤلفاتهم ، اذ تطرق ابن ميمون
 في كتابه ((كتاب المعارف)) للطرق التي يمكن بواسطتها دراسة الشريعة
 اليهودية (((13) . وكتب الربى يهودا بن ربي صموئيل بن عباس المعروف لدى
 المسلمين بأبي البقاء ابن يحيى بن عباس المغربي رسالة حول التعليم (14) .
 ويمكن أن نحرف الاراء التربوية لأبي البقاء من خلال ما سجله
 ابنه السموءل ابن يحيى بن عباس المغربي (ت في القرن السادس الهجري /
 الثاني عشر الميلادي) عن تعليمه فيقول : ((وشغلني أبي الكتابة بالعلم الصبي
 ثم بعلوم التوراة وثقاسيرها حتى اذا أحكمت علم ذلك عند كمال السنة الثالثة
 عشرة من مولدي شغلني حينئذ بتعليم الحساب الهندسي وحل الزيجيات
 عند الشيخ الاستاذ العالم أبي الحسن الديسكي . وقرأت علم الطب على
 الفيلسوف أبي البركات هبة الله ابن علي والتأمل في علاج الامراض ومشاهدة
 ما ينفج من الاعمال الصناعية في الطب والعلاجات

(10) — جواتياين ، ص

(11) — نفسه ، ص 177 .

(12) — أنظر : Zafrani, pédagogie, p. 17.

(13) — نفسه ، ص 16 .

(14) — طبع هذا الكتاب من طرف د. مان (NIDMAN) في كتابه من تاريخ
 التربية اليهودية في اسبانيا ، وترجم الكتاب للامانية أنظر : Zafrani,

pédagogie, p. 19 et note 28 de la même page

فأما الحساب . . . والريخ فاني أحكمت علمي به . . . حينما كمل بي أربع عشرة سنة (((15) .

ان هذه الطريقة على ما يبدو لم تكن تشمل كل أبناء اليهود ولكن تمثل نموذجا لتعليم أبناء الشخصيات المرموقة . وأما الطريقة المثلث التي وردت في كتاب والده النظري حول التعليم فيمكن ايجازها فيما يلي : في السن الثالثة يبدأ الطفل بتعلم القراءة وفي الرابعة والنصف يدرس الابواب الاولى من التوراة . وعند ما يصل الطفل السن السادسة والنصف عليه أن يدرس أسفار موسى الخمسة (متبوعة بالترجمة الارامية التي تعد كمدخل لدراسة التلمود ، وبعد ما تأتي دراسة أسفار الانبياء . وحينما يصل الطفل الثالثة عشر تبدأ عملية تدريس النحو من كتب المتخصصين في هذا الميدان كابن جناح ، وداود القمحي ، ويهود حيوز ، وابراهيم بن عزرا ، وذلك بموازاة دراسة التلمود حيث يبدأ التلميذ بالفصل البابلي . وفي الثامنة عشر يتزوج الطالب وحينئذ يشتغل بدراسة العلوم كالطب ، والفلسفة ، والفلك ، والميكانيكا ، والموسيقى . وتدرس جل هذه المواد من كتب العلماء المسلمين (16) .

وفي التربية النظرية أيضا ، ألف الحبر اليهودي يوسف بن ألكين كتاب ((طب النفوس)) باللغة العربية تحدث فيه عن العلم المثالي والتلميذ النجيب . وأفراد الفصل السابع عشر لفضائل المعلم والتلميذ وهو على ما يبدو قد اطلع على كتاب محمد بن سحنون ((كتاب أداب المعلمين)) (17) . وتأثر به ، وأخذ عنه في كثير من الفصول .

وفيما يخص المؤسسات التعليمية ، فان المعلومات حولها قليلة ولكن بالمقارنة يمكن التعرف عليها بصورة تقريبية فهي تشبه مدارس المسلمين ، اذ تخصص أماكن خاصة في بيع اليهود لتدريس الصبيان ، وقد تكون هذه الأماكن خارج بيع اليهود . أما الاغنياء فكانوا دون شك يحضرون المعلمين الى بيوتهم لتعليم أبناءهم .

(15) — السموّل المغربي ، الباهر في الجبر ، تحقيق وتحليل صلاح أحمد ، ورشدي راشد ، دمشق ، مطبعة الجامعة ، 1972 ، المقدمة ، ص 6 .

Zafrani, Pedagogie, p 20-21.

(16) — أنظر :

Zafrani, Pedagogie, p 22.

(17) — أنظر :

أما المدارس العليا ، فالمعلومات عنها قليلة أيضا في المغرب الإسلامي ، ما عدا الاخبار التي وصلتنا عن المدرسة التي أنشأها حسـداي ابن شـروط في الاندلس بمدينة قرطبة ، اذ فتحت هذه المدرسة أبوابها لكل العلماء اليهود فقصدها من المشرق ، خاصة وأن المؤسس كان سخيا في الاغداق على أساتذتها (18) .

وبعد ما أنشأ اليهود مراكز أخرى للدراسات اليهودية كالمدرسة اللغوية واللاهوتية في أليسانة التي تخرج منها النحوي اليهودي مروان بن جناح (19) اضافة الى مدرسة القيروان التي جمعت هي الاخرى مجموعة كبيرة من العلماء ، مما جعل هذه المدينة تتبوأ مكانة ممتازة في الدراسات اليهودية (20) . ولا شك أن التأثير الإسلامي قد دخل الى هذه المدارس حتى تكون بهذا المستوى العلمي العالي .

(2) - الحركة الفكرية :

وجد اليهود في المغرب الإسلامي ، الظروف الملائمة التي ساعدت على ظهور حركة فكرية يهودية وصلت الى ذروتها في الاندلس ، حتى أصبح المغرب مقصد العلماء اليهود الذين كانوا في المشرق ، وتحولت إدارة الدراسات اليهودية من المشرق الإسلامي الى المغرب الإسلامي .

فالحرية التي كان يتمتع بها اليهود في المغرب ، والاحتكاك بالثقافة الإسلامية ، والتأثر بها ، ومحاولة اليهود لفرض ثقافة يهودية بحتة قصد الوقوف أمام التأثير الثقافي الإسلامي من العوامل التي كانت وراء ظهور هذه الحركة .

وقد نبغ عدد كبير من العلماء اليهود في مجالات ثقافية عديدة في العلوم الدينية ، واللغة ، والادب ، والتاريخ ، والرحلات ، والطب ، فأصبح بذلك المغرب الإسلامي أعظم مركز ثقافي يهودي في العصر الوسيط ، بالاضافة الى أنه أهم مركز لتجمع الجاليات اليهودية خاصة غرناطة ، وأليسانة التي كان أكثر سكانها من اليهود حتى قيل بأنها أصبحت دولة داخل دولة (21) مما حدى ببعضهم بارساء فكرة تكوين دولة يهودية في المغرب .

(18) - محمد بن عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 24 .

(19) - نفسه ، ص 34 .

(20) - أنظر : Idris, la Berberie, T I p 802

(21) - اسماعيل الحضري ، دولة بني زيري ملوك غرناطة ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ، ص 189 .

1) العلوم الدينية :

اشتهر في هذا المجال موسى بن ميمون القرطبي ، ولد بقرطبة ثم أقام بفاس ، ومنها اتجه الى مصر حيث استقر هناك الى آخر أيامه . وقد قال عنه ابن أبي أصيبعة ((عالم بسلن اليهود ، ويعد من أحبارهم)) (22) . وأهم ما كتب في الديانة اليهودية ((السراج)) وهو تفسير للمشنا و ((مشنطرة)) بمعنى إعادة الشريعة دون فيه شريعة موسى غير المدونة (23) ويدعى هذا الكتاب أيضا اليد القوية (24) ومن المؤلفات الأخرى التي كتبها في الديانة اليهودية : ((مقالة في التوحيد)) وهي عبارة عن رسالة تهدف الى اثبات وحدة الله (25) . وعلى الرغم من يهوديته الأصلية نجد عدم اتفاق اليهود حوله ، فقد ذكر ابن العربي بأنه رأى جماعة من اليهود يلعنونه ويسمونهم كافرا (26) . ولكن ابن ميمون فرض نفسه في المجال الديني اليهودي والفلسفة الدينية ، اذ يعتبره أكثرهم من ألمح الشخصيات الدينية اليهودية في العصور الوسطى لذلك لقب بالناقد أي الرئيس بمعنى أنه كان يترأس الجالية اليهودية بمصر (27) . ومن اليهود الذين شاركوا في الدراسات الدينية الربني أبو البقاء بن يحيى بن عباس المغربي ، تحدث عنه ابنه السموئل قائلا : ((يقال له الرب يهودا ابن أبون من مدينة فاس ، والرب ليس لقب باسم وتفسيره الحبر ، وكان أعلم زمانه في علوم التوراة وأقدرهم على التوسع في الانشاء والاعجاز من الرجال العبراني ومنشوره)) (28) . ومن أعماله الكتابية الهامة لدى اليهود ((عقيدة)) (Agadda) وهي قلادة شعبية تحتوي على طقوس دينية مازالت تتشد الى اليوم في بيــــــــــــــــع

- (22) — ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 583 .
 (23) — عبد القادر أحمد اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، 1969 ، ص 276 .
 (24) — أنظر : Zeffreni, 'pedagogie juive', p.20.
 (25) — دي لاسي أوليبيدي ، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ترجمة وتعليق اسماعيل البيطار ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، دون تاريخ ، ص 225 .
 (26) — غريغوريوس المظلي ، المعروف بابن العربي ، تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، دار النهضة ، دون تاريخ ، ص 239 .
 (27) — السموئل ، الباهر ، المقدمة ، ص 5 ، وعن الترجمة الكاملة لابن ميمون في شكل رواية ، أنظر Herbert le Poirier, le médecin de Cordoue, paris Editions du Seuil, 1974.

(28) — ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 582 .

(160)

اليهود السافرديين (29).

وقد شاركت مدرسة القيروان في انتعاش الدراسات اليهودية ، ومن أهم شخصياتها نسيم بن يعقوب القيرواني الذي عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين / الحاشي والحادي عشر للميلاد . ومن أهم أعماله ((كتاب مفاتيح مغاليق التلمود)) باللغة العربية (30).

ومن الأندلس يوسف بن يهودا بن يعقوب ، ولد ببرشلونة حوالي 545 هـ / 1150 م وتوفي 617 هـ / 1220 م (31) . أقام بمدينة فاس ، معظم مؤلفاته باللغة العربية ، ألف كتاب ((رسالة الابانة في أصول الديانة)) (32).

أما يهودا اللاوي ، أو أبو الحسن اللاوي عاش بالأندلس خلال 468 - 536 هـ / 1075 - 1141 م (33) . كتب بالعربية كتاب ((الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل)) قيل بأنه حرره في مدة عشرين سنة رداً على سؤال أحد اليهود ، ويدافع عن اليهودية ضد الفلسفة اليونانية والديانة المسيحية والاسلامية . وقد قسم كتابه الى خمسة أقسام (34) . وقد توضحت في هذا المؤلف ثقافة الرجل ، وتمكنه في العقيدة المسيحية والاسلامية وفلسفة الاغريق وفلسفة ابن سينا (35) .

اللغة والادب :

ان مكانة اليهود كذميين لهم حقوق في المجتمع المغربي الاسلامي ساعدت اليهود على تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية مما ساعدهم على تبوأ مكانة مرموقة في المجتمع ، وسمح لهم بالارتقاء الى مستوى الثقافة العالمية (36) الممثلة في الثقافة الاسلامية في تلك الفترة التاريخية .

(29) - أنظر : Zafrani, pédagogie, p.25.

(30) - الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 41 .

(31) - نفسه ، ص 143 .

(32) - نفسه ، ص 143 ، وأنظر :

(33) - اختلف في الفترة التي عاش فيها ، قيل أنه ولد حوالي 1086 م وتوفي سنة 1141 م ، راجع محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الأندلس ص 74 .

(34) - الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 187 - 188 .

(35) - محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الأندلس ، ص 37 .

(36) - أنظر : Zafrani, pédagogie, p.16.

فأهلوا لغتهم القديمة ، وعوضوها باللغة العربية لغة الحضارة في ذلك العهد . وقد استفاد اليهود من الاحتكاك ، فاستعملوا العربية كلغة مخاطبة ، وتواصل بين الجاليات اليهودية في حوض البحر المتوسط ، مما سهل عليهم التقارب ، والتفاهم ، وهي كأداة ثقافية أثرت في اللغة العبرية نفسها فتجددت وتطورت (37) .

أما اليهود الذين عملوا في الميدان اللغوي في التأليف والتنظير والمقارنة اللغوية فأهمهم مروان بن جراح الذي يعتبره اليهود من الأوائل الذين كتبوا في النحو اليهودي إذ أن الرائد الحقيقي في هذا النوع من التأليف سعديا الفيومي (38) . وكان ابن جراح متضلعا في اللغة العبرية فأستحق احترام وتقدير العلماء . والكتاب الذي اشتهر به هو ((كتاب اللحن)) وقد جاء في مقدمته ((الحمد لله الذي خلق الانسان فعلمه النطق وهداه الى الاقرار بربوبيته والاعلان بوحديته فأوضح له سبيل الهدى واستنقذه من طريق الردى وخص اللغة العبرية بالفضل والمزة من بين جميع اللغات فأنزل بها كتبه الى المقدسة وأبان بها شرائعها المطهرة أحمد حمدا يبلغ رضاه ويوجب لالهة لذة)) والقرية من رحمته (((39) . فهذه الديباجة تدل على أن ابن جراح كان متأثرا بأسلوب معاصريه من العلماء المسلمين الذين يبدؤون رسائلهم ومؤلفاتهم بنفس الأسلوب .

ويحرف المؤلف بكتابه فيقول ((كتابي هذا على جزئين الجزء الاول يذكر فيه أبوابا علمية يتبين منها كثير من تصانيف اللغة ومجلزاتها واستعمالاتها وأبنيتها وغير ذلك من أحوالها وسميت هذا الجزء

Zafrani, Pedagogie, p 16.

(37) — أنظر :

(38) — أنظر : S. Munk "Notice sur abou'l-walid Marwan Ibn Djana'h et sur quelques autres grammairiens Hebreux du X et du XI siecle, suivi de l'introduction du Kitab Al-Luma d'Ibn Djanah en arabe avec une traduction française " Journal asiatique (Avril, 1850) p 300.

Munk, Notice, J.A. (Novembre-Décembre 1850)

(39) — أنظر :

p.353.354-

لكثرة فنونه اللوح تشبيهاً لآبوابه باللمح من الأرض وهي مواضع يكون فيها أنواع مختلفة من الزمر أخذ من الطليح في الثوب الذي يكون من ألوان شتى ((40)). وعلى الرغم من تحيزه وتعمده إلى لسان قومه ، لأنه يريد أن يثبت بأن العبرية أفضل من العربية التي نزلت بها الكتب المقدسة ، فهو قد درس العربية ، وتعمق فيها حيث ذكر ابن أبي أصيبعة بأنه ((كان . . . يهودياً وله عناية بصناعة المطبوع والتوسيع في علم لسان العرب واليهود)) (41).

وألف ابن جناح أيضاً بعض الكتب اللغوية الأخرى منها : التقيح المستحق ، والتقريب والتسهيل ، والتبويه والتسوية (42).

ومن العلماء اللغويين موسى بن يعقوب بن عزرا الذي ولد في غرناطة بين السداس 447 هـ و 459 هـ / 1055 م و 1060 م وسط عائلة غنية ، اذ تلقى تعليماً متنوعاً ، وقد كان عارفاً بالتوراة والأدب اليهودية على اختلافها وكان متضلعا في اللغة العربية والأدب العربي خصوصا وتاريخا وكان شديد الاهتمام بالفلسفة . وحيثما دخل المرابطون غرناطة ، بقي بها على الرغم من هجرة العديد من الأسر اليهودية منها ، ولكن ما لبث أن تغيرت حاله ، فاعتزل الناس ، وأبتعد حتى عن أبنائه . وفي نهاية الأمر غرناطة سببته 488 هـ / 1095 م نحو اسبانيا المسيحية * فظل بها مدة أربعين سنة يعيش حياة الوحدة والضياع والفقر إلى أن توفي في العقد الرابع بعد ألف والمائتين للميلاد (43).

وأهم أثر تركه ابن عزرا كتاب ((المحاضرة والمذاكرة)) ، وقد تحدث أحد المهتمين بالدراسات اليهودية المعاصرين عن هذا التأليف بقوله ((كتاب فريد من نوعه ، ولم يعرف تاريخ التأليف العربي - العبي (44) مثيلاً له . . . وقد اهتم بالشعر العربي ، إلا أنه اتخذ له الثقافة العربية أساساً لهذا التأليف ، اذ تناول الشعر والأدب عامة سواء العربي أو العبي ، وكان للتاريخ فيه حظ كبير أيضاً ، وهو غني بتسريع الأدباء

(40) - أنظر: IBID, p.381.

(41) - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 498 .

(42) - أحمد شحلان ((من الأدب العربي - العبي ، أبوهارون موسى بن يعقوب بن عزرا وكتابه المحاضرة والمذاكرة)) ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، جامعة محمد الخامس ، العدد 10 (1984) ص 64 .

(*) - عن اسبانيا المسيحية ، أنظر: Ch.E. Dufourcq et J.Gautier Dalche, histoire économique et sociale de l'Espagne chrétienne au moyen age, Paris, Armand-Colni, 1976.

(43) - شحلان ، من الأدب العربي - العبي ، ص 67 .

(44) - التأليف العربي - العبي يستعمله اليهود في دار السلام ، وهو مزيج من العربية والعبرية ، موجه أساساً إلى اليهود في العصر الوسيط أنظره بتوسع: Encyclopédie de l'Islam .T pp.316.

والكتاب، ولم يترك موضوعاً من مواضع اللغة والنحو والفلسفة والاخلاق الا واهتم به (((45).

وفي مقدمة الكتاب يشرح ابن عزرا كيفية فهم اليهود لاسرار اللغة العبرية ومن خلالها توصلوا الى الكشف عن مكان العبرية وقواعدها ((ولم استفتحت العرب جزيرة الاندلس . . سنة اثنتين وتسعين لدعوتهم المسمّاة عند عم بالهجرة تفهمت جاليتها بها بعد مدة أغراضهم بعد لا ي لسانهم وبرعت في لغتهم وتفطنت لدقة مرادبيهم وتمرنّت في حقيقة تصاريضهم وأشرفت على ضروب أشعارهم حتى كشف الله اليهم من سر اللغة العبرانية ونحوها واللين والانقلاب والحركة والسكون والبدل والادغام وغير ذلك من الوجوه النحوية مما قام عليه برهان الحق)) (46).

وألف في نفس الموضوع يهودا بن قريش التاهرتي ، وهو من الفضلّين في اللغات العبرية والعربية والارامية والبربرية والفارسية ، وقد اعتبره الاستاذ عادل نويهض واضع أساس الدعوة التنظيمي (47) . وألف قاموسا حسب الحروف الابجدية وهو من اليهود المتسكنين بيهوديتهم . ويبدو ذلك من الرسالة التي وجهها الى يهود مدينة فاس، يدعهم فيها بخدم اهل قرعة الترغوم (48) الذي يحتوي أسفار موسى والانبياء (49) .

وفي هذه الرسالة الموجهة لبني ديه يشرح فيها صلة اللغة العبرية بلغات أخرى كالسريانية والعربية وحتى بالفارسية والبربرية . وقد قسم يهودا بن قريش رسالته الى ثلاثة أقسام : ففي القسم الاول عقد مقارنة بين العبرية والسريانية ، وفي القسم الثاني تحدث عن كلمات المشا والتلمود الموجودة في التوراة . وفي نهاية الرسالة ذكر التشابه الموجود بين العبرية والعربية ، أما في الكلمات نفسها ، أو في بدابة تشكيل الحروف وفي نهايتها . وفي آخر القسم الثالث قام بمقارنة وجيزة ما بين اللغات العبرية

(45) — شحان ، من الادب العربي — الحبش ، ص 69 ، وعن محتوى الكتاب ، راجع ، علي بيري ، اللغة العربية وسكان الاندلس في القرون الوسطى ، الجزائر ، 1959 ، ص 15 .

(46) — أنظر : Munk, notice, journal-Asiatique (juillet, 1850) p.29.

(47) — عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، بيروت ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، 1980 ، ط 2 ، ص 61 .

(48) — الترغوم ، هو لترجمة الارامية للعهد القديم ، أنظر : Dictionnaire encyclopédique de la Bible, p.1803.

(49) — شحان ، من الادب العربي — الحبش ، ص 65 ، أنظر : Journal-Asiatique n°79 (Septembre-Octobre, 1862) p.204-205.

والفارسية والعبرية (50).

وقام آخرون بكتابة دراسات أدبية ولغوية كأبي زكريا يحيى بن داود بن حيوج - الذي ألف ((الافعال دوات حروف اللين)) و ((الافعال دوات المثليين)) ، و ((التقيط)) و ((اللفظ)) . وأبي إبراهيم اسحق بن يرون الاندلسي الذي كتب ((الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية)) . ويهودا الحريزي ((المقامات)) ، وإبراهيم الفاسي ((جامع الالفاظ)) (51) . ومناحم بن سرور مؤلف كتاب ((مخبر)) فني النحو العربي (52) .

أما ملونا بن تميم أحد علماء اللغة في القرن الثالث للهجرة / القرن السابع الميلادي ، ولد بمدينة القيروان ، وشأ نشأة علمية جيدة ، فأثقف في العربية ، وفي نفس الوقت برع في العبرية قال عنه مورخ الجيل حسن حسني عبد الوهاب (كان يجيد العربية كأحد أبنائها إذ كانت لغة ثقافته ، فكل ما كتبه إنما كان بواسطتها إلا في البصني القليل من مصنفاته ، مثلما فعل فيما كتب عن بيان المشابهة القوية الموجودة بين اللسانين العربي والعبري ، فإنه كان يمزج الكتابتين للاستدلال على تقارب مفردات اللغتين ، وبحثه في هذا القرن الهام جعله في مقدمة الذين حاولوا اثبات الاشتراك الأصلي بين اللغتين) (53) .

وكتب دوشاش شرحا لسفر التكوين (54) باللغة العبرية ، وفي مقدمة هذا الشرح يعبر كيف أنه يريد الوصول الى نتيجة مفادها أن اللغة العبرية هي أولى اللغات ((إذا ساعدني الله وناول أيامي سألني الكتاب الذي بدأته لا برهن بأن اللغة العبرية هي أولى اللغات وبعد ما تأتي العربية)) (55) .
 إن الدراسات اللغوية اليهودية أهمها يحوم حول نقطة هامة بالنسبة اليهم تتمثل في التأكيد على تفوق العبرية على اللغة العربية ، وبقيسة لغات الأخرى ، وهي وجهة أساسا التي اليهود الذين يدعون قسري إبراز سبق الديانة اليهودية بمقارنتها مع الديانة الإسلامية ، ولغرض اجتماعي لكي يلتف اليهود حول بعضهم للمحافظة على تكتلهم انطلاقا من تراثهم ، ولا إبراز كلوز الثروة اليهودية الفكرية حتى لا تذوب العناصر اليهودية في المجتمع الإسلامي . والكتابة بالعربية ما هي الا وسيلة للتبليغ الفكري لا كبر عدد من اليهود الذين يفهمون جيدا اللغة العربية بحكم تواجدهم في دار الاسلام . لذلك نجد منهم

(50) - أنظر: Journal-Asiatique, n°79, (septembre-Octobre, 1862) p.205-206.

(51) - شحان ، من الادب العربي - العربي ، ص 65-66 .

(52) - محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 27 .

(53) - حسن حسني عبد الوهاب ، ورايات ، ج 1 ، ص 298-299 .

(54) - حسن حسني عبد الوهاب ، ورايات ، ج 1 ، ص 300 ، الحفني ، الموسوعة

التقنية ، ص 26 .

(55) - أنظر: Journal-Asiatique (juillet, 1850) p.20.

(56) - أنظر: Journal-Asiatique (juillet, 1850) p.20.

(57) - أنظر: Journal-Asiatique (juillet, 1850) p.20.

(58) - أنظر: Journal-Asiatique (juillet, 1850) p.20.

(59) - أنظر: Journal-Asiatique (juillet, 1850) p.20.

قد كتبوا بالعربية كضرورة ثقافية لأنها وسيلة تبليغ هامة ، ولم يكتبوا بها عسبن طيب خاطر (56) .

وفي المجال الشخصي ، فقد برز عدد كبير من اليهود الذين خاضوا في غمار كل الأغراض الشعرية ، ومن بينهم اسحق ابراهيم بن سهل الاندلسي صاحب الموشحات الذي لم يتحقيق الباحثون من سدة وفاته (57) . ولد بمدينة اشبيلية وبها نشأ ودرس على أيدي أساتذة عصره في اللغة والأدب والعلوم باللسان العربي مثل بقية يهود الاندلس (58) .

ومن زملائه في الدراسة ابن سعيد المغربي الذي كتب عنه قائلاً ((كان عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنه يحفظ الأبيات الكثيرة من سمعه)) (59) . ولما دخل الفرج إلى اشبيلية سنة 645 هـ / 1247 م غادر الاندلس متوجهاً إلى مدينة سبته حيث اتصل بأبي علي الحسن ابن خلاص حاكم المدينة أثناء فترة حكم الموحدين (60) . وقيل أنه أسلم وحسن إسلامه . وهناك من أنكسر عليه ذلك ولكل نفع حجتة (61) . وعلى ما يبدو فإن إسلامه لم يكن واضحاً لأن سلوكه الأخلاقي لا يتماشى مع روح الإيمان لديه . وإن تركنا السلوك الأخلاقي جانباً لعله لا يوضح حقيقة ما تكنه نفسه . فحينما سئل عن مسألة دخوله الإسلام وقد كان السائل ابن سعيد المغربي الذي أراد إزالة شك الناس في إسلامه فأجاب : ((للناس ما ظهروا له ما ستر)) (62) . فهذه الأجابة توضح دهاء الرجل ، ودليلوما سته لأنه لم يجب أجابة صريحة ومقتضية . ووجوده لدى ابن خلاص الذي خرج عن طاعة الموحدين الذين تشددوا مع اليهود لحل هذا يقصر موقف ابن سهل من الإسلام .

ENCYCLOPEDIA OF ISLAM II P 46

(56) - أنظر :

(57) - قيل في سبته 658 هـ / 1260 م وقيل في سنة 649 هـ / 1251 م ، أنظر :

كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة رضوان عبد الغواب ، والسيد يحقوب بكر ، دار المعارف بمصر ، 1975 ، ج 5 ، ص 133 .

(58) - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن اسماعيل الدامي ، الممتع السهل في ترجمة وأشعار ابن سهل ، ضمن أشعار لابن سهل لم تنشر ، تحقيق

محمد قوبحة ، حوليات الجامعة التونسية ، 19 (1980) ص 41 .

(59) - ابن سعيد ، الفخرية ج 1 ، ص 269 .

(60) - تاريخ والده على الموحدين سنة 641 هـ / 1243 م وبإيجاباً زكريا الحفصي صاحب تونس ، مقدمة أشعار ابن سهل ، ص 48 ، الهامش 57 .

(61) - نفسه ، ص 45 ، المقوي ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 523 - 325 .

(62) - الفرائي ، الممتع السهل ، ص 51 .

ومن شعرا بن سهل الذي يتنزل فيه بخلام يهودي يدعى
موسى:

علقت بيد رلامي فيه عاذل

لم يد ر أن السحر للمرء جالب

فهاررت عند القبض أودع سحره

بعينيك يا موسى ومن مصائب (63)

ومدح ابن سهل قائد سبتة أبا علي حسين بن أحمد

ابن خـ

أموالي الذي أهيب به في

سموم الحادثات إلى مقيل

ندى البطك من يدك بلا أمراء

فان الغيث أصل للسيول (64).

توفي الشاعر اليهودي إبراهيم بن سهل غريتا في البحر

في سن الأربعين. وقد كان الأفيال الحفصي المستنصر بالله من المعجبين به

أذحيما وصله خبر غرقه مدحه بقوله عاد الدر إلى معدنه (65).

ومن شعراء اليهود مناحم بن سروق المولود بطرطوشة (66)

((وكان أحسن شعراء اليهود في عصره فقد كان تعبيره يربك كل فصيح، ويلج

كل شاعر)) (67). مدح حسداي بن شبروط طبيب الخليفة الأموي

عبد الرحمن الثالث، غير أن النودة والصدقة لم تدم دويلا بينهما، فدارده ولي

معتمه من قـطرطبة، ولكن الشاعر ابن سروق لم يفقد الأمل فكاتبه حتى غفل

عليه، غير أن الوحشة عادت بينهما مرة ثانية فأودع عذبة المرة السجن، ولعل ذلك

بسبب الانتقادات التي كان يكيلها للربانيين والتلمود، واتهام بعض اليهود

بانتماه للقـرائين.

ومن السجن ارسل الشاعر لحسداي بن شبروط قصيدة تتألف

أكثر من أربعمئة فقرة باللغة العبرية يستعطفه لكسب وده والصفح عليه،

(63) — ابن سهل، أشعار لم تنشر، ص 61.

(64) — نفسه، ص 114.

(65) — نفسه، ص 49، وفي رواية أخرى ((عاد الدر إلى وانه)) المقبي،

نفع الطيب، ج 3، ص 523.

(66) — طرطوشة: مدينة أندلسية تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة

تربية من البحر، أنظر، ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص 30.

(67) — محمد بن عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 24.

ومن هذه القصيدة :

عظامي تبكي

هذه على تلك

أوصالي تثنى

بعضها على بعض

و أنا أنسج (63)

أما الشاعر دوناش بن ليرط المولود بمدينة فاس في الثلث الأول من القرن العاشر الميلادي ، وقد تتلمذ على سعديا الفيومي رئيس مدرسة صورا للدراسات اليهودية بالعراق . وهناك درس العربية والادب العربي . وقد أعجب دوناش باللغة العربية وأدبها فنصح اليهود في بيت شحبي كتبه بالعربية لكي يتعلموا العربية قال فيسه :

فلتكن الكتب المقدسة جنك

ولتكن الكتب العربية فردسك (69)

ومن مدينة قرطبة دعا دوناش الشعراء اليهود أن يزيلوا أبيات أشعارهم دائما للبحور العربية ، وهو ما أحدث ثورة في الشعر اليهودي (70) . وقد تصرع لنقد عفيف من بعض الشعراء اليهود على ادخاله البحور العربية فهذا اسحق بن قفرون تلميذ مناحم بن سروق العالم اللغوي سخر من دوناش في قصيدة وجهها الى حسداي بن شروط بقوليه :

ما هو ابن ليرط كتب باطلا

و ظن أنه نجح وأصلح القول المأثور

لكنه أتلغ اللسان المقدس

بوزنه العبرية بموازين أجنبية (71) .

وكان ابن ليرط بنفسه مجددا ، فقد تطرق في شعره الى أغراض جديدة لم تكن مطروقة من طرف الشعراء اليهود كالأخانيات والخمريات والوصف والهجاء .

وفي إحدى القصائد التي وجهها الى الطبيب حسداي يقول

فيها :

(68) — نفسه ، ص 25 — 26 .

(69) — نفسه ، ص 27 .

(70) — نفسه ، ص 27 .

(71) — نفسه ، ص 30 — 31 .

(168)

قل يا فؤادي الحكمة
والمعرفة والادراك
أحرص على مسالك الفطنة
وعلى مجالس الادب
والحث عن الحق
ولا تكن متبذرا
لئلا تخضع
لقلوب العاصمين
تأن دائما في الاجابة
لئلا تكون يدودك جاهزة
بل مصهورة مختبسة
كالذهب في الفضة (72).

واعلم اليهود في المغرب الاسلامي بالاشعار الدينية التي
يسمونها ((البيوتام)) ومن الذين كتبوا في هذا الشعر اسحق بن مرشول ، مستعملا
البحر العربي ومن أشهر قصائده الدينية التي يقول فيها :

الهي لا تحاسبني حسب خطاياي
ولا تكل لي حسب اعمالــــي
اشملي بفضلك لأحيــــي

يارب لا تماقبي على خطاياي (73)

ومن شعراء ((البيوتام)) يوسف أبي ثور المتخرج من المدارس
اليهودية في المشرق ، وقد ترجم بعض المقاطع من التلمود الى اللغة
العربية ، كتب ما يزيد على مائتين من القطع الشعرية الدينية . وظف
هذا الشاعر الكثير من النصوص التلمودية وشروح العهد القديم في أشعاره ،
خلفا للشعراء اليهود الآخرين الذين يقتبسون من العهد القديم أسوة بالشعراء
المسلمين الذين يقتبسون من القرآن الكريم أكثر مما يقتبسون من الحديث النبوي
الشريف (74) .

(72) - نفسه ، ص 23 - 29 .

(73) - نفسه ، ص 34 - 35 .

(74) - نفسه ، ص 36 .

ومن الشعراء اليهود الاندلسيين ابراهيم بن الفخار اليهودي الذي قال عنه ابن سعيد المغربي ((وكان والدي يصفه بالتفنن في الشعر ومعرفة العلوم القديمة والمنطق وقد أبصرته في اشبيليا)) (75).

وأورد ابن سعيد بعض الابيات من شعره :

ولما دجا ليل الحذار بخده

تيقنت ان الليل أخفى وأستر

وأصبح عذالي يقولون صاحب

فأخلوبه جهرا ولا اتمتسر (76).

ومن شعراء اليهود في المائة السابعة للهجرة الياس بن مدور الطبيب وقد كانت بيته وبين زميل له من اليهود محاسدة، حاول الناس الصلح بينهما مرارا . وقد قال الياس في الطبيب الذي حدث الاختلاف معه من أجل الصدقة الواحدة :

لا تخذ عن قما تكون مودة

ما بين مشتركين أمرا واحدا

أنظر الى القميرين حين تشاركا

يسناما كان التلاقي فاستدا (77).

وشرح المقري التلمساني البيتين بقوله ((يعني أنهما معا لما اشتركا في الضياء وجب التحاسد بينهما والفرقة : هذا يطالع ليلا ومذه تطلع نهارا، واعتراضهما يوجب الكسوف)) (78).

والبيئة الاندلسية شاعرية، فولدت فيها شاعرات بارزات زخريت المصادر الادبية بأخبارهن . وتضمن أحد الباحثين المعاصرين لهذا العصر بالبحث، وسبب النهضة بقوله ((ويحود سبب ظهور هذه النهضة السردية في البيئة الاندلسية التي زخرت رحابها بمهاج الحضارة والرقى، فكان من البديهي أن تغني مظاهر التقدم المختلفة النفوس فتبدل من عقالتها تمب من محيطها الثرى، لذلك تحركت النفوس الشاعرة لتبصر عن تجاربها المتعددة، فتطلق

(75) - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 23.

(76) - المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 323.

(77) - ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص 336، المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 285.

529.

(78) - المقري، نفح الطيب، ج 3، ص 529.

البي القول الشعر تضفر الكلمات ياسميناً وقربلاً (((79).

ومن الشاعرات اللاتي ظهرن بالاندلس شاعرة يهودية اسمها
قسمونة بنت اسماعيل ، وقد ذكرها المقري التلمساني ، فير أنه لم يقدم معلومات
عن بلدها ، أو الزمن الذي عاشت فيه (80) ، فاجتهد الاستاذ اليرسولي
لمعرفة حقيقتها . فقال بأنها عاشت في عصر الطوائف أي القرن الخامس الهجري /
الحادي عشر الميلادي ، انطلاقاً من أن هذا العصر تميز بازدهار الموشجات ، وكانت
قسمونة اليهودية وشاحسة (81) . ولكن الدكتور الشكعة يرى خلاف ذلك فيرجح
بأنها غرناطية عاشت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لان المقري
ذكرها من بين شعراء هذا القرن ولان غرناطة كانت مليئة باليهود وتصح بهم (82) .
وكان الفضل لابيها في منزل موهبتها الشعرية لانه كان شاعراً ،
فاعتلى بتأديتها ، وبروي المقري حكايتها ؟ ((قال لها أبوها يوماً ، أجيبي :
لي صاحب ذو مهجة قد قابلت

بغضى بظلم واستحلت جرمها

وبعد مدة من التفكير قالت :

كالشمس منها البدر يقبس بنوره

أبداً ويكشف بعد ذلك جرمها

فقام كالمغتبل ، وضمها الى صدره ، وأخذ يقبل رأسها ويقول أنت

والعشر كلمات أشعر مني ويقصد بالعشر وصايا التي نزلت على النبي موسى
والتي يؤمن بها اليهود (((83) .

ووصلت قسمونة الى سن الزواج ، ولم تتزوج على الرغم من جمالها ،

فوقفت يوماً أمام المرأة ، فتحركت عاطفتها ، متأسفة على جمالها :

أرى روضة قد حان منها قطافها

ولست أرى جان يمد لها يداً

فوالأسف يمضي الشباب مضياً

ويبقى الذي ما أن اسمه مفرداً (84) .

(79) - محمد المستنصر اليرسولي ، الشعر النسوي في الاندلس ، تقديم عبد الله

كنون ، بيروت ، منشورات دار الحياة ، 1976 ، ص 40 .

(80) - المقري نفح الطيب ، ج 3 ، ص 530 .

(81) - اليرسولي ، الشعر النسوي ، ص 104 .

(82) - مصطفى الشكعة ، الادب الاندلسي ، موضوعاته ، وفنونه ، بيروت ، دار العلم

للملايين ، 1979 ، ط 4 ، ص 234 .

(83) - المقري ، نفح الطيب ، ج 3 ، ص 530 .

(84) - المقري ، نفسه ، ص 530 ، اليرسولي ، الشعر النسوي ، ص 104 ، الشكعة

الادب الاندلسي ، ص 234 - 235 .

ومن شعراء اليهود في عصر الطوائف اسماعيل بن النخيلة (85) . ولد بقرطبة ونشأ بها ودرس التلمود على يد الكاهن حنوك . تعلم في اللغتين العربية والعبرية ، هاجر الى طلائع (36) أثناء الفتنة البربرية . فافتتح دكاناً ، ثم أصبح كاتباً لدى أبي العباس وزير حنوك . ولما توفي أبو العباس خلفه ابنه وكان صغير السن فأصبحت شؤون الديوان الكتابية في يد اسماعيل ، فأخذ يتقرب الى باديس حتى أصبح وزيره (37) وكان ابن النخيلة يقرض الشعر بالعربية ، ومن شعره العربي عن القسراً الكهنة :
نقشت في الخد سطراً

من كتاب الله موزون

لن تالوا البرحتسى

تفقدوا مما تحبون (38) .

ومن شعره بالعربية قوله :

يا غائبا عن ناظري لم يغيب

عن خاطبي وفقاً على الصب

فماله في البعد من سلوة

وما له سول سوى القرب

صورت في قلبي فلم تبعد

عن ناظر الفكرة بالحسب

ما أوحشت طالعة من لم يزل

ينقل من طرف الى قلب (39) .

(85) — وقع اختلاف كبير حول اسمه ، وقد أجاد الاستاذ أحسان عباس حسم هذا الاختلاف . وبعد مناقشة الأراء اعتمد على اجماع المصادر وتقريباً وتمسك باسم النخيلة لان اساتذة فئات من أمثال بروفنسال وغومس تمسكوا به . أنظر ، رسائل ابن خزم الاندلسي ، تحقيق ، أحسان عباس ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1981 ، ج 3 ، ص 7 — 8 ولكن الاستاذ الحاردي لو يرى أن هذا خطأ وحق الاسم ابن النفذلة اعتماداً على اشتبا ينشأ ، راجع مايراهيم الحاردي ، التوراة واليهود في فكر ابن خزم ، دار جامع الخرداوم للنشر ، 1984 ، ص 163 ، هامش 12 .

(86) — مألقة : مدينة اندلسية في إقليم ربة تبعد عن غرناطة ثمانون ميل ، القارة الافريقية ، وجزيرة الاندلس ص 298 .

(87) — محمد بحر عبد المجيد ، اليهود ص 39 ، 40 ، عباس ، مقدمة رسائل ابن خزم ج 3 ، ص 9 .

(88) — ابن سعيد ، المغرب ج 2 ، ص 114 ، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود ص 34 .

(89) — ابن سعيد ، المغرب ج 2 ، ص 114 ، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود ص 45 .

[illegible]

يتركوا ثروة في هذه المصنف من الكتابات الأدبية على الرغم من أنهم يتركون لك
هذه دولاً غنية ولكنهم ليسوا أولئك المصنفات ، فهي الصغيرة لأننا لم نكن
فإن العلم أنهم يتارون لم يعمل أيتها أو هو مجهول من دولتك كمن يمين .

11. $2x^2 + 3x + 1 = 0$ and $2x^2 + 3x + 1 = 0$ are the same equation.

• 31 •

46 92

وغير الخياش من مشكلة عدم وجود الرقاعات الأصلية في هذه الأقسام
دون شك قد استعملت في الأصل بالخطأ لأن الأقسام التي استعملها لم تكن
المرجع المؤيد لهذا الاستعمال.

منها ثم لم يبق أبي أضرحة لعمداني بن أبي إسحق الخزاز وأما
أول من فتح اليهود البلاد التي بها علمهم في الفقه والتاريخ بعد أن طردوا
من مشهور في هذه البلاد المدونة اليهودية في بغداد (١٨٠) وهذه هي
المعروف عند اليهود بأنهم من طائفة من التاريخ اليهودي (١٩٠)

ومن الذين اهتموا بالتاريخ موسى بن يعقوب بن عزرا في كتابه
المعاصرة والجد اذ ان التاريخ في هذا الكتاب خطه كبير (انما ما وجدته في
تاريخه كتابه) بعد ان اتممت من التمام في نسخة التي جاءها
بقولته () . ومن بين التاريخ الايمان والحرمان () . واما ما يسمى
من الموسوعات الادبية التي تسمى عادة تاريخية فيها ايضا
وتجمل القول لا يمكن ان يكون من تصنيفه والاساس

التاريخية المسيحية وفي المصطلح المسيحي الإسلامي لأن هذا المصطلح لم يولد إلا في
كلية تقريبا باند وأساسه الدينية . وبالتالي لا يمكن كتابة الدراسات التاريخية
من شروح وتفاسير : دون العودة إلى التاريخ الذي يعبر عنه بالأمم الإسلامية
والحجج الأساسية لتدعيم أفكارهم . وهو ما يبدو عليه أنباء كتابة بعض
الدينية وتجاهلهم على الدين الإسلامي (٤٧) .

أما العلاقات فقد ترك اليهود اليهودية من جهة...
 بنيامين الطائفة المتوالي سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م والتي...
 أي بضم الهمزة...
 وأحوالهم...
 وعلاقته بال...
 و...
 و...
 و...

(93) ابن أبي أصيبعة، "معجم الأنبا"، ص 49.

49) حسن حسني عبد الوهاب، فؤاد، ص 17، 28، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857،

58 - 195

90, p. 4. 196

(97) الحارث بن العباس، واليهود، ص 106 وما بعده.

وقد ~~وصف~~ سوريا وفلسطين والعراق واليمن ومصر وصقلية . كما وصف كتابه ((همساعات)) المدن الرئيسية التي زارها ، وذكر أسماء اليهود البارزين في كل مدينة . وقد أفرد جزءا كبيرا من كتابه لوصف مدينتي روما والاسكندرية ، وأشار الى المعاملة الطيبة التي يتلقاها اليهود في البلاد الإسلامية . ودون كذلك معلومات عن البلاد التي لم يزرها ولكنه تلقى عنها معلومات مشافهة كالهند وسيلان وبولندا وروسيا (98) .

وترجم الكتاب الى اللغة العربية عن الاصل العربي عزرا حداد ، وطبع الكتاب بمدينة بغداد ، وقامت بطبع هذا العمل المطبعة الشرقية سنة 1945 م . والرحالة الثاني هو ابراهيم بن يوسف الاسرائيلي الطرطوشي من أمد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وقد كان تاجرا للحميد ، جال في جنوب ألمانيا سنة 335 هـ / 965 م وقابل الامبراطور أوتو () في مقديج () . وترك ابراهيم رحلة مدونة تعتبر اليوم في حكم المفقود ، أمكن التعرف عليها من خلال النقول الكثيرة منها عند كل من البكري والقزويني ، ورحلته تحتوي معلومات شائعة ومساهمة عن امارات الصقالبة في أوروبا الوسطى كبلغاريا وبولندا والتشيك وامارة تاكون الابرديتسي ، وأورد تفاصيل واسعة عن بعض المدن الساحلية أو القريبة من الساحل بفرنسا وهولندا وألمانيا (99) . والرحالة الطرطوشي ((لم يكن تاجرا فحسب... بل كان من المحبين لاقتناء الكتب كما كان شخصا مثقفا دقيق الملاحظة يستطيع قراءة النقود الكوفية عن نصر ابن أحمد الساماني وسمرقند النائية والتوابل التي تجلب من الهند)) (100) .

وتصور ابراهيم بن عزرا رحلة أدبية بعنوان ((حي بن مقيص)) التقى فيها بشيخ يدعى حي بن مقيص وقاما برحلة معا حتى وصلا إلى أفلك الأعلى الذي يعتبر أقصى مكان يمكن للبشر أن يصلوه (101) .

(98) - محمد بحر ، اليهود في الاندلس ، ص 32 .

(99) - كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي ، ق 1 ، ص 190 ، زكرياء بن محمد ابن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، دار صادر ، 1969 ، ص 206 ، 556 ، 575 ، 590 ، 601 ، 607 ، 608 ، وأنظر :

E. Levy-Provençal, la péninsule Ibérique, Leiden, E.J. Brill, 1938, p 206, note n°5, M. Canard, Ibrahim ibn Ya'qub et sa relation de voyage en Europe, Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de Levy-Provençal, Paris, 6.P. Maisonneuve et Larose, 1962, T2, p 505.

جغرافية الاندلس وأوروبا ، من كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الارشاد ، 1965 ، ط 1 .

ص 43 ، 30 ، 155 ، 170 ، 177 ، 178 ، 179 .

(100) - كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي الغربي ، ق 1 ، ص 190 .

(101) - محمد بحر ، اليهود في الاندلس ، ص 83 .

الفلسفة :

ذكر ابن العربي ((العبرانيون لمفازتهم باقي الامم حرموا تعلم الحكمة مقتصرين على علوم الشرائع وسير الانبياء)) (102) زه وهذا المؤرخ يحي ما يقوله لانه كان مطالعا على الفلسفة اذ اطلع عليها جيدا ، ويؤكد هذه الحقيقة اليوم مونسك (المستشرق اليهودي بقوله ((لم يوجد في كتبهم أي كتب اليهود أي أثر لهذه التأملات الميتافيزيقية التي نجد ما لدى الهنود أو اليونان ، ولم تكن لهم فلسفة بالمعنى الذي ندلقه على هذه الكلمة)) (103) . فالفلسفة اليهودية ظهرت للوجود بصورة واضحة أثناء العصر الوسيط أي في ظل الحكم الاسلامي أي حينما شعر اليهود لأول مرة في تاريخهم بالامن والامانة (104) .

وأهم من اشتغل بالفلسفة في المغرب الاسلامي موسى بن ميمون الذي له معرفة جيدة بها (105) وقمة ما كتبه في هذا المجال ((دلالة الحائرين)) حيث أراد التوفيق بين اليهودية والاسلام مما أغضب اليهود ولم قبول المسلمين ، وأطلق اليهود على كتابه ضلال المهتدين (106) .

ومن الفلاسفة اليهود ابن جبرول المعروف بأبي أيوب سليمان يحي المولود بمالقة وعاش في سراقسطة (107) ألف كتاب ((ينبوع الحياة)) باللغة العربية وقد ترجم الى اللاتينية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد ، وإلى العبرية بعد قرن . توفي صاحب ينبوع في ربحان الشباب وذلك في الثلاثين من عمره وقيل أكثر من ذلك بقليل . ويتلخص مضمون الكتاب في أن العالم من الاله والعالم الروحي والعالم . أما الانسان فيتكون من العالم الروحي والمادي ، فجسمه من العالم المادي ، وروحه وادراكه من العالم الروحي فهو اذن عالم صفيـر . ويرجع الفضائل والذائل الى الحواس الخمس (108) .

- (102) - ابن العربي ، تاريخ مختصر الدول ، ص 21 .
 (103) - الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الاسلامية ، علي سامي النشار ، عباس أحمد الشربيني ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، 1972 ، ص 4 .
 (104) - نفسه ، ص 14 .
 (105) - ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 532 .
 (106) - أحمد اليوسف ، علاقات ، ص 276 .
 (107) - سراقسطة : من أعظم المدن الاندلسية وتدعى المدينة البيضاء منيسة . زاء وادي أيره وقريبة من تطيلة ، الزمبي ، كتاب الجغرافية ، ص 224 ، 225 .
 (108) - محمد يحي اليهود في الاندلس ، ص 57 ، الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 27 ، وأنظر : Chouraqui , Histoire du Judaïsme , p 61 .

أما إبراهيم بن داود الاندلسي ، وهو من أهل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي فيمد أول من حاول التصدي للفلسفة من العلماء اليهود ، كتب بالعربية ((العقيدة الرفيعة)) والفلسفة لديه لا تتعارض مع الدين ، والتوراة يحوي كل شيء (109) .

ومن الفلاسفة اليهود في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بالاندلس يحيى بن يوسف بن بقودة الذي عاش في سراقسطنة كابن جبرول كتب بالعربية ((كتاب الهداية الى فرائض القلوب)) وفي مقدمة الكتاب عرض الأسباب التي دعت الى تأليفه ملخصه ((وهو أن القرن الذي كان فيه نسي الحياة الباطنية ان العامة قد انكفأوا على العبادات والطبوس مع تقليد مستبد وحركات خالية من القلب الحاضر ، وبدون تحقل فانعدم التأمل والنظر . أما عن الخواص ، فقد تحجر قلوبهم بظواهر الشريعة التلمودية ونسوا أن العنصر الاساسي للدين ، ولذلك كتب بمو كتابه شفاء للناس من هذه النكبات وكهفائد لهم نحو : حياة روحية حققة)) (110) . ويعلق أحد الكتاب اليهود المعاصرين مؤلف ابن بقودة بقوله : ((انه يحير فيه عن كل غموض في شخصيته وعن العمق الحبيب لفكره (11) . وقيل بأن هذا الكتاب هو أول كتاب في الفلسفة اليهودية الاخلاقية)) (112) .

وكتب يهوذا هاليفي أو اللابي (1065 - 1143م) كتاب ((الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل)) . وقد اختار له قصة ، تتعرض لملك استدعى ثلاثة من العلماء ، الاول مسيحي والثاني مسلم والثالث يهودي وعرض كل واحد منهم عقائده عليه ، وتنتهي القصة باعتراف الملك للديانة اليهودية (113) وقد سمى بعضهم الكتاب خوازاوي نسبة الى ملك الخزرة . وبغض النظر عن القصة ومدلولها التاريخي ، بالنسبة لليهود فالكتاب يعتبر ثورة على الفلسفة ونقد لها (114) .

(109) - الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 30 .

(110) - النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 25 ، وقارن محمد بحر عبد

المجيد ، اليهود في الاندلس ص 72 .

(111) - أنظر : Chouraqui, Histoire du Judaïsme, p 62-63 .

(112) - الحفني ، الموسوعة ، ص 34 .

(113) - النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ، ص 28 - 29 .

(114) - الحفني ، الموسوعة ، ص 137 ، النشار والشربيني ، الفكر اليهودي ،

ص 26 - 29 ، محمد بحر عبد المجيد ، اليهود ، ص 76 - 77 ،

Chouraqui, Histoire, p 64-65 .

وأنظر : .

وألف نسيم بن يعقوب، وهو من الفلاسفة اليهود الذين عاشوا بمدينة القيروان ما بين القرنين العاشر والسادس عشر الميلاديين كتاب ((مفتاح مزالق التلمود)) باللغة العربية وفي الافتتاحية كتب نسيم ما ملخصه ((أن علم الله وقوته وحياته هي ذاته وان الله لم يغير أي أوامره دون أن يمنح في الوقت نفسه للمؤمن القوة الضرورية لادائها)) (115). ويقول أن الهدف من التنزيل هو إزالة الشك الذي تثيره المصرفة (116). كما ألف قيرواني آخر هو اسحق الاسرائيلي الطبيب كتابين في الفلسفة الأولى ((كتاب التعريف)) والثاني ((كتاب العناصر)) وقد كتبهما باللغة العربية ولكنهما فقدوا وبقيت ترجمتهما العبرية واللاتينية وتتلخص الفلسفة لديه في التقرب من الله بمقدار ما يكون ذلك في استطاعة الانسان (117).

ومن التراجمة اليهود ان الذين أخذوا على عاتقهم ترجمة الكثير من الكتب العبرية الى اللاتينية الفيلسوف ابن يحيى المتوفى حوالي 1136م فقد ألف ((مجلسة المجلي)) و ((تأمل النفس المروقة)) وتتلخص فلسفته من أن الله خلق الاشياء، وكان الانسان على قمته. الذي يتميز بتدراجه العقلية وارادته، وتفريقه بين الخير والشر، فان أخطأ فهو الوحيد الذي يمكنه أن يتوب والاي شيء في عالم الفناء. أما أرقى مراتب الانسانية فهي مرتبة الزاهدين، والعالم بما أنه كانت له بداية، فستكون له نهاية. ولقد خلق الله العالم في سبعة أيام، وتقابلها سبع مراحل حضارية. كما حدد نهاية العالم وتاريخ القيامة. وفي الأخير يقول بعدم قبول التوبة الا من المؤمنين بالتوراة، والخلود لهم وحدهم (118).

5/ الطب:

يبلغ عدد كبير من اليهود في المغرب الاسلامي في المجال الطبي، ومن أشهر هؤلاء الاطباء موسى بن ميمون القرطبي الذي ألف، اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس والذي يسمى المختصرات. ومقالة في البواسير وعلاجها، ومقالة في تدبير الدمة ومقالة في السموم والنحرز من الادوية القتالة، مقالة الزبو مقالة في بيان الاعراض، وشرح أسماء العقاقير.

-
- (115) - النشار والشريني، الفكر اليهودي، ص 116.
 (116) - نفسه، ص 113، الحفني، الموسوعة، ص 47.
 (117) - النشار والشريني، الفكر اليهودي، ص 122، الحفني، الموسوعة، ص 47.
 (118) - الحفني، الموسوعة، ص 29 - 30.

شرح في هذا الأخير أسماء الحقائق المستعملة في صناعة الطب . وفي المقدمة
 وضع القصد من كتابته ((. . . قصدي في هذا الكتاب شرح أسماء الحقائق
 الموجودة في أزماننا المعروفة عندنا المستعملة في صناعة الطب في هذا الكتب
 الموجودة لدينا)) (119) ويذكر ابن ميمون المنهج الذي اتخذه في التأليف
 ((وأرتب ذكر الأدوية على رتبة حروف المعجم لكي أحذف التكرار مثال ذلك
 أن الدواء الذي له اسمان أحدهما أوله ألف والثاني أوله باء ونقدم ذكر اسميته
 في باب الالف فاني لا أعيده ذكره في باب الباء ، كل ذلك طالب الإيجاز وتسهيله
 للحفظ وإن كان في ذلك تعب عند طالب الاسم المقصود)) (120) . وقد تحدث
 عن مصادره بقوله ((واعتد في شرح هذه الأسماء على كتاب ابن جليل (121)
 في شرح الحقائق وكتاب أبي الوليد بن جراح (122) والكتاب الجامع الذي ألفه
 بعض المتأخرين في الأندلس وهو المسمى بالخفاقي (123) وعلى ما ذكره
 ابن وافد (124) وابن سحجون (125) واهتمت إلى ذلك ما هو مشهور معلوم
 عند الجمهور في بلاد المغرب من غير أن أخالف في ذلك أحد من مشاهير
 الطب)) (126) .

وامتهن اسحق بن عمران الطب في إفريقية ، وهو بغدادى
 الأصل ، قدم إلى القيروان في عهد زيادة الله الأغلبي بطلب من هذا الأمير
 مقابل شروط وهو على ما يبدو كان له دور في وضع أسس المدرسة الطبية التي
 سترد هجر في المغرب الاسلامي .

وأما أعماله الطبية فهي نزمة النفيس ، كتاب في دواء
 المالنخوليا (127) وقد كان سباقا إلى مثل هذا النوع من التأليف . وكتاب
 الفصد ، وكتاب اللبن ، ومقالة في علل القولنج وأنواعه ، وكتاب في البول مستوحاة

(119) — أبو عمران موسى بن عبيد الله الأسراشلي القرطبي ، شرح أسماء
 الحقائق ، نشر وتصحيح ومراجعة ماكس ماير هوف ، مكتبة المثنى ببغداد ،
 1940 ، ص 3 .

(120) — نفسه ، ص 3 .

(121) — أنظر ترجمته في عيون الأنبا ، ص 498 .

(122) — أنظر ترجمته في عيون الأنبا ، ص 496 .

(123) — أنظر ترجمته في عيون الأنبا ، ص 500 .

(124) — أنظر ترجمته في عيون الأنبا ، ص 496 .

(125) — أنظر ترجمته في عيون الأنبا ، ص 500 ، 501 .

(126) — أبو عمران موسى ، شرح أسماء الحقائق ، ص 3 — 4 .

(127) — المالنخوليا : هو مرض الوسواس .

من الطببيين أبو قراط وجالينوس، وكتاب في الشراب، وبياض المنى (128) وقد ضاعت كلها إلا كتاب المالخوليا التي توجد منه عدة نسخ في كل من المانيا، واندلتر واسبانيا، (129).

وذكر اسحق بن عمران في مقدمة الكتاب الذي وصلنا تشخيصا لمرض المالخوليا لكي يتعرف عليه المريض والدبيب بقوله: ((هذا كتاب مختصر في الداء المعروف بالماليخوليا وهو الوسواس السوداوي تذكره لنفسه بما عساه أن يعتريه من النسيان عند الشيخوخة ورحمة لمن ينظر فيه من محبي الطب وأرباب الحكمة)) (130).

ومن أطباء افريقية اليهود اسحق بن سليمان الاسرائيلي الذي نشأ بمصر، وهناك تعلم صناعة الطب وكان متخصصا في أمراض الحيوان. تقدم الى المغرب في عهد زيادة الله الثالث.

أما مؤلفاته الطبية فهي كثيرة منها كتاب البول، كتاب النهر، كتاب الحدود والرسوم، كتاب الترياق، كتاب الاغذية، كتاب الاستسقاء، كتاب المدخل الى صناعة الطب (131).

ومن بين هذه المجموعة من المؤلفات الطبية، نال كتاب الاغذية شهرة واسعة بسبب ترجمته الى اللغة اللاتينية والعربية. يتألف كتاب الاغذية من ثلاثة مجلدات، خمس المؤلف الجزء الاول للفاكهة، واللحوم، والثاني للحبوب والخلل، والثالث للبقول والبدور. ويوضح اسحق بن سليمان أسباب الاهتمام

(123) — ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 473 — 479، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي، المعروف بابن جليل، طبقات الاطباء والحكام، تحقيق فولف سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص 34 — 35، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الاندلسي، كتاب طبقات الامم، نشر لويس شيخو اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1912، ص 61، ابن ميلاد، الطب العربي، ص 32 — 33، حسن حسني عهد الوهاب، ورقات، ج 1، ص 233 وما بعدها، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ص 59 — 61.

(129) — ابن ميلاد، الطب العربي، ص 33.

(130) — نفسه، ص 34.

(131) — ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 473 — 481، ابن جليل، طبقات الاطباء، ص 37، ابن صاعد، طبقات الامم، ص 35، حسن حسني عهد الوهاب، ورقات، ج 1، ص 236 — 237، ابن ميلاد، الطب العربي، ص 35 — 39، محمد محفوظ، تراجم، ص 61.

بالاغذية قصد اعطاء الابدان من الغذاء ما يصلح لها وابعاد الغذاء الغير صالح للجسم (132) . وهو ما يفسر تطور علوم الطب في افريقية . فالغذاء اساسي لجسم الانسان فاهتم به الاطباء والناس في العهد الاغربي اهتماما بالغاً مثلما تهتم الشعوب في الوقت الحاضر بالغذاء ونوعيته .

وألف الطائيب دوناش بن تميم - نشأ في مدينة القيروان - كتاب ((التلخيص في الادوية)) وقد نقل عنه ابن البيطار - المولود بمالقة والمتوفى في دمشق سنة 646 هـ / 1243 م - في كتابه ((الجامع لمفردات الادوية والغذية)) لشهرته ودقته . وفي نهاية كتاب التلخيص ألف دوناش بيان للأوزان والمكاييل المستعملة في صناعة الحامض . وقد قدم دوناش أمراء بني عبيد قبيل ارتحالهم الى مصر (133) .

ومن أطباء الاندلس يحيى بن اسحق الذي استوزره عبد الرحمن الناصر ، الذي ذكر له ابن أبي أصيبعة كتاباً في الطب دون اشارة الى عنوانه والمحتوى الذي تضمنه (134) . ولعل هذا المؤلف لم ينتشر انتشاراً واسماً لانه رسالة صغيرة في الطب .

وصنف مروان بن جناح في الطب ((كتاب التلخيص)) أشار فيه الى الادوية، وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الاوزان والمكاييل (135) ، وهو من خلال وصف ابن أبي أصيبعة يدخل في فن الصيدلة التي تهتم بصناعة الادوية .

وكتب أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي مجموعة من الكتب الطبية منها ((الشرح المأموني)) الذي ألف بدالب من أبي عبد الله محمد بن نور الدولة أبي شجاع الأموي المعروف بالمأمون وزير الامراء أحكام الله الفاجمي ، وهو شرح الكتاب الايمان لا بقراط (136) وشرح المقالة الاولى من كتاب الفصول لا بقراط، ودون تهذيب لشرح علي بن رضوان لكتاب جالينوس الى اغلوفن (137) .

(132) - ابن ميلاد ، الطب العربي ، ص 33 - 40 ، وعن محتوى بعض كتبه الاخرى راجع نفس المرجع ص 42 - 45 .

(133) - حسن حسني عبد الوهاب، وركات، ج 1، ص 97 - 298 ، ابن ميلاد ، الطب العربي ، ص 47 .

(134) - ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص 433 .

(135) - نفسه ، ص 493 .

(136) - نفسه ، ص 500 .

(137) - نفسه ، ص 501 ، قال عنه ابن بسام ((. . . يوسف بن حسداي بالاندلس من بيت شرف اليهود)) . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، المجلد الاول ، القسم الثالث، ص 457 .

(138)

أما ابن بكلاش الثاني فخدم بصفاته الطبية أمراء بني هود (133) في الأندلس ثم انتقل إلى المجدولة (139) في الأندلس المرددة ، وهو كما قال ابن أبي أصيبعة (140) : ((من أخص الناس في صناعة الطب ، وله حكمة بالاد بالادوية المجدولة)) (141) . وأما ابن بكلاش كقائه ((المجدولة)) التي المستعين بالله أبي جعفر بن أحمد بن الموفق بالله بن هود .
 مرجع أنطونيوس المجدول الذين هاجروا من المغرب إلى المشرق يوسف بن سفيان القاسم النخعي بن سفيان الطاب والحياة والعلوم الرياضية ، فاستقر بحلب بحث أن يترك في أقطار كثيرة . ومن مؤلفاته شرح الفصول لابن قراط ، وترتيب الأذية الناطقة والنافقة (142) .
الرياضيات والحياة : يوم .

... من اليهود في المغرب الإسلامي بهذه العلوم ، وألفوا فيها العديد من المصنفات ، ومنها كتاب في الحساب الهندسي وهو مصروف بحساب الفبار (142) ألف دويش بن قيس القوياني ويحتوي على ما ألفه في هذا الموضوع . كما ألف كتاب آخر في الفلك وحركة الكواكب صنفه إلى صديقه . يوسف حسداي طبيب الحكم بقونية . ووصف أيضا كتاب آخر في علم الفلك أهداه إلى مخدمه المصور بالله بن القاسم الفاطمي (143) .
 وأما أبو الفضا ، حسداي بن يوسف بن حسداي فلا يعرف تأليفه في الرياضيات والصالح التي برع فيها ، فابن أبي أصيبعة قال عنه : ((برع في علم العدد والهندسة وأصول النجوم)) (144) دون أن يذكر له مؤلفات .

(138) — من مؤلفات الأندلس : ابن الخضير كتاب أمثال الأعلام من 170 —

176 ، عبد الملك بن عبد الله بن الطوائف من 274 — 285 .

(139) — ابن أبي أصيبعة ، معجم الأندلس من 501 .

(140) — نفسه من 561 ، وأما ابن .

(141) — ابن أبي أصيبعة ، معجم الأندلس من 566 ، وزيادات المغرب عبر التاريخ ، ج 1 ، من 362 — 368 .

(142) — الحساب النخعي ، وهو الحساب الذي يحتاج في استعماله إلى القلم والورقة ، ياهج قدي ، حافظ طوقان ، تراث النصيب العلمي في الرياضيات والفلك ، بيروت ، المؤسسة دار الفنون ، 1963 ، من 56 .

(143) — حسن حسداي ، مؤلفاته ، من 292 — 300 .

(144) — ابن أبي أصيبعة ، معجم الأندلس من 566 .

ووضع يوسف بن سمنون الفاسي في علم الفلك كتاب ((إصلاح
هيئة ابن افلح)) وهو عام ما يبدو من عنوانه انتقاد الكتاب ابن افلح الاندلسي
(145) الذي انتقد بدوره نظريات بطليموس في كتابه الموسوم ((كتاب الهيئة
في اصلاح المجسطي)) (146).

ويضاف الى هؤلاء السموّل المغربي الذي اشتغل بالترغيبات
وله من الكتب في هذا الميدان رسالة في مسائل حسابية وجبر ومقابلة ، كتاب
القوافي في الحساب العددي ، كتاب أعجاز الهندس سبع ، كتاب المثلث ، القاسم
الزاوية ، كتاب في المياه ، كتاب المنبر ، والمنبر في مساحة أجسام
الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مبعولتها ، وكتاب الباهر في الجبر (147) .
في مقدمة كتابه ((الباهر)) يقول السموّل ((هذا الكتاب
الذي جمعنا فيه أصول صناعة الجبر والمقابلة وبرهانها على ما لم نجد أحدا
يرمن عليه ، وكتبنا بما أودعناه من الاعمال المبتكرة والاشكال المبتدعة ما كان في
أيدي الناس هذه الصناعة ، وعلينا فيه ما زعم فيثاغورس أنه أدركه بطريق الوحي ،
وجئنا به صفوا منزها من التملّح والكمالات والشوائب)) (148) .
والسموّل المغربي اعتنق الاسلام وحسن اسلامه ، مما أثار حفيظة
والده فكتب شعرا يتأسف فيه عن ارتداد أباه عن اليهودية تقرأ الى اليوم
في بيع اليهود . ولم يكتف السموّل بالدخول في الاسلام بل كتب في معاني
اليهود ، وكذب دعاويهم وكشف باطلهم في كتاب سماه ((بطل المجهود في افهام
اليهود)) .

(145) - و جابر الافلح ولد في مدينة اشبيلية بالاندلس في أواخر القرن العاشر
عشر للميلاد وتوفي في قرطبة في منتصف القرن الثاني عشر الهجري
تسميته كتب في الفلك بحث في أولها في المثلثات الكروية وقسمها
ترجمت هذه الكتب الى اللغة اللاتينية قام بها ((جيرارد أوف كيرمنا)) ،
وعلقت دائرة المعارف البريطانية على هذه الكتب بقولها : ((إن لهذه
الكتب مقاما كبيرا في تاريخ المثلثات وجابر فيها بحوث مبتكرة لم يسبق
اليها)) . واستنبط جابر بن افلح معادلة سميت بنظرية جابر
تستعمل في حل المثلثات الكروية القائمة الزاوية مضيفا بذلك معادله
الى الاربع المنسوبة لبطليموس . ونسب الى جابر اختراع بعض الآلات الفلكية
التي استعملها الطوس في مرصده ، أنظر طوقان تراث العرب العلمي ،
ص 356 - 357 .

(146) - طوقان ، تراث العرب ، ص 357 ، حركات المغرب ، ج 1 ، ص 361 .

(147) - ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص 472 ، طوقان ، تراث العرب ، ص

371 - 372 ، الزركشي ، الاعلام ، ج 2 ، ص 146 .

(148) - السموّل ، الباهر في الجبر ، ص 9 .

التأثير الاسلامي في الثقافة اليهودية :

يعتقد أحد الباحثين المعاصرين بأن انتشار الاسلام جاء بمهد جديد لليهود (149) الذين عانوا من الاضطهاد والتشتت، والممارسات الغير انسانية في ظل الانظمة التي سبقت ظهور الدين الاسلامي، الذي جاء للانسانية جمعا لا يفرق بين العربي والعجمي والابيض والسود والفقير والغني، لان رسالته تتمثل في رفع الظلم، والضميم، والقضاء على جمود الديانات الوثنية .

وكنتيجة منطقية لانتشار الدين الاسلامي، أصبحت الثقافة الاسلامية ثقافة عالمية فكانت فرصة لليهود للاحتكاك بها، والنهل منها لرفع مستوى ثقافتهم، اذ لا نجد أثرا يهوديا مكتوبا الا ويحتوي على عمق فكري اسلامي استمد منابعه من التراث الفكري الاسلامي .

فالدراست الادبية اليهودية في العصور الوسطى تأثرت بما كان لدى المسلمين من أثار في هذا الميدان . فقد اتخذ ابن عزرا مؤلف كتاب ((المحاضرة والمذاكرة)) الثقافة الاسلامية أساسا لتأليفه (150) . ووضع من بين أهدافه عند تأليفه لهذه الموسوعة الادبية ((البرعمة على أن الادب العبري أدب غلي، وأن اللغة العبرية قادرة على الاتيان بما أتت به العربية وان كانت مقلدة لها)) (151) . فهو يعترف بقدرية العربية، ومجالاتها الواسعة، لذلك فهو يدمج لكي ترقى اللغة العبرية الى مستواها .

وفي الشعر فان تأثر يوسف بن أبي ثور بالشعراء العرب المسلمين واضح حينما يقتبس من التلمود وشروح العهد القديم عكس الشعراء اليهود القدامى الذين قلما يقتبسون من التلمود، وذلك أسوة بالشعراء المسلمين الذين اقتبسوا من القرآن الكريم أكثر من اقتباسهم من الحديث النبوي الشريف (152) .

واذا كان الشاعر اسماعيل بن النغيلة قد تناول موضوعات مختلفة، لم تكن معروفة لدى الشعراء اليهود . فالفضل يعود للشعر العربي الذي اقتبس منه الشعر القصصي، والخمرات والخوانيات، والغزل ووصف المفاركة، ووصف الطبيعة والرباط (153) .

149 - أنظر : Chouraqui, Histoire du Judaïsme, p 53.

150 - شحالن، من الادب العربي، الصبي، ص 69 .

151 - نفسه، ص 71 .

152 - محمد بحور عبد المجيد، ص 45 .

153 - نفسه، ص 57 .

(154)

ويذكر أنكر ابن عسرون: الثقافة اليهودية الإسلامية في القديسة
 دبرية تالوت، اللحن العربي على فرار ألفة ابن مالك، وهو ما لم يشره إلا في
 اليهودية من قبل (153) - ومن المعروف أن ابن عسرون من وأحد في القدس المسمى
 اليهودي، وأحد في القدس.

ويذكر أن اللغة اليهودية يومًا جديدًا من قانون الادب، إذ
 أدخل ساطور، بن عتيق، المقامة - هذا الفن الذي أبدع فيه الصانعون كبد، وسبح
 الزمان، اليهودي، واليهودي، فإن كان الرأي لدى اليهود أني عيسى بن مريم،
 وعيسى، اليهودي، السار، بن، عام، فوحيه، مقامة ابن عتيق، هو أنكر بن يهودا،
 وأنتج أول سؤال من كتب في المقامة من اليهود، وقد من الأدباء على يهودا،
 بن لارا، وروى ابن ساطور، اليهودي، (154).

ويذكر أن الطائر الجواب، لأدب العربي في القدس، إذ
 وكما سأل أن أسد، بن، دونا، بن، لوط، هذا السار، اليهودي، المقامة، عيسى،
 اليهودي، اليهودي، وقد أحدثت هذه ثورة في شكل الشعر العربي (155)
 على الرغم من أن بعض الأدباء لهذه الثورة، وسبقوا هذه، وقد كان هذا
 غير أن هذا الترفيع والاعتراض لم يدم طويلاً، فقبل اليهود هذا الشكل الجديد،
 واقتفوا أثره مع الحفاظ على يهوديتهم، وكما قال أسد، بن، دونا،
 يهوديا، ولم يكتب، فلو لم يكتب باليهودية، بل باليهودية، يهوديا،
 فكيف (157).

ويذكر أن، ولقد سرح، اقتباس الأدب العربي في القدس
 الوسيط، بقوله: ((على أن الأدب الأسرائيلي في القرون الوسطى قد انقسم إلى قسمين
 مذهبيين، وهما: مذهبة قوية، واتجهوا، جديداً في ظل الحكم الإسلامي، إلى
 ومصر، والمشرق، فقد أخذ اليهود في تلك العهود يكتسبون، في
 الشعر، فالتزموا، النحور، وصافوا، في قالب، عربي، وفي ثم، القلوب، من
 يشدون، الطاطيح، والتصاد، حتى أثرت، العربية، بهذا النوع، من الشعر،
 ويخ، في، كثير من اليهود)) (156).

(154) - القدس، ص 57.

(155) - القدس، ص 53.

(156) - القدس، ص 27.

(157) - العربي، الموسومة النقدية، ص 8.

(153) - آ. م. ولقد سرح، تاريخ اللغات السامية، بيروت، دار العلم، 1960.

ط 1، ص 98.

أما في البحث الفلسفي ، فمسألة تأثير الفكر الاسلامي في الفلسفة اليهودية تتوضح أكثر ، لقد سبق وأن مررنا أن اليهود لم يحتلوا بالفلسفة ولم تكن لهم فلسفة بمعنى الكلمة كما قال مارك أحد المستشرقين اليهود . فظهور الحكمة لديهم ، وانتشارها كان نتيجة تفاعلهم للمسلمين والتأثر بهم .

في التلمود كانت المدارس اليهودية تلمودية (159) كما كانت مدرسة صورا يسيطر عليها الرابانيون (160) نيران الفكر المعتزلي تنقل الى المدرسة الاخيرة فأشأ عنان بن داود (161) فريفاً جديداً مقابلاً للرابانيين والمتمثل في فرقة القرائين (162) ليحان الثورة على القرائين وعلى سلكاتهم الدينية ، ونقض التوابع التقليديين ، داعياً الى استخدام العقل ، ومبدأ البحث الحر (163) . ونتيجة لذلك ظهرت الفرق الشبيهة بفرق المتكلمين في الاسلام ((أولت بعضها النصوص الدينية رغبة منها في التوفيق بين معاني النصوص وحقائق العلم ، كما فعلت المعتزلة ، وتشبهت بعضها بالنسب شأن أهل السنة ،

- (159) — التلموديون : وهم الذين يصفون الدراسة على التلمود اذ يعتبرونه أعلى منزلة من التوراة . وهم شراح التلمود وفسروه من الفقهاء والعلماء . وتعتمد تفاسيرهم وأصولياتهم على كشف المعنى الباطني لذلك يدعونهم باطنية اليهود أو القبايليين . ومن هؤلاء نسيم بن يحقوب القيرواني ، أنظر : الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 107 .
- (160) — الرابانيون : أكبر فرق اليهود يقولون بأنوا ان احبار اليهود ، وكتابهم التلمود ، يقولون بأن الشريعة غير المنزلة وهو بالنسبة اليهم أعلى منزلة من التوراة ، أنظر : الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 107 .
- (161) — عنان بن داود : أحد علماء اليهود أسس فرقة الحنانية أو الرابانيين في مدينة بغداد ، ويسميه الشهابستاني ((رأس الجالوت)) في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد ، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، أنظر : علي عبد الواحد ، في اليهودية واليهود ، ص 94 .
- (162) — القرائين : وهم المتمسكون بالتوراة مذبحاً قراء وهو الداعية الديني لانهم يحملون على الدعوة للتوراة دون التلمود . ولقد قيل أن ظهورها واكب ظهور المسيح ، وأنهم آمنوا بالمسيح خلافاً لسائر اليهود . ويقول الرابانيون بأن ظهور القرائين كان نتيجة تأثرهم بتعاليم القرآن الكريم والمتكلمين المسلمين ويعتبرونهم معتزلة اليهود ، ومن أقطاب القرائين البارزين مارون بن العيص مؤلف كتاب ((جنة عدن)) ويطالقون عليه اسم ميهوبي القرائين نسبة الى موسى بن ميهون أعظم فلاسفة اليهود ، أنظر : الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 172 — 173 .
- (163) — أنظر : البشار ، الفكر اليهودي ، ص 17 .

فدافعت عنه وأخذت بمدلوله الحرفي (((164)).

ان الشهرستاني يوضح اختلاف الفرق اليهودية في مسألة القدر، ويقارنهم بالفرق الإسلامية مما يبين مدى التأثير القوي للفكر الاسلامي على الفلسفة اليهودية وقررتهم الدينيّة بقوله ((وأما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الاسلام. فالرأبانيين كالمعتزلة فيلساف، والقرايون كالمجيرة والمشيبة (((165). وأخرون بن إيليا أحد المنتمين إلى فرقة القرائين يعترف بتأثير المعتزلة على قسم كبير منهم حينما يقول ((ان القرائين وتسميا كبيرا من الرأبيين تابعوا مذهب المعتزلة (((166).

وحيثما تطورت الدراسات اليهودية في المغرب، تحول مركزها من المشرق إلى المغرب، وفيه أيضا نجد أن الفلاسفة اليهود قد تأثروا بالفكر السائد هناك، واعتبسوا، وقلدوا فلاسفة الاندلس، ومن ثم لا نرى فيلسوفا يهوديا الا وهو ظل لأخر مسلم. فابن جبرول أول من عمل لواء الفلسفة اليهودية في المغرب الاسلامي قد تأثر بالفلسفة الإسلامية، مما جعل اليهود يحتقرون بأنفسهم مسلم أو مسيحي (167) إلى أن كشف حقيقته المستشرق اليهودي مونك (168)، قد كان تلميذا للفيلسوف الصوفي الاندلسي ابن مسرة (169) الذي درس مذهب الاعتزال عن أبيه، وقيل أنه تأثر أيضا برسائل اخوان الصفا (170).

أما موسى بن ميمون صاحب ((دلالة الحائرين)) فقد عالج مسألة العقل والدين وهي مسألة عولجت من طرف الكثير من الفلاسفة المسلمين كابن رشد * وابن سينا وابن باجة (171). و ((قد كان اليهود أول من اهتم بفلسفة ابن رشد وترجموا معظم كتبه إلى العبرية واعتبره فلاسفتهم أستاذا لهم، وتمكنوا من نظرياته، مما يبيح القول أن فلسفتهم كانت رشدية)) (172).

164 - كمال اليازجي، معالم الفكر العربي، بيروت، دار العلم للملايين، 1979، ط 6، ص 342.

165 - الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلالي، بيروت، دار المصرفة للطباعة والنشر، 1975، ط 2، م 1، ص 212.

166 - النشار والشربيني، الفكر اليهودي، ص 10.

167 - اليازجي، معالم الفكر الغربي، ص 343.

168 - محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الاندلس، ص 53، النشار والشربيني، الفكر اليهودي، ص 129، عامش رقم 1، الحفني، الموسوعة النقدية، ص 27، وأنظر:

169 - النشار والشربيني، الفكر اليهودي، ص 25.

170 - الحفني، الموسوعة النقدية، ص 5.

* - راجع أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال دراسة وتحقيق محمد عمارة، بيروت، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، 1981، ط 2.

171 - أحمد أمين، ظهر الاسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، دون تاريخ، ط 5، ج 3، ص 259.

172 - محمد زبيير ((ابن رشد والرشدية في إطارهما التاريخي)) أعمال ندوة ابن رشد ومدارسته في المغرب الاسلامي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981، ط 1، ص 44، للتوسع راجع أريست ريبان، ابن رشد والرشدية ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، دار أحياء الكتب العربية، 1975.

(137)

وممن تأثر بابن رشد ، ابن جبرول ، وموسى بن ميمون . ولفرط اهتمامهم بفيلسوف قرطبة وشغفهم به فانه نادرا ما تجد مخطوطة يهودية لا وسطو من دون شرح لابن رشد عليها (173) .

وقد استعان الفيلسوف اليهودي يهودا بن ليفي في بناء وتنسيق مبادئه واحكام بيناته بتراث موسى الاشعري والافظم ابي حامد الغزالي (174) .

ومن خلال هذه الامثلة في صورتها المبسطة — من دون الخوض في مسائل فلسفية تخرج عن نطاق البحث — يمكن الاستنتاج بأن الفلسفة اليهودية انما هي وليدة الفكر الاسلامي ، ولولاه لما عرف اليهود فلسفة بمعنى الكلمة ولبقي فكرهم قاصرا على خوض غمارها .

(3) الجدل الثقافي بين اليهود والمسلمين :

حافظ اليهود على دين اجدادهم مع ميلهم الى الثقافة العربية في الاندلس (175) ، بل وفي ربوع الغرب الاسلامي بصورة عامة ((وكان اليهود يؤثرون الكتابة باللغة العربية لانها كانت تسعفهم في مسائل الدين والفلسفة ، ولحجز كامن في اللغة العبرية يستحيل معه استخدامها كوعاء حضاري)) (176) .

وقد اثار استعمار اليهود للعربية أحد مفكريهم الاندلسيين ومو ابن جبرول فلام أبناء دينه على استعمالهم للعربية (177) على الرغم من اجادته لها وسيطرتهم على مخالفتها .

ولكن هذه الاجادة ساعدتهم على استعمارها في الجدل المثير الذي ظهر بينهم وبين المسلمين في المغرب الاسلامي وفي الشرق على السواء . ومن خلال هذا الصراع الذي ظهر في الاندلس — على أساس أنها أصبحت مركزا للدراسات اليهودية — وبالتالي جمعت خيرة المثقفين اليهود ، وتبوئهم لمراكز حساسة في أهم الأنظمة السياسية ((لذلك لم تكن الحداوة بين علماء اليهود والفقهاء من المسلمين وفقا على النزاع السياسي بل تعدته الى خصومة تمس الاديان)) (178) .

-
- (173) — أوليري ، الفكر العربي ، ص 226 .
- (174) — اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 143 .
- (175) — بيريس ، اللغة العربية ، ص 16 .
- (176) — الحفلي ، الموسوعة النقدية ، ص 7 .
- (177) — بيريس ، اللغة العربية ، ص 15 .
- (178) — الحارثي ، التوراة واليهود ، ص 49 .

وأبرز هذه الخصومة تلك المناظرات التي دارت بين ابن حزم الاندلسي وال ابن النخيلة وغيرهم .

ولم يقتصر هذا الجدل الديني على اليهود والمسلمين بل شارك فيه النصارى (179)، ولكن على ما يبدو أن الصراع اليهودي - الإسلامي كان أشد حفا وضراوة وأثارة لتعمق العلماء اليهود في الثقافة الإسلامية ، وامتلاكهم لاداة المناقشة بحكم سيطرتهم على ناصية اللغة العربية .

ولكن قبل التعرض لاهم خصومة وقعت في المغرب، لنحدث عن المناظرات الأقل أهمية لانها توضح انتشار الصراع ومظاهره حتى على المستوى العام بين اليهود والمسلمين، الذي أخذ طابعا شبه شمولي بين أنصار الديانتين . ومن المناقشات الدارفة بين اليهود والمسلمين ما رواه جمال الدين وهو أحد تلاميذ ابن رشد ، وقد كان له صديق حميم يدعى يهودا قال :

((ففي ذات يوم قلت له اذا كانت النفس تحيا بعد مفارقة الجسد وتبقى قادرة على معرفة الاشياء الخارجية، فعدي وعدا صادقا أنك اذا مت قبلي تخبرني بما هناك : وأعدك اني اذا مت قبلك أقبل ذلك، فوعدي بهذا، ثم أنه مات ، وموت بضع سنوات ولم يظهر لي . قال جمال الدين : ولكن في ليلة رأيت في الحلم، فقلت له أيها الطبيب أما وعدتي بأن تأتيني بعد الموت وتعالجني على ما جرى لك ؟ فضحك وأدارني وجهه ، فقلت له لا أتركك حتى تخبرني ، فقال : ان العام عاد الى العام والخاص داخل في الخاص . ففهمت منه ما يريد أن يقول ، وهو أن النفس التي جوف عام قد عادت الى الجوف العام والجسد الذي جوف خاص قد عاد الى الارض التي هي مستقر العدم الخاص ثم انتبهت وأنا أعجب ببلطصف جوابه)) (180) . ان هذه الدارفة كما رأينا لم تخرج عن المناقشة الفلسفية البحتة حول مسألة النفس، وقد تحدث بين اليهود أنفسهم أو بين المسلمين . أما الجدل الديني فقد أخذ صورة عنيفة تصل الى حد التناحر بالالقاب والشتم . ومن هذا الجدل الديني ما وقع بين ابن حزم الاندلسي وابن النخيلة اليهودي فهذا الاخير كان يتنحى بمركز ممتاز لدى اليهود .

(179) - ان الجدل بين المسيحيين والمسلمين لم يتعد الخصومة الدينية خلافا لما وقع بين اليهود والمسلمين في المغرب الإسلامي ، عن هذه المجادلات راجع، أحمد عبد الصمد الخزرجي ، مقامع الصليان ، تحقيق وتقدم محمد المجيد شرفي ، تونس، نشر مركز الدراسات والبحاث الاقتصادية، الجامعة التونسية، 1975، عبد الله الترجمان ، تحفة الاديب في الرد على أهل الصليب، تحقيق وتقديم الطاهر المعموي ، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1988، عبد المجيد الشرفي ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، الى نهاية القرن الرابع/ العاشر ، تونس، دار التونسية للنشر، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، وأنظر: Ali Bouamama, La Littérature polémique musulmane contre le christianisme depuis ses origines jusqu'au XIII^e siècle, Alger, ENAL, 1988.

(180) - أحمد أمين، ظهري الاسلام، ج 3، ص 258 .

لعلمه ، وجاهه ، وسلطته ، إذ كان وزيراً في دولة بني زبي بخرناطة (131). كتب ابن النخيلة رسالة في الرد على ابن حزم وكتابه ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) فلقبه الأوربيون بمؤسس علم الأديان المقارن (132). وقد تصدى بين ما تصدى في هذه الموسوعة الدينية للديانة اليهودية ، وناقش التوراة مناقشة واسعة ليظهر ما فيها من تناقضات وتحريف وتهديل معتمد في جدله على الدين والنحل (133) في الفصل الذي أفرد له هذه المسألة ((فصل في مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة)) وهي قضايا أثبتتها العلماء في الوقت الحاضر (134). - ورسالة ابن النخيلة للرد على ابن حزم الهدف منها اظهار التناقض في القرآن الكريم ، الشيء الذي حصل ما حب الملك للرد عليه بكل شدة وحرارة وعنف لانه يفصل ذلك بروح البشر الذي يقاتل في سبيل دعوتهم (135). فهاذا لم تصل اليها رسالة ابن النخيلة فقد حفظ الـ التاريخ رسالة ابن حزم التي استهلها بالشكوى من الوضعية التي آلت اليها دولة الاسلام في الاندلس وبتهافتها على الحياة فيقول ((اللهم انا نشكو اليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بديناهم عن إقامة دينهم ، وبعمارة قصورهم وتركولها عما قرب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في محادهم ودار قرارهم)) (136). وهذه الوضعية قد ساعدت أهل الكفر والشرك لاطلاق السنتهم . وبعد هذا تحدث صاحبه الذي ((تقلى قلبه للعداوة للاسلام وأعلم وذوت كبد بهضمهم الرسول صلى الله عليه وسلم)) (137) ثم ذكر ما اقترغ عليه ابن النخيلة من الايات القرآنية ورد عليه بأدلة من القرآن والحديث والتوراة نفسها لتدعيم رده ، وكل معارفه في الطب وغيره .

(131) - عن هذه الدولة أنظر ، اسماعيل الحربي ، دولة بني زبي ملوك غرناطة ، الجزائر ، ديوان المدايعات الجامعية ، 1932 .

(132) - عبد الكريم خليفة ، ابن حزم الاندلسي ، حياته وأدبه ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، دون تاريخ ، ص 134 - 135 .

(133) - نفسه ، ص 135 ، الحارث لو ، التوراة واليهود ، ص 27 - 29 .

(134) - الحارث لو ، التوراة واليهود ، ص

(135) - نفسه ، ص 57 .

(136) - رسائل ابن حزم ، ج 3 ، ص 41 .

(137) - نفسه ، ص 42 .

(190)

وبعد أن انتهى من عرض اعتراضات اليهودي والردود عليها قال ((ما هنا انتهى كل ما ظن المائق أنه اعترض به قد بان فيه كله زوره وجهله واغتراره)) (188) ثم ينتقل إلى القسم الثاني الذي يتحدث فيه عن قبائح اليهود كالكذب وما جاء في التوراة من رمي بعض أنبيائهم بالنزنا (189) كما شرح الكثير من المسائل الموجودة في كتاب اليهود المقدس مفندا وناقدا مما يدل على أنه مدافع على ما جاء في الديانة اليهودية .

وكان من دواعي لهجة ابن حزم الحادة في نقده ، سيطرة اليهود عامة وحضوتهم عند حكام المسلمين في الأندلس في تلك الفترة (190) ايمه حز في نفسه تسلل اليهود إلى المراكز الرئيسية في مجال السياسة لان النزاع بين اليهود والمسلمين كان نزاعا سياسيا ((فلم يقبل من اليهود الاسلام سوى أفراد قليلين لم يكن للمسلمين كبير رجاء في دخول اليهود الاسلام . فكانت مناقضة المسلمين لليهود صورة من رفض للعقود السياسي الذي خفي به هؤلاء اليهود على اختلافهم . وكان رفض اليهود للمسلمين صورة من نفورهم من حكم الاسلام)) (191) .

ولعل رسالة ابن حزم في الرد على ابن النخيلة اليهودي وشيوعها بين الناس كانت من بين العوامل التي أدت إلى تحريك الهمم ضد اليهودي ، وما صحيحة الشاعر أبي اسحاق الالبي ما هي الا لتتويجا منطقيا ودائريا لذلك التفاعل الذي كان يحرك مشاعر المسلمين في قردابة (192) ضد اليهود وتسليطهم .

وقد كتب السموّل المغربي رسالة سماها ((بطل المجهود في افحام اليهود)) وهي بدورها فمن الجدل والمناقشات والمناظرات بين اليهود والمسلمين . شرح المؤلف سبب تأليف الكتاب بقوله ((والفرغ الاقصى من انشاء هذه الكلمة الرد على أهل اللجاج والحناد ، وأن يظهر ما يخور كلمتهم من الفساد

188 - نفسه ، ص 56 .

189 - نفسه ، ص 57 .

190 - الحارثي ، التوراة واليهود ، ص 109 .

191 - نفسه ، ص 51 .

192 - رسائل ابن حزم ، المقدمة ، ص 19 .

على الائمة - ضوعف ثوابهم - قد انتدبوا لذلك في مناظراتهم اليهود أنواع السالك ،
 الا أن أكسرت ما نوظفوا به لا يكادون يفهمونه أو يلتزمونه وقد جعل الله
 في افحامهم طريقا مما يتداولونه في أيديهم من نس تنزيلهم واعمالهم كتاب الله
 عند تبديلهم ، ليكون حجة عليهم موجودة في أيديهم . . . (193) .
 والتهج السملول المنهج الذي سار عليه ابن حزم نفسه .
 مناقشا اياهم ما جاء في كتاباتهم بصورة جدلية مبرزنا التناقض الموجود في كتبهم
 داخضا حججهم وأقوالهم وأراؤهم بالادلة العقلية .

ومن الحجج العقلية التي اعتمد عليها في مسألة تكذيب
 اليهود لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ((اذا سألنا يهوديا عن موسى عليه
 السلام ، وهل رآه وعلمين معجزاته ؟ فهو بالضرورة يقرب بأنه لم يشاهد شيئا
 من ذلك عيانا . فنقول له بماذا عرفت نبوة موسى وصدقه ؟ فان قال : ان
 التواتر قد حقق ذلك ، وشهادات الامم بصحته دليل ثابت في الحقل كما ثبتت
 عقلا وجود بلاد وأنها لم تشاهدنا وانما تحققنا وجودها بتواتر الانباء والاخبار ،
 قلنا ان هذا التواتر موجود لمحمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام
 كما هو موجود لموسى عليه السلام فيلزمك التصديق بهما)) (194) .
 واعتمد على الادلة العقلية من الكتاب المقدس عارضا ما جاء
 فيه باللغة العبرية مع ترجمته الى العربية ، ثم شاقش الفكرة أو الفكرة
 مبينا وجه التناقض في الكتاب ليصل في النهاية الى قضية تحريف اليهود لكتابهم
 مثلما فعل ابن حزم الاندلسي .

ويبدو أن هذا الكتاب قد أثار ضجة كبرى في أوساط اليهود
 والمسلمين على السواء ، ويظهر ذلك من خلال المناقشة التي أثارها هذا
 التأليف ، اذ تصدى له بالرد ابن كمونة وهو أحد المدافعين عن اليهودية ضد من
 اسلموا فكتب بالعربية مؤلفه ((تلقيح الابحاث للملل الثالث)) يتحدث فيه عن
 الاسس التي قامت عليها الديانات الثلاث ، يتهم فيه الاسلام بالنقل عن اليهودية

(193) - السملول بن يحيى بن عباس المغربي ، بذل المجهود في افحام اليهود ،
 تقديم أحمد محمد الشامي ، القاهرة مطبعة الفجالة الجديدة ،

دون تاريخ ، ص 26 .

(194) - نفسه ، ص 23 .

ويسرى بأن شروط النبوة لا تطابق على محمد صلى الله عليه وسلم، مما أثار جمهور المسلمين فهو جدّد دأب من كتب من أن يوم الجمعة، فيبر أن الحكام ساعدوه على الفرار من مدينة بغداد (195).

وأورد الودشيري مناظرة بين أحد اليهود (196) والمفتي ابن لب يسأل فيها اليهودي عن القضاء والقدر في أبيات شعرية :

أيأ علماء الدين ذمي ذينكم تعيردلوه بأوض حجة
إذا ما قضى ربي بكفي بركم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
قضى بضاللي ثم قال أوفى بالقضاء فهل أنا راضي بالذي فيه شقوتي ؟
دعالي وسد الباب دوني فهل إلى دخولي سبيل بينو قضيتي ؟
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فهل أنا عاس باتباع المشيئة ؟
ومد لي اختيار أن أخالف حكمه ؟ فبالله فاشفوا بالبراهين عنتي .

فرد عليه بجواب طويل من بين ما تدارق إليه دعوته إلى الإيمان بالرسالة المحمدية :

فصدق وآمن بالنبي محمد فملته قد عدالت كل ملّة

وعول على علم الشريعة والتمس دليل مداهما من كتاب وسنة (197)

وذكر الشاطبي حواراً دار بينه وبين يهودي ينكر خلق عيسى عليه السلام من غير أب بقوله : هل يكون شيء من غير مادة ؟ فرد عليه ((فيلزمك إذا أن يكون العالم مخلوقاً من مادة ، وأنتم معشر اليهود لا تقولون بذلك فأحد الأمرين لازم : إما صحة خلق عيسى من غير أب وإما بطلان خلق العالم من غير مادة)) (198) فبهت اليهودي من جوابه الفخم .

ولعل أول من ناظر اليهود من المخاربة محمد بن سحنون إذ تذكر المصادر مناظراته المشهورة مع أحد اليهود في مصر أثناء مروره بهما في طريقه إلى أنبعاث القديسة، ودأمت المناظرة إلى وقت صلاة الفجر خرج منها محمد بن سحنون وهو يبسح الحرق من وجهه وكان من نتيجة

(195) - الحفني، الموسوعة النقدية، ص 34، 35، و ص 126 .

(196) - قيل أنه إبراهيم بن سهل المتوفى في القرن السابع الهجري وابن لب توفى في القرن الثامن . فالأرق الزمني لا يسمح بوقوع مثل هذه المناظرة . ولعل في الأمر تصحيف إما من الودشيري، أو من الناشر .

(197) - الودشيري، المعيار، ج 1، ص 266 و ص 350 .

(198) - أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاذلي، الإفادات والاشادات، تحقيق

أبو الاحقان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1395هـ، ط 1، ص 156 .

ذلك أن أسلم اليهودي ((199)).

ان الجدل بين اليهود والمسلمين، قد احصر أكثره في القضايا الدينية، اذ اجتهد اليهود في مناقشة المسلمين في جوهر ديانتهم، لا برار أولوية الديانة اليهودية، وفضلها على الدين الاسلامي كما تحدث أحياناً الى المسائل الفلسفية كالنفس والقدر، وهو ما يبين تسامح المسلمين تجاه اليهود، ومجادلتهم بالتي هي أحسن على أساس قاعدة ((لا اكراه في الدين))، ان لم يكن هذا الجدل عادياً في بعض الأحيان في المسائل المتعلقة بجوهر الدين،

4) دور اليهود في نقل الثقافة الاسلامية الى أوروبا :

استقر اليهود في المدن الاسلامية، ونحووا بالتسا مع، هذا التسامح الذي جعلهم ينضمون بالحرية التامة، فتحملوا اللغة العربية، مما أدى الى مشاركتهم في الحياة الفكرية بنشاط واسع. وقد كان هؤلاء مكوسطاً في الاندلس بين الثقافتين الاسلامية والمسيحية - مساعدين للباحثين المسيحيين على ترجمة الأعمال العربية الى اللاتينية، وبذلك وضعوها في أيدي الغرب المتأخر في تلك الفترة قصد الاستفادة منها (200). وقد بدأت هذه العملية منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، حينما بدأت جموع اليهود تغادر الاندلس الى شمال اسبانيا وجنوب فرنسا، فحمل اليهود معهم الكتب العربية التي كانت بحوزتهم، من أجل اشباع رغبتهم العلمية - التي وجدوها في المصنفات العربية - وحرصهم على ترجمتها الى اللغة العبرية، ولكن اختلاطهم بيهود المنطقة الذين لا يعرفون العربية ولا العبرية، أدى بهم الى أن يوجهوا أنظارهم الى اللغة اللاتينية، لان الترجمة اليها تدر عليهم ارباحاً دائمة (201). والممالك المسيحية لا تبخل بالبذل والعطاء على الذين يقومون بترجمة الأعمال العربية الى اللاتينية. فممنهم من عمل في طليطلة، ومنهم من عمل في صقلية لدى فريدريك الثاني (202). ففي طليطلة أسس مجلس

(199) - عياض، ترتيب المدارك، ج 2، ص 113.

(200) - أنظر: J.J.Sunders, a history of médiéval islam, Routledge and Kegan paul, London, Henley and Boston, 1980, p.192.

(201) - اليازجي، معالم الفكر العربي، ص 354 - 346.

(202) - نفسه، ص 346، وتحدث الدكتور ميشال جحا عن فريدريك الثاني بقوله: ((جعل بلاطه كعبة للعلم ومحجة للعلماء العرب، وكان يتفق بسخاء على ترجمة النتاج الفكري العربي الى اللاتينية)) الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا، بيروت معهد الإنماء العربي، ط 1، 1982، ص 33، وعنه راجع، زهير هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ط 1، 1964، ص 431 وما يليها.

المبشرين أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوروبا (203) . ومن أهم الأعمال التي تقوم بها هذه المدرسة : تعليم العربية والعبرية لأعداد المبشرين للصراية بين المسلمين واليهود .

ومن رجال المدرسة البارزين ريموند ومارتيني (RAIMUNDO Martini) المصروف بخزارة أظلامه ومعرفته للكتب العربية . فقد ألف عديد الكتب ضد الاسلام واليهودية منها : ((خنجر الايمان في صدور المسلمين واليهود)) و ((سورة معارضة للقرآن)) و ((الخلاصة ضد القرآن)) . وهو يتقن العربية قراءة وكتابة (204) .

ومن مهام هذه المدرسة ترجمة الكتب العربية الى اللاتينية . ومن بين تراجمها اليهود يحي الاشبيلي كما ذكر أوليبي (205) . وأهم من عمل في ميدان الترجمة من العربية الى اللاتينية من اليهود ابراهيم بن عزرا ، وخرج بن سالم (206) ، وابراهيم بن يحي (المتوفي نحو 531 هـ / 1136 م) (207) .

وليس معنى هذا ان اليهود هم الذين استأثروا بنقل الثقافة الاسلامية الى أوروبا المسيحية ، بل كانوا من بين عدد كبير من المسيحيين الذين شاركوا في نقل المصرفة والعلوم الاسلامية (208) .

واليهود بحكم جوارهم للمسلمين تأثروا بهم ، ودرسوا بحقق العلوم الاسلامية العقلية والعقلية ، فكانوا تلاميذ ابن رشد والغزالي وابن سينا والفرايبي وسيبويه وغيرهم . وبالتالي فخرج اليهود من ديار الاسلام ، ومجرتهم منهل ، تبعه نقل للمعارف التي حصلوا عليها الى أوروبا من خلال معرفتهم لللاتينية ، وقد كانت الترجمة مصدرا مهما للارتقاء (209) .

(203) — جمال الدين الشيال ، التاريخ الاسلامي ، وأثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة ، بيروت : دار الثقافة ، دون تاريخ ، ص 32 ، علي علي سليمان ، ((أثر الثقافة العربية في الثقافة الغربية)) مجلة الثقافة والثورة ، عدد 9 (1933) ص 29 .

(204) — عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، بيروت ، دار العلم للطباعة ، 1334 هـ ، ط 1 ص 213 — 215 ، بالنها ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص 540 — 542 .

(205) — أوليبي ، الفكر العربي ، ص 234 — 235 ، وعن الاشبيلي ، راجع بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص 435 — 440 .

(206) — اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 346 .

(207) — الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 29 .

(208) — بالنها ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص 536 ، 550 .

(209) — اليازجي ، معالم الفكر العربي ، ص 336 ، بالنها ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص 536 — 538 .

فالتوجه في أحد من الوسائل التي جعلت أوروبا تصير على
أيدى رشده ، وأولئك في المتخذ في الدراسات اللاهوتية يقر بهذه الحقيقة
التاريخية ، وهذا يقول : (ولقد نشأت بين اليهود في الواقع مدينة ومدينة
قوية كانت الوسيلة الرئيسية فيما بعد في إدخال نظريات إلى الأسلاكية اللاهوتية)
(210) ، لأن كتب فيلسوف قديمة نقلت إلى العبرية ، وطبعت في ألمانيا ،
فاستفاد منها الغرب المسيحي .

ومن هذا المنطلق ربط الكثير من المستشرقين أفكار
أبرن برشت ، بأصول يهودية (211) وهي جنابة على أفكاره ، وعلى أفكاره
التي يتبعها هذه التهمة التي كان وراءها دون شك المستشرقون اليهود ، الذين
يحددون صيغ أفكار الغرب المسلمين بصيغة يهودية .

إن المشاركة في تصويب الثقافة الإسلامية إلى أوروبا ، لا يرجع
أساساً إلى عامل عني الأوروبي ، وإنما يرجع إلى أساس أنها ثقافة الحضارة ، والتاريخي
والتطور ، وأما العامل الأساسي يعود إلى حب الحصول على المال ، والافتراف ، لأن
المدونة التي ظهرت في البداية تهدف إلى استعادة المسيحية من الشرق الإسلامي
لحماية الإسلام بمساحدة ، وصداقة اليهود واليهودية . ويبدو ذلك جلياً في
طريق اليهود مع المسلمين بعد ما سقطت آخر معاقل المسلمين في غرب أفريقيا
بمدينة 693 هـ / 1292 م .

وصحوة القول أن الثقافة اليهودية تعرضت في دأب الإسلام
إدخولت دور التعليم والثقافة ، وتداخلت بجوهر الثقافة الإسلامية ، وكان
محاكاة بأساطين العلماء المسلمين في اللغة ، والفقه ، والتاريخ ، والأجرواف ،
والفلسفة (الحكمة) والعلوم ، وهذا في ظل الحرية الممنوحة لأهل الذمة .
وبعد هذه النظرة على الحياة الثقافية لليهود من النواحي

المسلمين في الغرب الإسلامي ، فما هو الدور السياسي الذي قاموا به ؟
أهم الوظائف التي تنوعها اليهود في نظم الدول المغربية المتعاقبة ؟ وهل عملوا
بإخلاص في إطار القوانين التي تتحكم فيها ؟ وما هي النواحي التي كانوا يهتمون
لأنشاء دويلات يهودية في الأندلس ؟ هذا ما ستوضحه في الفصل الخامس .

(210) - أولئك ، الفكر العربي ، ص 221 .

(211) - أعمال ندوة ليجن رشده ، ص 241 .

الفصل الخامس

الحياة السياسية لليهود

1. الوظائف الإدارية والسياسية
2. المهام الدبلوماسية (السفارات)
3. مؤامرات ودسائس اليهود
4. محاولة إنشاء دولة يهودية
5. علاقة يهود المغرب بيهود العالم.

(1) الوظائف السياسية والادارية:

شارك اليهود في المغرب الاسلامي في الوظائف السياسية والادارية، وقد تبوأ هؤلاء العديد من المسؤوليات الهامة في حرم نظم السبدر المتعاقبة. ويعود فضل حصول اليهود على هذه الوظائف الى نظرة الدولة الاسلامية، التي تعامل زعاياها على قدم المساواة، بغض النظر عن الديانة التي يعتنقونها. فان كانت بعض الوظائف القليلة لا تسد الى الذمين، كالخليفة أو الامامة، والامارة على الكجهاد، لان طبيعتهما تقتضي ألا يتولاها مسلم.

وبما أن الامامة هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا (1) فمن الطبيعي أن يكون خليفة المسلم من مسلماء، وهو ما حدث في دولة الاسلام على وسر المصور (1م). وأما امارة الجهاد فيشتترط فيها - أيضا - الاسلام، لان الجهاد التزام يلتزم به المسلمون ذون الذمين، ولهؤلاء مشاركتهم اختيارا فني الدفاع عن دار الاسلام (2).

ويجوز للذمي أن يتحمل أعباء الوظائف الاخرى اذا لم يظهر عداوة للمسلمين (3) ويقول الماوردي بجواز اسداد منصب الوزير الى أهل الذمة على أن لا يباشر الحكم ولا ينظر في المظالم ولا يستبد بتقليد الولاة، وأن لا ينفرد بتسيير الجيوش وتدريب الحروب، ولا يتصرف في أموال بيت المال (4). فان توفرت هذه الشروط لا يوجد ((ما يمنع أهل الذمة منها)) الوزارة - الا أن لا يستعملوا فيكونوا ممنوعين من الاستطالة (((5)، وتسمى الوزارة * التي يمكن اسدادها الى الذمين وزارة التنفيذ. ومن اختصاصات هذا الوزير، معاونة الخليفة في ادارة شؤون البلاد فهو الواسطة بين الحاكم والزعامة وله التوقيع عن الحضرة،

(1) - الماوردي، الاحكام السلطانية، ص 5، ابن خلدون، ج 1، ص 339، 336، قان أيضا الخزاغي، تخريج الدلالات السمعية، ص 43، زيدان، احكام الذمين، ص 78.

- 1م) - زيدان، احكام الذمين، ص 78.
- (2) - نفسه، ص 78، عن هذه الامارة، راجع الماوردي، الاحكام، ص 32 وما يليها.
- (3) - زيدان، احكام الذمين، ص 79.
- (4) - الماوردي، الاحكام، ص 24 - 25.
- (5) - نفسه، ص 25.

(*) - الوزارة من أرفع المراتب وأعماها، وعن هذه الخطة وأهميتها، وطريقة تناولها في كتب الاداب السلطانية، راجع، عز الدين الحلام، السلطة والسياسة في الادب السلطاني، الدار البيضاء، (المغرب الأقصى) افريقيا الشرق، 1991، ص 103 - 110.

ومراجعة شؤون الجامعة . ومن أول واجباته النافذة المالية (6) بمعنى أن هذا الوزير يساعد الحاكم في أعماله ويحمل تحت إشرافه : والماوردي يوضح مهام الوزير المنفذ بقوله : ((وهذا الوزير وسطا بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر وينفذ عنه ما ذكر ويضحي ما حكم ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ويحضر في عليه ما ورد من مهم وتجد من حدث ولم ليحمل فيه ما يؤمر به فهو معين في تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلدا لها)) (7) . وهي بصورة عامة ((تختص بالرأي والحزم)) (8) . خلافا لوزارة التشوين ((الجامعة بين كفاية السيف والقلم ، فهي أعم نظرا وأنفذ أمرا . . . وهذه الوزارة هي الاستيلاء على التدبير والحقد والحل والتقليد والفضل)) (9) . فهذا المنصب هو أشمل من الأول لأن صاحبه يجوز له أن يحكم بنفسه فيقلد الحاكم وينظر في المثاليات ويتولى الجهاد بنفسه ، إلى غير ذلك من المسائل التي يمكن أن تدخل ضمن اختصاصاته (10) .

وقد تشدد بعضهم في تقليد المناصب لأجل الذميمة اعتمادا على أن هؤلاء استأثروا على المسلمين وتجاوزوا الشروط الموضوعية بحكم أنهم عاشوا تجارب مرموقة تتمثل في أحكام اليهود أيديهم في رقاب المسلمين فوضوا المصالحات لأهلها ربيان المنع في تقليد من المناصب في دولة الإسلام لأنهم يخفون في أنفسهم غداوة لأهل الإسلام (11) . ومن أرفع المناصب التي تولها اليهود في المغرب الإسلامي ما وصل إليه يعقوب بن كلس الذي فر من مصر أثر وفاة كافور الأخشيدي

(6) — الصاوي ، الوزارة والوزراء ، ص 33 .

(7) — الماوردي ، الأحكام ، ص 23 .

(8) — أبو الحسن الماوردي ، قوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، بيروت ، دار الطليعة ، 1973 ، ط 1 ، ص 138 .

(9) — نفسه ، ص 133 — 139 .

(10) — الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 22 .

(11) — من هؤلاء ، مجهول ، مناجح الصواب في قبح استكثاب أهل الكتاب ، تحقيق د. د. علي الفاضل ، بيروت ، دار المغرب الإسلامي ، 1982 ، ط 1 ، ص 25 — 57 .

حاكم مصر متجها الى المغرب للدخول في خدمة المعز لدين الله الفاطمي سنة 357 هـ / 967 م (12) وقد قرره المعز ولكن لا يعرف ما هو المنصب الذي تقلده أثناء وجوده بالمغرب. فابن خلكان يقول : ((... وانتهى السبب افريقية وتعلق بخدمة المعز الصبيدي)) (13) دون أن يوضح المنصب الذي تولاه .

اما ابن الصيرفي فلم يبين هو بدوره المنصب الذي تولاه ابن كلس بعد فراغه من مصر ((وسار الى المغرب وخدم الامام المعز لدين الله ... وخدم بخدمته وتولى أموره)) (14) ولكن على ما يبدو فإن المعز لم يستعمل ابن كلس كوزير الا بعد فتحه لمصر على ما تذكر بعض المصادر (15) . والمؤكد أن منصب الوزير لم يظهر أثناء الدور الفاطمي في المغرب، لان الفاطميين لم يستعملوا بغيرهم للقيام بهذا العمل، وقد اتخذوا لمساعدتهم من يثقون فيهم دون تلقينهم بلقب وزير (16) . وقيل بوفاة ابن كلس على دينه وكان يظهر الاسلام (17) . ولكن هناك من المصادر التي تؤكد اسلامه الصحيح والحسن أثناء خدمته لكافور الاخشيدي (18) .

والمهم أن الدولة الفاطمية في بدايتها قد تربت أحبد اليهود الذين أسلموا ؟ وعلى ما تنكر المصادر فإنه خدم الدولة بكل إخلاص فعال الخطوة، كما تربح على عرش الوزارة بمصر مع فموض المهمة التي قام بها بالمغرب، وان ذكرت بعض المصادر أنه كان من أسباب حركة الفاطميين نحو مصر وفتحها بقيادة جوهر الصقلي أثناء هذه حكم المعز لدين الله الفاطمي (19)

-
- (12) — ابن تغيي بردي ، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 21 .
 (13) — ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج 7، ص 23 .
 (14) — ابن الصيرفي ، الإشارة، ص 21 .
 (15) — نفسه ص 21 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج 7، ص 29 ، وجاء لدى القيرواني بأن يعقوب بن كلس كان يهوديا وأسلم ((الموسم ، ص 63 ، انظره ابن خلدون ، الصبر، ج 7، ص 115 .
 (16) — حسن ابراهيم حسن ، وطه أحمد الاشرف المعز لدين الله ، ص 145 .
 (17) — ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج 7، ص 34 .
 (18) — نفسه ، ص 4 ، 3 ، أنظر ترجمته أيضا لدى المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص 241 ، وعارف تامر ، المعز لدين الله الفاطمي ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، 1983 ، ص 209 — 216 .
 (19) — ابن تغيي بردي ، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 21 .
 وأنظر : Idris , la berberie, T.II, p.716.

ومن اليهود الذين قهرهم عبد الرحمن الثالث في الاندلس
 حسداي بن شبروط الذي ((نال عنده نهاية الحظوة)) (20). وفي عهده
 ظهرت للوجود مدرسة قرطبة للدراسات اليهودية . وفي حقيقة الامر لم يصرف
 من ابن شبروط أنه تقلد الوزارة . ولكن لجمعه علا في سماء قرطبة ، ويعتبر
 من المقربين من الخليفة الاموي ، فكان يقصده الشعراء اليهود والمسلمون لمدحه ،
 حتى أن عبد الرحمن الثالث كان يستشيريه في امور الدولة الداخلية والخارجية ،
 بالإضافة الى أنه طبيبته الخاص (21) . فمهمة ابن شبروط السياسية على ما
 يبدو استشارية ، كما استعان به في بعض المهام الدبلوماسية .
 والوزارة تقلد لها اليهود بصورة واضحة بالاندلس في عهد
 الطوائف . وأهم من نال هذا المنصب اسماعيل بن نغيلة ، فالمرصاد لا تنكره
 الا مقرونا بالخطة التي تقلد لها وهي الوزارة . فالامير عبد الله يؤكد حينما يذكر
 ابن النغيلة على ديانتته بقوله ((الوزير اليهودي)) (22) وابن الخطيب يسميه
 ((اليهودي وزير بلطوس)) (23) . وابن عذابي حينما يتحدث عن باديس
 ابن حبوس ووزيريه يقول : ((فأضى باديس وزيراً له . . . وزير أبيه اسماعيل
 ابن النغيلة اليهودي على وزارته)) (24) .

فالوزارة قد ظهرت في مرحلة ملوك الطوائف كما تثبتت
 المصادر وخاصة في دولة بني زيري . والامير عبد الله أوضح أسباب استبداد هذه
 الوظيفة الى ابن النغيلة بقوله : ((وكان في اليهودي من الكيس والقدرة للناس
 ما طابق الزمان الذي كانوا فيه والقوم الذين يزمونه ، فاستعمله لذلك استبحاشاً
 من غيره ولأن هذا اليهودي ذمي لا تشره نفسه الى ولاية ولا احتياجه
 الى الاموال التي يذابي بها بني عمه ، ويحاول بها أمر الملك لم يكن

(20) — ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 494 .

(21) — محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس، ص 23 وأنظر : Fahm, Slouschz, Etude sur l'histoire des Juifs au Maroc, archives marocaines, volume 6,

Décembre 1905, p.92.

(22) — الامير عبد الله ، التبيان ، نشر وتقديم ليفي بروفنسال ، القاهرة ، دار
 المطبوع ، 1955 ، ص 30 .

(23) — ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص 231 .

(24) — ابن عذابي ، البيان ، ج 3 ، ص 264 .

له بد من مثله أن يجمع له من الاموال ما يدرك معها الامال ((25) فحصل ابن البغرية على هذا المنصب لانه ذمي وغير أندلسي لا تشبه نفسه الى ولاية وغرباطة مليحة باليهود - سميت غرباطة اليهود - لذلك فهو أقدر من غيره على جباية الاموال واسماعيل حسن المجارة للناس ما سر في الحصول على ما يريد منه سم (26)، إضافة الى أنه لم يكن له تسلط على مسلم في حق أو في باطل (27) ومن خلال هذه الحقائق التي قدمها الامير عبد الله آخر ملوك بني زبي فقد استحق الوزارة لعلمه، وأخلاقه، ومعرفته بالمسائل السياسية وبعدده عن الادماج السياسية.

ولكن نجد اسماعيل هذا على الرغم من ذلك ميالا الى بني دينه، ومحافظا بشدة على يهوديته، مما جعل اليهود يطلقون عليه اسم ((النابغة)) اعترافا منهم بفضله وعلمه، ومنصبه. والمهم هنا أن الوزير اليهودي خرج من مبادئ الشوع الاسلامي، لانه استبد بمنصبه، وحاك المؤامرات فكان لابد من استئصال شأفته، ولكنه استمر في الحفاظ على منصبه الى وفاته على الرغم من محاولات الاقصاء التي يتعرض لها.

ولما توفي خلفه ابنه يوسف بن اسماعيل الذي حافظ على منصب والده، غير أنه كان يظهر عدائه للمسلمين ((وجاهر بالكفر فبشبهه الداعن على ملّة الاسلام، فما دفع عن ذلك بتأنيب ولا استطيع تغييره عليه الا بالقلوب)) (28) فان كان اسماعيل يحمل في الخفاء ضد المسلمين والاسلام فقد كان ابنه يجاهر بعداوته.

واستبد يوسف بالحكم بصورة عملية، نظرا لان الحاكم الحقيقي كاداعنا في السن، مداوما على شراب الخمر لا يكاد يصحوه وتمكن يوسف من رشوة كل من له اليد الطولى في القصر، وقلة تجربة الرجال الذين يحملون معه

(25) - الامير عبد الله، التبيان، ص 31، 32.

(26) - عباس، مقدمة رسائل ابن حزم، ج 3، ص 9.

(27) - الامير عبد الله، التبيان، ص 32.

(28) - أبو الحسن علي بن بشار، بشار الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، احسان عباس، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 1931، المجلد الثاني، القسم الاول، ص 766.

اعتماد سياسة التفرقة (29) .

فكل هذه الأسباب ساعدت يوسف للاحتفاظ بمنصبه وسيطرته على مقاليد الدولة الزيرية . ولكن إذا لم يستطع أصحاب السياسة تحيته ، والحسد من نشاطه الهدام فقد استطاع السكان قتله . واستطاع أن يصل إلى منصب الوزارة أيضا أبو الغضنفر ابن حسداي في دولة بني حمود . وكان هذا الوزير من أشرف اليهود بقدره بالاندلس يعود أصله إلى ولد موسى النبي عليه السلام (30) . والمصادر امتنعت بنشره وشعره ، وأهملت نشاطه كوزير . وحتى تصوف أهمية المنصب الذي تيسر له للتابع لقب الوزير في المغرب الإسلامي ، وخاصة للقب الذي حظي به اليهود . فأننا نجد في بعض الأحيان لا يعبر عن وظيفة سياسية بقدر ما يعبر عن وظيفة قلمية أي الكتابة . لأن المصادر تتقن في كثير من الأحيان الكتابة بالوزارة كالوزير الكاتب (31) .

فإن نستنتج من هذا أن أسرة ابن النضرية قد حملت لقب وزير لما لا سمح الله يوسف من حرية في التصرف في المسائل والقضايا الادارية والسياسية ، فقد كان ابن حسداي كائنا لان اهتماماته منصبه على الانشاء وكتابة الرسائل على الرغم من أن ابن سعيد ينعته بالتصوف في دولة ابن زين (32) . ولكن لا تعرف مدى هذا التصوف حتى تحدد همة السياسية بالضبط في دولة بني حمود والارجح أنه يتصوف في ديوان الانشاء . ويبدو أن الاستاذ حركات على صواب حين تناول هذه المسألة بقوله ((ليس من الضميرين مجارة مؤرخي الاندلس وكتابها وأهلها عامة فيما كانوا يغدقون من القاب على كبار الموظفين حتى كان لقب وزير عندهم قد بلغ درجة الاحاط أيام ملوك الداوائف)) (33) . وابن حسداي عاش في هذا العصر المضطرب ومن ثم فلقب الوزير الذي يطلقه عليه المؤرخون صادر من الاعجاب به في حق الكتابة .

(29) -- عباس ، مقدمة رسائل ابن حزم ، ج 3 ، ص 14 .

(30) -- ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص 49 ، ابن بسام ، الذخيرة ، م 1 ،

ق 3 ، ص 457 ، ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 441 .

(31) -- ابن بسام ، الذخيرة ، م 1 ، ق 3 ، ص 457 ، الفتح بن خاقان ، ثلاث

العقبات في محاسن الاعيان ، تقديم محمد العنابي ، تونس ، المكتبة المصنعة

1966 ، ص 209 .

(32) -- ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 441 .

(33) -- حركات ، النظام السياسي والحري ، ص 85 .

أما الوظائف الأخرى التي عمل فيها اليهود بالمغرب الكتابة . ولقد وضـح ابن خلدون الشروط التي يجب أن تتوفر في الكاتب: أن يكون من أرفع طبقات الناس، ومن أهل المروءة والحشمة، والعلم الغزير، وعارضة البلاغة (34) . فالكاتب حسب هذه المواصفات يجب أن يكون من أهل الشرف والعلم والحلم .

ان اسماعيل بن النخيلة في بداية عهده بدولة بني زيري، بدأ كاتبا عند أبي العباس وزير حبوس، ثم ارتقى وأصبح الكاتب الأول، ونفس الوقت يحمل لقب وزيره . فهو إذن قد جمع بين الاشراف على ديوان الكتابة كما كان يشرف على جباية الاموال (35) وقائدا للجيش في المعارك ويظهر ذلك من خلال شعره الذي مجد به انتصاراته ومؤثره الحرية (36) . على الرغم من وجود وزراء يهتمون بالمسائل العسكرية (37) .

ولكن هل يمكن لشخص واحد أن يتحمل كل هذه الاعباء؟ على ما يبدو فان ابن النخيلة لا يستطيع القيام بمثل هذه الاعمال في نفس الوقت . فاقترحت مهمته بالاشراف على شؤون الدولة بما فيها الكتابة بمعنى أنه الحاكم والناعي في غيابه الحاكم الحقيقي الذي كلفه بالاشراف على كل جهاز السلطة .

وما قيل عن اسماعيل بن النخيلة، يمكن أن يقال عن ابنه يوسف الذي خلفه في منصبه، اذ سيطر سيطرة تامة على مقاليد الحكم فهو المشرف على الكتابة وجباية الاموال (38) ، وتعيين العمال وعزلهم (39) . وارتدى نفس اللباس الذي كان يرتديه باديس بن حبوس فأصبح لا يمكن التفرقة بين الرئيس والمسؤول (40) . وأحسن وصف لهذا الوزير المتغلب وصفه به الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري بقوله :

(34) - ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 37 - 43 .

(35) - الامير عبد الله، التبيان، ص 32 .

(36) - عباس، مقدمة رسائل ابن حزم، ج 3، ص 12 .

(37) - الامير عبد الله، التبيان، ص 36 .

(38) - نفسه، ص 33 .

(39) - محمد أنزقي فراد، القوى المغربية في الاندلس، رسالة نالت دكتوراه

الدراسات المعقدة، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1981 - 1982،

ص 91 .

(40) - جاء ليحيى ابن بسام ((أخبرني من رآه)) سائرا صاحبه بساحة قريظية في

بعض قدماته عليها لبعض تلك الشؤون المضلة، والفن المصنعة، قال

المحدث: فرأيت مع باديس، فلم أفرق بين الرئيس والمسؤول فأنشدت:

((تشابهت المناكب والبرؤوس)) ، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 767، غرناطة

القوى المغربية في الاندلس، ص 92 .

((وتبرمك)) (41) أي سار سيرة البرامكة، وعلى رأسهم جعفر البرمكي (42) المتغلب على شؤون الدولة العباسية. والمقاربة هنا في شخصية الوزير المتغلب فقط. لأنه لا يمكن وضع جعفر البرمكي وابن النخيلة في نفس الموقع. وباختصار فقد فوض باديس أمره لوزيره وإلى خدمه فاستبد الوزير (43).

وقد عين عديد اليهود عمالا على بعض المقاطعات، خاصة في عهد ملوك الطوائف بالاندلس، إذ استند الوزير اسماعيل بن النخيلة هذا المنصب للكثيرين منهم، وتحديث الأمير عبد الله عنهم: ((والعمال إنما كانوا يهودا)) (44)، ولكن لا تعرف عددهم ولا أسماء البعض منهم، ولا المهام التي كانوا يقومون بها. وعرف هوبكنز (HOPKINS) الحامل بأنه وكيل للسلطات المالكية وله واجبات أخرى (45)، والقواميس تؤكد هذا التصريف فهو موظف يست خدم لجباية الأموال (46) من جزية وخراج ومغارم. وبما أن النخيلة هو المشرف على جمع الأموال (47) فقد عين مجموعة من اليهود لمساعدته في أعمال الجباية كجمع الجزية من الطائفة التي ينتمي إليها، لأن الأعمال الجبائية الأخرى بأيدي المسلمين (48).

أما ابنه يوسف فقد تكفل بالعمال والجبايات لأن باديس ابن حبوس قدمه للقيام بهذه المهام. ومن ثم سأريوسف سيرة أبيه دون شك في تعيين العمال اليهود لجمع الجزية إذ كان يقول للأمير النزيي ((أنا رجل ذي لا همة لي إلا أخدمك وجمع الدراهم لبيت مالك)) (49). ففسر أن هذه الأموال لا تستفيد منها الخزينة بقدر ما يستأثر بها لنفسه (50).

(41) — الأمير عبد الله، التبيان، ص 42.

(42) — عن البرامكة، راجع، بشار غويدر، دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، رسالة حازت الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 1985 — 1986.

(43) — الأمير عبد الله، التبيان، ص 46. للوزير مهام خطيرة فهو عضد الأمير

((وروى أبو داود رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها

قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أراد الله بالأمير خيرا

جعل له وزير صدق أن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإن أراد به غير

ذلك جعل له وزير سوء، أن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يحسنه)) الخزاعي،

تخريج الدلالات السمعية، ص 59.

(44) — الأمير عبد الله، التبيان، ص 32.

(45) — هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب، ص 103.

(46) — أنظر: Dozy, supplément, T.II, p.175, Fagnan, addition, p.121.

(47) — الأمير عبد الله، التبيان، ص 32.

(48) — نفسه، ص 37.

(49) — نفسه، ص 38.

(50) — نفسه، ص 39.

(205)

حتى قيل : أنه بني قصيرا أحسن وأجمل من قصر باديس (51) .
 وعينما شعر يوسف بالتمسار المحدث من حوله ، عمل على
 تعيين أكابر رجال بني زيب الذين يهاب جانبهم في المعارك المهمة (52) ،
 لابعادهم عن مركز القرار . وعلى ما يبدو فقد كان بعض اليهود ضحية لهذه
 التعميمات الجديدة . فالأشارة التي جاءت لدى الأمير عبد الله تعكس هذه
 الحقيقة . أن سكان مدينة جيان التي عين لها وال جديد والذي استلم
 استمالتهم ، كانوا ((يرون ولايتهم خيرا من تولية العبيد عليم واليهود ومن أشبههم)) (53) .

فاليهود قد ذموا ضحية الاستراتيجية التي اتخذها
 يوسف لتصفية الأجواء من حوله . وهذه الأشياء توضح احتمال العمال اليهود
 كجباة للجزية والخراج ، ولكن أيضا كحكام لبعض المناطق والأقاليم وهو ما ذهب
 إليه هوبكنز عندما قال : بأن العمال هم وكلاء من السلطات المالية وأيضاً واجبات
 أخرى وهو ما يتفق ما جاء لدى آخر أمراء بني زيب في مذكراته .
 واستعمل ملوك غردادة في عهد بني زيب اليهود على
 الخزانة العامة للمالية التي يبدو أن مركزها كان في مدينة النيسانة أثناء حكم
 حبوس وحفيده . يصرح بذلك قال : ((وكانت دار أبي الربيع اليهودي الخازن
 للأموال في دولة جدي)) (54) . وفي الحقيقة لا يمكن الجزم بوجود خزانة الدولة
 بعيدة عن مقر الحكم المركزي ، وقد يكون أبو الربيع اليهودي خازناً للأموال التي
 تجمع من مصادرة النيسانة ثم توجه إلى غردادة بمحلى أنه مقر إقليمي لجمع الأموال
 فقط في انتظار تحويلها إلى بيت المال .

إن الخطأ الإداري غطت أمام اليهود بخلاف المسيحيين
 الذين لم يشتغلوا فيها (55) ولمس مرجح ذلك إلى معرفة اليهود للغة العربية
 معرفة جيدة بخلاف الدماري الذين لم يلموا بالعربية وأساليبها وبلاغتها
 المما كافيها على خلاف اليهود . فمنهم الشعراء والكتاب ، بالاضافة

(51) - نفسه ، ص 47 .

(52) - نفسه ، ص 53 ، فراد ، القوى المضربة ، ص 94 .

(53) - نفسه ، ص 61 .

(54) - نفسه ، ص 130 .

(55) - أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي ، ص 110 .

الى مكانتهم الاقتصادية وأهميتهم الحديثة .

هذا عن الوظائف التي شغلها اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح الى عهد الطوائف بالاندلس الذي عمل المرابطون على القضاء عليهم وانهاء هذه الدويلات المتصارعة والمتجاورة في وقت كان المسيحيون يحضرون عدتهم للقضاء عليهم .

وفي عهد المرابطين والموحدين اقتضت الخطط الادارية على المسلمين دون غيرهم من الملل باستثناء الاشارة التي نذكر احتمال علي بن يوسف جنده الرومي في الجباية، فابن الخطيب يوضح هذه المسألة بقوله : ((وهو أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقد مهمهم على جباية المغارم)) (56) . ويشك أحد الباحثين المحدثين في نصرانيتهم (57) على الرغم من اتفاق المؤرخين فيما يتعلق بالجند الرومي .

2/ المهتمون بالديبلوماسية :

عمل الكثيرون من اليهود في الحقل الدبلوماسي لجساب المسلمين، اذ شارك هؤلاء في البعثات التي أرسلها الحكام المسلمون الى أنظمة الحكم في القارة الأوروبية، كما شاركوا في استقبال البعثات التي جاءت الى الأراضي الاسلامية خاصة في الاندلس .

وقد استعان أمراء قرطبة الامويون بسفراء متمرسين بالاساليب الدبلوماسية دون النظر الى الديانة التي يدنون بها، لذلك ((كانوا يختارون لسفرائهم المختلفة مع أوروبا وبيزنطة وشمال أفريقيا نفرا من المستعربين سواء من المسيحيين أو اليهود الذين صقلتهم التجارب وتمرسوا على أرفع اسلوب في الدبلوماسية وحذقوا توجيه الحوار السياسي في العلاقات الدولية)) (58)، كما أكد المؤرخ جاكسون .

وفي حقيقة الامر لا يمكن نكران أو افعال الخبرة والتجربة . ولكن يبدو أن هناك عاملا آخر أدى بالامويين الى استخدامهم وخاصة الخبصر اليهودي - وهو العامل اللغوي . فالرسل أكثرهم - لان نقل جلهم - من اليهود الذين يحسنون أكثر من لغة . فالعامل اللساني من العوامل

(56) - ابن الخطيب، الحقل الموشية، ص 61 - 62 .

(57) - أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص 116 .

(58) - محمد محمد موسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية 1981، ص 236 - 237 .

الحاسمة التي ساعدت على اختيار اليهود للقيام بنشاطات دبلوماسية لحساب المسلمين .

فاذا دققنا البحث في هذا المجال، نجد أن السفراء المسلمين ليسوا أقل قدرة من غيرهم في المفاوضات، وطرح القضايا السياسية ومناقشتها، والحرية، والدبلوماسية ولا تنقصهم الجرأة، ولا الشجاعة، والذكاء، وهي السجاياء المدلوبة في الدبلوماسية . فالسفير يحيى بن الحكم الملقب بالخرال قد تفاوض مع شارلمان، ونجح في عقد هدنة بين الامويين والفرنجة لمدة ثلاث سنوات عام 197 هـ / 812 م أثناء حكم عبد الرحمن الداخل (59) . وقام الخرال بسفارة الى ملك الروم ((فأعجبه حديثه وخف على قلبه)) (60) وقد نقل المصنف التلمساني عن ابن حيان - شيخ مؤرخي الاندلس - طرائف تبين مدى عفة الرجل، وأخلاقه الدثة، وسرعة بديهيته، وذكائه المتقن، وحنكته بالمعاملات الدبلوماسية، ومرونته لتحقيق الاهداف التي سافر من أجلها (61) .

فالعامل اللغوي، بالإضافة الى عوامل أخرى تبدو ثانوية هي التي رجحت كفة استعمال اليهود في السفارات الاسلامية المضربية . ومن السفراء الذين وصلتنا أخبارهم، وتعرفنا عليهم، حسداي بن شبروط طبيب عبد الرحمن الثالث، حيث أرسله الخليفة الاموي الى شارجة - المخلوع من طرف أخيه أردون، فوجد الراحة والامن لدى جدته طودة (TODA) في ببلولة - ليعالجه من سمته المفرطة اذ نجح في تخفيف وزنه . بعد إرسال شارجة وجدته الى الخليفة الاموي، سفارة الى قوطيسنة يطلبان يد المساعدة لاسترجاع عرش ليون، فلبى طلبهما وساعد شارجة على استعادة عرشه سنة 349 هـ / 960 م (62) .

وفي سنة 344 هـ / 955 م بعث عبد الرحمن الثالث بسفارة الى ليون برئاسة محمد بن حسين وقد رافقه حسداي بن شبروط الذي كان يحسن العربية والعبرية واللاتينية وغيرهما (63) لمقابلة أردون الثالث وحل المشكلات السياسية القائمة بينهما واحلال السلم .

(59) - رينو، الفتوحات الاسلامية، ص 123، 129، موسي الشيخ، دولة الفرنجة، ص 236 .

(60) - المصنف، نفح الديب، ج 2، ص 253 .

(61) - نفسه، ص 253 - 259 .

(62) - السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1971، ج 1، ص 70 .

(63) - أنظر: E.Lévy proveçal;histoire de l'Espagne Musulmane,Paris, E.6.P. maison neuve;1952,T2,p.69.

وعادت هذه السفارة الى قرطبة في السنة الموالية
حاملة كتاب الصلح بين أردون والناصر (64). والمهم هنا في هذه السفارة وجود
حسداي ضمن الوفد، فوجوده يرجح لصالح لشوي الذي امله للقيام بدور الترجمان*
على الرغم من أن الكثير من المؤرخين يحدونه أهمية وشخصية ثانوية ضمن الوفد
بحكم دوره أكثر مما يحتلون برئيس السفارة محمد بن حسين.

وقام ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطراطوشي بسفارات
عديدة أهمها تلك التي اتجه فيها نحو روما سنة 356 هـ / 961 م لمقابلة البابا
يوحنا الثاني عشر (65). ويبدو أنه التقى فيها بالامبراطور أوتو الكبير (66).
وأرسل في سفارتين الى الامبراطور الالماني سنة 354 هـ / 965 م وأخيراً
سنة 362 هـ / 972 م وقد أشار الى عاتين السفارتين كل من البكي
والتزويني (67). وتهدف هذه البعثات الى استمرار العلاقات الودية بين
الامويين والامبراطور الجرمانى أوتو (68). ولم تكن هذه الوفود من جانب واحد
بل نجد الالمان يرسلون بعثة ديبلوماسية الى قرطبة سنة 364 هـ / 974 م بعيد
وفاة أوتو الاول وارتقاء أوتو الثاني العرش، من أجل المحافظة على دوام الصداقة
بين الدولتين *

فتبادل السفارات يعني المحافظة على الصداقة القائمة
بين الدولتين والابتعاد عن جو الخلافات والمحافظة على الوضع السياسي والعسكري
وهو ما يساهم في استقرار الدولة الاموية كانت قوية الجانب حيث ترك الناصر
دولة متكاملة مسيطرة على الاوضاع في الاندلس. ويعتبر عصره العصر الذهبي لعهد
الخلافة الاموية في قرطبة.

(64) - ابن عذابي، البيان، ج 2، ص 331.
(*) - ((الترجمان يترجم للامام باللسان والكتاب)) الجزاعي، تخرىج الدلالات
السمعية، ص 526، تقتضي الضرورة والمنفعة لغات فقير المسلمين ((وأما
ما في تعلمه منفعة للمسلمين كتعليمه لترجمة ما يحتاج اليه الامام كما
تعلم يرضى الله تعالى عنه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، أو لما
يحتاج اليه القاضي للفصل بين الخصوم، وأثبت الحقوق، أو للماشر الذي
يعشر أهل الذمة وتجار الحربيين ليدالب ما يتعين عند عم لبين المال، أو لما
يحتاج اليه في فكك الاسارى وما أشبه ذلك مما تدعو اليه الضرورة، فقير
مكروه)) الجزاعي، تخرىج الدلالات السمعية، ص 221.

(65) - مرسى الشيخ، دولة الفرنجة، ص 232، 233، 235.

(66) - نفسه، ص 234.

(67) - نفسه، ص 232 - 234.

(68) - نفسه، ص 235.

(*) - اختلفت آراء المؤرخين على سفارات الاوربيين الى قرطبة، عن هذه المسألة
راجع، مرسى الشيخ، دولة الفرنجة، ص 232 - 291.

أما المهام التي قام بها الطرطوشي فهي تدخل ضمن
المجاملة الدبلوماسية أكثر مما هي سفارات بمعنى الكلمة لأنها لم تحدث في
أوج خلافتها السياسية عميقة بين الدول التي زارها والدولة الأموية بقدر ما هي
بعثة للتذكير بالعلاقات الطيبة مع رورما ومقدونيا . فالسفير رخالة معروف ، وتاجر
محترف قد تكون له علاقات في كل من المدينتين . ومن هنا نجد الأمويين
يختتمون هذه الفرصة للتعبير عن كياستهم وحكمتهم السياسية لضمان استمرار
العلاقات الطيبة مع البابا ومع الإمبراطور .

وفي عهد ملوك الطوائف كان الفونسو السادس يحمل على
أصحاب مولانا الملوك بفرض الجزية عليهم جميعاً ، وبعد ما تخريب أراضيهم
وأفساد زروعهم وأقواتهم ومحاصيلهم عن طريق الشارات المدمرة ، ثم افترس
حصونهم ، وأراضيهم (69) .

وفي أوج هذا المخطط الرهييب وجه الملك النصارى سفارة
إلى الملك المعتمد ابن عباد سنة 475 هـ / 1085 م للمطالبة بالجزية على
رأسها يهودي يدعى ابن شاليب ، فأرسل المعتمد اليهم المال والسبائك إلى خارج
إشبيلية أين عسكر النصارى ، ولكن رفض اليهودي أخذ ما مدعيا أنها مزيفة وطالب
بمبار حسن ومدد وتوعده فرد المال إلى ابن عباد وأعلم بالقصة فأمر رجاله
بالقبض على ابن شاليب ومن معه وطلب اليهودي وأودع النصارى السجن (70) . ولما
علم الفونسو ملك قشتالة بما حدث ((قسم بإيمان مغلظة أن لا يرفع يده عنه وأنه
يحشد من الروم عدد شمر رأسه ويصل بهم بحر الزقاق)) (71) . بمعنى أن
الفونسو وجد الذريعة الكافية للقضاء على دول الطوائف للوصول إلى البحر ،
واستعادة الممتلكات التي بأيدي المسلمين غير أن استجدادهم بالمرايطيين
وضع حداً لدموحات الفونسو والمسيحيين .

(69) — محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ،

القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1960 ، ط 1 ، ص

73 — 74 .

(70) — المقري ، نفح الطيب ، ج 4 ، ص 246 ، ابن الخطيب ، الحل ، ص 25 ، 26 ،

عنان ، دول الطوائف ، ص 73 ، أما ابن الأثير فله رواية أخرى : ((... وكان

الرسول في جمع كثير كانوا خمس مائة فارس فأنزله محمد بن عباد وفرق

أصحابه على قواد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل أن يقتله

وأحضر الرسول وصفه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر))

الكامل ، ج 5 ، ص 136 ، وأنظر كذلك ابن عذاري ، البيان ، ج 4 ، ص

131 .

(71) — ابن الخطيب ، الحل الموشية ، ص 26 .

وقد كان لابن عباد سفير يهودي يدعى ابن مشعل، عيّن على ما يبدو للحفاظ على توازن العلاقات السياسية بينه وبين ملك قشتالة. وما يروى عن الملك النصراني أنه قال لسفير الممحمّد ((كيف أترك قوما مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمراءهم، المعتضد والمعتضد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون وكل منهم لا يسئل في الذب عن نفسه سيفاً ولا يرفع عن زعيمته ضيماً ولا حيفاً قد أظفروا الفسوق والحصيان واعتكفوا على المثاني والحيدان، وكيف يحل البشر أن يقر منهم وعيته أحداً وأن يدعها بين أيديهم سداً)) (72) .

فإن صحت هذه الرواية فقد كان الفونسو على علم عميق بحالة المسلمين في الأندلس في عهد الدواثف. وإن شجره كان انعكاساً لهذه الوضعية السيئة التي كان يعيشها المسلمون في الأندلس. وأما عن استعمال ابن العباد للسفير اليهودي ابن مشعل فإن العامل المساعد الذي جعله يقوم بالسفارة لدى ألفونسو، هو العامل اللغوي، وما استعمال ابن شاليب اليهودي لنفس الغرض بالنسبة للمسيحيين استندته إلى الضرورة اللغوية. فالمسيحيون اعتمدوا عليهم في الترجمة، مثلما استدعاهم المسلمون لنفس الغرض، أو للغاية نفسها.

وفي العهد المرابطي، ليس لدينا وثائق تثبت أنهم استعملوا سفراء يهود، فقد مرّ أمل الذمة، وخاصة اليهود بمرحلة عصيبة كرد على خيانة هذا المنصر - الذي - في افساد الدين الاسلامي. ففي الرسالة التي وجهها علي بن يوسف إلى الأندلس أوصى الحكام بعدم ادخال الذميين في وظائف الدولة بقوله: ((وكذلك نؤكد لكم عليكم أتم تأكيد أمر أمل الله بالانصاف تصرفاً واحداً معهم في أمور المسلمين، لانه من فساد الدين)) (73). لذلك نجد المرابطين لم يستعملوا اليهود في الوظائف الادارية، ومن ثم اعتمد هؤلاء على امكانياتهم البشرية دون اللجوء الى اليهود أو غيرهم من الملل الاخرى لاستخدامهم كسفراء.

(72) - عنان، دول الدواثف، ص 74.

(73) - محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الاول، عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964، ط 1، ص 560.

تدبر العهد الموحد بتفتح من الناحية السياسية والدبلوماسية والتجارية منذ عهد عبد المؤمن بن علي (74)، إذ عمل الموحدون على تهيئة الظروف بالقوى المسيحية، وأدخلوا الجند النصراني في جيشهم، ولكن فيما يتعلق بالسفارات بينهم وبين المسيحيين، فإنهم لم يستجدوا باليهود، وإنما استندوا على النمط كترجمة أثناء المفاوضات، وعقد الاتفاقات مع القوى المسيحية (75).
غير أن والي سبتة ابن خلاص... أواخر العهد الموحد... أرسل ابن سهل الإسرائيلي كاتبه ضمن وفد يرأسه ابنه إلى أبي زكرياء بن الحفصي، ووجود إبراهيم بن سهل ضمن هذه السفارة كشخصية ثانوية، لأن رئاسة الوفد قد أسندت إلى ابن الوالي، ويحود إلى أنه كاتب ابن خلاص الشخصي، وأيضا أعجاب الأمير الحفصي بالشاعر وشاعريته، إذ كان مولعا بالادب، وشغيفا به، وما يبرز مكانة ابن سهل لدى أمير تونس مدحه بقوله: ((رجع إليّ مدحاً)) (76). حينما بلغه خبر وفاته. فلا يحجب والحالة هذه، أن يرسله والي سبتة ضمن السفارة التي لحمل هدية إلى الأمير الحفصي، وتنتهي مباحثته.

(3) - مؤامرات وكسائس اليهود:

لقد تمتع اليهود في المغرب الإسلامي بالتسامح الذي حظوا به المسلمون بعد فتحهم للمغرب، إذ تحسنت وضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية، وبتجلى هذا التسامح في ممارسة ديانتهم بكل حرية والقيام بالامان الشخصية دون مضايقة، واستخدامهم في الوظائف الادارية كلما دعت الضرورة إلى ذلك دون تمييز، بجانب المسلمين، خلافا لما كانت عليه وضعيتهم قبل الفتح.
وفي مقابل هذا، ما هو موقف اليهود من الحكومات التي سيطرت على ديارهم؟ وما هي الدسائس والمؤامرات التي حاكوها أو شاركوا فيها؟ نجد اليهود في حقيقة الامر، لم يقوموا بأعمال سياسية خطيرة ضد الدول الإسلامية في القرون الأولى للهجرة (77) لأن النظم السراسية كانت من القوة بمكان بحيث لم يتوصل هؤلاء المشاركة في الدسائس، ولا في المؤامرات، وكذلك لقلة عددهم. ولكن ابتداء من القرن الثالث للهجرة

(74) - عن علاقات الموحدين بالعالم المسيحي، راجع، حركات، المغرب من التاريخ، ج 1، ص 304 وما بعدها.

(75) - الف الاستاذ عبد الهادي الثاني كتابا عن الديبلوماسية المشقية للمغرب، يكشف عن حقائق جديدة تتعلق بدور اليهود في هذا المجال في العهد الموحد.

(*) - عن سبتة راجع، محمد بن تاوريت، تاريخ سبتة، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1982، ط 1.

(76) - محمد قويحة، مقدمة أشعار ابن سهل، ص 49.

(77) - من القرن الاول الى القرن الرابع للهجرة / من السابع الى الحادي عشر للميلاد.

نمت الجاليات اليهودية في المغرب، بحيث بلغ عدد اليهود في الاندلس أكثر من نصف مليون نسمة (76). وقويت شوكتهم بظهور المدارس التي تعمل على أحياء التراث اليهودي، وتجديد الدراسات اليهودية على ضوء ما وصل إليه الفكر الإسلامي من تطور، مفتحين الحرية المتاحة لهم. وأيضاً ضعف الامارات الإسلامية الشيء الذي جعل اليهود يتناولون على المسلمين، فشاركوا في المؤتمرات والدسائس التي تتنافى مع أبسط السلوكات الأخلاقية، والواقع السياسي، وتهدف أكثر هذه الأعمال إلى زرع الشقاق بين المسلمين.

ففي عهد الدولة الزيرية بالاندلس، برز على الساحة السياسية اسماعيل ابن نغيلة كوزير للأمير حبوس بن ماكسن، وقد خان الثقة التي وضعها الأمير الزيري في شخصه. فقد عين عديد العمال من أهل ملتنية على الأقاليم، إذ استغلوا على المسلمين (79). ولم يحدلوا في جمع الأموال (80) ما بين المسلمين واليهود. والعدالة هنا لا تتمثل في قيمة الجباية، بقدر ما تتمثل في معاملة المسلمين معاملة جيدة يقتضيها الشرع والقانون الوضعي من طرف هؤلاء العمال.

أما ابنه يوسف بن نغيلة الذي عينه باديس بعد وفاة والده، فسار سيرة أبيه في تعيين اليهود على الأقاليم (81). وكان طاغية متجبراً كارماً للإسلام والمسلمين، مثلما كان ماعراً في حبك المؤامرات والدسائس، وكان يحمل على تفرقة البيت الزيري. فنجده قد تدخل بين باديس ووزيره علي ابن القروي لأزاحته لكي يخلو له الجو، ويفرد بالسلطة، ويستأثر بها دون غيره. أن الأمير عبد الله سجل للتاريخ دسائس هذا الوزير اليهودي ضد ابن القروي بقوله لباديس ((ان الذي يأخذ علي أنت أولى به، والرجل كثير الأولاد والضيوف، ويذهب مالك ان لم تعمي وتحمدي. وهو متى تملأ، طمع في ملكك! وأنا رجل ذي لامة لي الا خدمتك وجمع الدراهم لبيت مالك)) (82). فهو يريد تصفية الأجواء حوله، معتمداً على الثقة شبه العمياء التي وضعها فيه الأمير الزيري.

(78) — عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية، ص 117.

(79) — ابن عذابي، البيان، ج 3، ص 264.

(80) — فراد، القوى المغربية، ص 91.

(81) — نفسه، ص 92.

(82) — الأمير عبد الله، التبيان، ص 35.

وكان لباديس ولد يدعى بلكين، وقد كان عاقلاً نبهلاً، يكبره اليهودي، بل كان من أكبر الناقمين عليه، إذ حوّل في نفسه تسلط اليهودي بحيث أصبح زمام الحكم بيده (33). واشترك في النقمة وزراء الدولة، فعمد إلى قتله. ولكن على ما يبدو لم يكن جاداً في تنفيذ مشروعه، لحظوة الوزير اليهودي لدى باديس. ولأن بلكين لم يكتفِ السر على الرغم من معرفته بأن الجواسيس سيطلقون ابن النفييلة بما يجول في خاطره غريمه. ولم يسمح يوسف اعترافه على أن يسبقه بالأمر (34)، واستأنع تنفيذ عملياته بعد أن همياً لها فرص النجاح.

دخل يوسف بن نفييلة على بلكين ((وقبل الأرض بين يديه فقال له ما تريد فقال له يرغب عبدك منك أن تدخل داره مع من أحببت من رجالك يستشرف المعبد بذلك قد دخل إليه فقدم له ولزجاله داهماً وشراباً وجعل السم في الكأس لابن باديس فرأى القيء فلم يقدر عليه فحمل إلى قصره فقتل فيه في غد يومه)) (35).

واتهم الوزير اليهودي أقارب بلكين بارتكاب الجريمة فعاتب فيهم باديس قتلاً وإبادة، ولم ينج من هذه التصفية إلا من فر (36) من المتهمين، دون أن ينتبه لمؤامرة اليهودي. وعوض أن يمكك باديس زمام الدولة بجده، أقبل على الشرب ليتسلى به عن مصابه (37).

وفي الحقيقة يتساءل القاري عن الظروف التي ساعدت اليهودي لانجاح مشروعه؟ قبل أن لباديس ثقة عمياء في الوزير، فاستفصل يوسف هذه الثقة وصفى الجو بازاحتها لبلكين، غير أن هذا الرأي يحتاج إلى حجة قوية تثبتته، فالثقة لا تصل لباديس لكي يتفاضل عما يجب في القصر. ولعل السبب يكمن في الانقسام الخطير الموجود في البيت الحاكم والجانب الاثوي هو الذي يقف خلف الوزير اليهودي، وهذا لا يستدعي الامتياز الزبني القيام بأي عمل ضد وزيره خوفاً من ردود الفعل الحليفة للمتحالفين مع اليهودي، فوجد عزاءه في الشرب.

(33) - ابن عذابي، البيان، ج 3، ص 265، فراد، القوى المضربة، ص 92.

(34) - الأمير عبد الله، البيان، ص 40.

(35) - ابن عذابي، البيان، ج 3، ص 265.

(36) - ابن الخطيب، اعلام الاعلام، ص 231.

(37) - ابن عذابي، البيان، ج 3، ص 265.

بعد هذه المؤامرة التي غرض فيها على خصومه ومنافسيه ،
وجسد يوسف الفرصة سانحة ليستبد أكثر بالحكم ، وخير من صور استبداد الوزير
اليهودي ومن حوله من أبناء ملته ابن عذاري حين قال : ((وصارت لليهود صولة
على المسلمين في دولته)) (93) .

وفي هذه الاثناء زاد سخط السكان ، وارتفعت حدة التوتر
لحوامل كثيرة منها الصاع بين ابن النخيلة والنايعة (94) ، واستتكار العلماء
لسيرة يوسف ، وانتشار قصيدة مشهورة بين سكان فرناطسة ، دألمها أبو اسحق
اللبيني ، والتي ذاعت بسرعة غائقة ، وقد كانت الشبارة التي أضربت الانفجار (95) .
فزحفت الجموع على دار ابن النخيلة ، واقتحموها ، وانتهت الثورة بقتل
الوزير اليهودي ، وقتل الآلاف من اليهود ، انتقاماً من رئيسهم ، وتداولهم على
المسلمين بحيث حصلوا على أموال كثيرة - (96) - وفي دون شك أكثرها من الأموال
التي انتهت منهم عن طريق الجباية والربا .

وبينما تجمع الروايات النصيرية على قتل يوسف في ثورة فرناطة
سنة 452 هـ / 1066 م نجد أن الروايات اليهودية تنكر ذلك ، وتقول بموته
في فراشه سنة 447 هـ / 1055 م (97) .

ويبدو أن الحوادث السابقة ، لم تفتح أعين باديس فصين
خلفا ليوسف القتل وزيراً أخيراً من أهل الذمة بصراي ، على الرغم من أن الثوار
النخيلة مازالت ماثلة أمام أعين الناس . فكتب الشاعر السامري ثلاثة أبيات ، رماها
في شوارع مدينته فرناطة وفجر إلى المربية (98) .

(93) - ابن عذاري ، البيان ، ج 3 ، ص 265 .

(94) - ((كان النايعة من المناوئين ليوسف بن نخرالة ، وكل ما نخرقه عنه أنه كان
متملئاً في المؤامرة التي دبرها اسماعيل ضد أبيه المعتضد بن عباد ليستولي
على الحكم ، وبعد فشل المحاولة فر إلى فرناطة حيث ظل في خدمة باديس حتى
تألق دمه فتبوء مناصب سامية ، ثم أصبح منافساً قويا ليوسف ابن نخرالسة
فحاول كل منهما تأليب باديس ضد خصمه ، وانتهى الصراع لصالح النايعة))
راجع ، فراد ، القوى المغربية في الأندلس ، ص 91 ، الهامش رقم 51 .

(95) - عنان ، ملوك الأوائف ، ص 132 ، أنظر القصيدة في الملحق .

(96) - الأمير عبد الله ، البيان ، ص 54 ، ابن عذاري ، البيان ، ج 3 ، ص 266 ، ابن
الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 233 ، ابن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 46 .

(97) - عبد المجيد بحر ، اليهود في الأندلس ، ص 49 .

(98) - احسان عباس ، أخبار وتراجم أندلسية ، بيروت ، دار الثقافة ، 1335 ، ص 83 ،
34 ، أما الأبيات فهي :

بدل البول بالخرا	كل يوم إلى ورا
وزمانا تنصصرا	فرمانا تهودا
س أن الشيخ عصرا .	وسيصبو إلى المجو

ولم يقتصر دور الدسائس والمؤامرات ضد المسلمين على بعض الوزراء اليهود أو الموظفين، بل تعدت وشملت اليهود الموجودين في المغرب خاصة الجاليات المستقرة في الاندلس. فيذكر الامير عبد الله أن يهود أليسانة قد تهيأوا للقيام بثورة في عهده، ولولا حكمته بحيث عرف كيف يوقفها لانتهدت بمجزرة رهيبة ضد اليهود في هذه المدينة. ويحود سبب هذه الثورة الى العثور على كمية كبيرة من الذهب أثناء القيام ببناء سور يتصل بالحصراء، وقد كانت دار أبي الربيع اليهودي (94) الخازن للاموال في دولسة جبروس ابن ماكسن وعلم الامير أن المال هو من ماله المخزون، فأرسل الى ابنه للاستشارة في الامر. وكان صهره ابن ميمون رئيس دائرة اليهود في أليسانة قد عثرف القصة. وكان ابن ميمون يعمل على إثارة اليهود في المدينة مستغلا نفورهم من الضرائب التي فرضت عليهم. وهامو الامير عبد الله يشرح هذه المسألة بقوله ((ووجد ابن ميمون . . . السبيل الى اغرائهم وعملهم على النفاق، فأجابوه، ودخلوا في السلاح، ونادى فيهم أن جدوا، معشر بني اسرائيل، في حماية أموالكم)) (95).

اعتمد الامير عبد الله على الاسلوب السياسي لكسب لا تصل المجابهة مرحلة دموية، اذ عمل على الغاء القبح عليه مع ابنه وذلك بموافقة الجالية اليهودية في أليسانة، وانتهت الثورة نهاية سعيدة تدل بوضوح على معاملة أهل الذمة بالرفق. وكاد أن يكون ابن ميمون سببا في إثارة مجزرة تشبه التي كان سببها يوسف بن اندريلة في غرناطة.

وفي سنة 443 هـ / 1056 م كان استيلاء الكابيداور المعروف بالسيد علي مدينة بلنسية بعد حصار دام عشرين شهرا، وحينما دخلها صلحا فدر بها وأحرقها، وعاش فيها فسادا. فوجد اليهود هذه الفرصة للانتقام من المسلمين اذ سلبوا وزير أرفون اليهودي حقه وكراميته على السكان، وأداسق يد اليهود للتكيد بهم. وقد صور ابن عذابي هذه المأساة بقوله : ((وبلغ اليهودي - لعنة الله - من المسلمين مبلغ الضاية في العذاب وسلط اليهود على الاسلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكابة ومنهم الامراء والموكلون، والمقترفون وأصحاب الرسوم، وخسروا دماء البحار. وخلص اليهودي (96)

(94) - حينما تحدث عنه الامير عبد الله في اماكن أخرى يقول النسراني، أنظروا، الامير عبد الله، التبيان، ص 66 - 68.

(95) - نفسه، ص 130 - 131.

(96) - هذا اليهودي هو وزير الكبيطور كما جاء لدى ابن عذابي، والمحمتمسل أنه المفاوض باسم الكبيطور، راجع البيان، ج 4، ص 41.

للقبيل بصفاء الحب المدبنة من الشرب بالحما والسوداء وقيل لئلا ينال منهم شيئا منا يفرح
معه كل عدوه فان جاء بشيء وان اننا بالسوداء والحدابيه وتمادت هذه المدة
مدة (. . .) (97) فالنصر يوتج مدى تساوة اليهود على المسلمين، وحقد هم
ومشاركة النصارى في الانتصار عليهم، ولما عادت بلنسية للمسلمين، لم تذكر
المهادر مثل هذه الأجمال، كالتي قام بها اليهود، كرد فعل على الأذى الذي
ألحقه بالمسلمين أثناء الهجوم المسيحي.

والوثائق التاريخية تبرز المشاركة اليهودية في صفوف الجيسوس،
النصرانية فهذا صاحب الحلل الموشية يتعدد بعض اختيار الملك ألفونسو الـ
الذي ستعده فيه المنازلة بين النصارى والمسلمين في معركة الزلاقة فيقول طلسي
لسانه: (. . .) السبت يوم عيد اليهود، وهم كثيرون في محلتنا، ونحن نفتق سر
اليهود (. . .) (98) ويحدد أحد المؤرخين اليهود مشاركة أرخبين الذي صارب
في الجيشين (99) بمعنى أن الجيش المرابطي يحتوي على عدد كبير من الجنود
اليهود، ولكنه يفضل المصدر الذي أخذ عنه هذه المعلومات، أن لا نعرف بشأن
الجيش المرابطي احتواء عناصر غير إسلامية، الشيء يبرهننا أن قبل هذه الفكرة
التي لم تدعم بالردلة التاريخية القائمة.

فمشاركة اليهود في الجيش النصراني الذي قادة ألفونسو السادس
تدل دالة واضحة على تذكر اليهود للمسلمين، والعمل على استقائهم والقضاء على
وجودهم بأن ندمهم وعلى الرغم من ذلك فلم المنتصرين في معركة الزلاقة هم
أحاد وأملات اليهود التي نقدوها أثناء عهد باديرين (100)، وهيسو
ما يفسر تسامح المسلمين تجاه اليهود في الأندلس.

(97) - نفسه، ج 4، ص 41

(98) - م. بول، الحلل الموشية في دار الأندلس، بارانمراكشية، تحقيق سبيل زكارو

زمامة الدار البيضاء، دار الإرشاد، الطبعة الأولى 1979، ص 57،

حركات النظام السياسي والغزبي، ص 232، مسعودون عباس نصر الله،

دولة المرابطين في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية،

1985، ط 1، ص 87 و 92.

(99) - أنار، 54، Slouschz, Etude sur l'histoire des juifs

(100) - أنار، H. Graetz, les Juifs d'Espagne, p. 103. au Maroc

وفي العهد المرابطي، حدثت بمدينة قرطبة ثورة ضد اليهود سنة 523 هـ اثر ظهور قتيل مسلم في بعض أحيائهم، غشحت منازلهم، وانتهبت أموالهم وقتل عدد كبير منهم (101). ان هذه الثورة كما يبدو من ابن عذابي سببها وجود قتيل مسلم في أحد أحياء اليهودية، ولكن هذا غير كاف لقيام ثورة عارمة تنتهك فيها البيوت وتنهب فيها الاموال. ولعل السبب هو الاضطراب الموجود في الاندلس أثناء الحكم المرابطي ضد اليهود بسبب تجسسهم على المسلمين، ورفع أسرارهم الى النصارى، وأيضا الى سياسة بعض الحكام المرابطين التي تهدف الى ادخال اليهود في الاسلام، وبالتالي عمدا والى التضييق عليهم لهذا السبب فكان رد فعل اليهود الانتقام من المسلمين الفرادى الذين يجوبون الاحياء اليهودية، أو يمكن أن تعود الى ممارسات اليهود المعروفة في التاريخ مثل السحرة الذين يستخدمون دم الانسان في طقوسهم الدينية (102) ففي عيد الفطائر يمزجون الفطائر بالدماء البشرية (103) وهذه الممارسات يقرها التلمود، وأغلبية يهود الاندلس من التلموديين، اذ يؤمنون بتعاليمه أكثر مما جاء في تعليمات الكتاب المقدس.

ومن موار المؤامرات والدسائس التي يحيكها اليهود ضد المسلمين في العهد المرابطي، ما ذكره أحد المؤرخين اليهود ((في زحمة الصراع المبرر بين المسيحيين والمسلمين، وكثرة المؤامرات والدسائس فان اليهود لا يكدنهم البقاء على الحياد)) (104). لذلك نجد هم يشاركون في زيادة تحكير الاوضاع، فهذا ابن ميقاش (Ibn . Migash) يبي وقاضى فسي مدينة لوشينا علم بأن أحد اليهود أراد التبايع الى يهودي آخر شارك فسي هذه المؤامرات السياسية، فحاكمه في المحكمة بتهمة كشف أحد اغواره (105).

(101) — ابن عذابي، البيان، ج 4، ص 93، عن عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، القسم الاول، ص 140.

(102) — التل، خطر اليهودية المالية، ص 340.

(103) — نفسه، ص 30.

(104) — أنظر: H , Graetz , les juifs d'espagne , p 200

(105) — أنظر: I ibid: P 201

أما في العهد الموحدي ، فإن اليهود شاركوا أيضا في اصحاف المسلمين ، بتحالفهم مع النصارى ومع الثائرين على الموحدين . فالثائر ابن همشك تعاون مع اليهود الاسلاميين (106) سنة 557 هـ / 1162 م . للدخول الى مدينة غرناطة ، أثناء غياب الامير أبي سعيد بن عبد المؤمن والي المدينة ، الذي كان يقوم بتأدية زيارة لوالده بالمغرب . وقد تحدث ابن صاحب الصلاة عن هذه المؤامرة بقوله : ((وعزمت طاوئته المنافقة أن يخذل مدينة غرناطة أذمي على قريته . وداخل من فيها من اليهود الاسلاميين مع حليفهم المعروف بأبي دعي الفاسق المصافق . . . فمشى هذا الفاسق ابن دعي سرا من ابن همشك في ليلة معينة يصلهم فيها الى باب الرينى بغرناطة ويكسرون قفل الباب ويدخلونه)) (107) .

ان هذه الرواية تعطينا صورة عن بعض المؤامرات التي كان يقوم بها اليهود ضد المسلمين ، لانتقاما لانفسهم . لانهم يزعمون قد أكرهوا على اعتناق الاسلام ، فاتخذوا سياسة التحريض على الفتن ، واشغالها ، وتأجيجها ، وهي سياسة يعرفون بها منذ القديم .

لقد اتخذ عبد المؤمن بن علي موقفا صارما من أهل الذممة ، وخيرهم بين الجلاء عن البلاد أو اعتناق الاسلام (108) . ولكن هذه الصرامة ، لم تمنعه من اعطاء مهلة لليهود لبيع أملاكهم قبل الرحيل (109) . ولما جاء يعقوب المنصور (530 - 595 هـ / 1134 - 1193 م) ، شعر بالخطر اليهودي الكامن في جسم الدولة الموحدية ، فهم يتظاهرون بالاسلام ، ولكن اعمالهم تبين عكس ما يظهرون . فأمرهم بوضع علامات مميزة ، والتمييز أهون بكثير من القتل أو التشريد . فالخليفة الموحدي يعقوب المنصور تازلوا صرح عدي اسلامهم لتركبتهم ، ولو صرح عدي كفرهم لتكلمتهم ولكني متردد في أمرهم (110) . وهذا القول يبرز حيلة الرجل ، فاختر التمييز ، وهو موقف انساني يدعو للاعجاب والتقدير .

(106) — اليهود الاسلاميين هم الذين أسلموا أو تظاهروا بالاسلام ويسمون أيضا المسالمة ، راجع ابن عذابي ، البيان ، ج 1 ، ص 263 ، حسن بن رشيق القيرواني ، نموذج الزمان في شعراء القيروان ، جمع وتحقيق ، محمد العروسي المداوي ، وبشير البكوش ، تونس ، دار التونسية للنشر ، 1986 م ، ص 419 .

(107) — عبد الملك بن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادي تازي ، بيروت ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، 1964 ، ط 1 ، السفر الثاني ، ص 107 ، وفان ابن عذابي ، البيان ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ، محمد زبيير ، محمد بن تاوئيت ، عبد القادر زمامة ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، دار البيضاء ، دار الثقافة ، ط 1 ، 1985 ، ص 74 .

(108) — صالح بن قرية ، عبد المؤمن بن علي ، ص 72 .

(109) — أنظر : Gratz , les Juifs d'Espagne , P 247 .

(110) — المراكشي ، المعجب ، ص 203 .

بدأ اليهود في العصر الموحدى النزوح نحو الممالك المسيحية بكثرة، حيث قدم ألفونسو بعض الامتيازات لعدد كبير من اليهود، اذ عاملهم كرجالهم، كما قبلهم في كل الوظائف (111).

وهذه المعاملة الحسنة للملك المسيحي *، وتشدد الموحدىين نحو اليهود فتحت أبواب هجرة اليهود المغاربة، فالاحصائيات قدرت عدد اليهود عمومًا في مدينة طليطلة (TOLEDE) بـ 12.000 نسمة (112) مما أدى إلى انتقال مركز الدراسات اليهودية إلى اسبانيا المسيحية. وتحسنت كذلك أوضاع اليهود في كل من قشتالة (CASTILLE) وليون (LEON) وأراغون (ARAGON) وبنسار (NAVARRRE) والبرتغال (113) وهي ممالك تكن الحق للصلح ميسر، وتعمل على اخراجهم من الاندلس.

وتقد استماع الامراء المسيحيون بعد ذلك استغلال اليهود الذين يحسنون اللغة العربية ويصرفون عادات المسلمين - الذين كانوا يعيشون في الأوساط المغربية، فأختار من بينهم الملك ألفونسو السفراء (114) وربما الجواسيس للتصرف على أحوال المسلمين.

وشارك اليهود في محاربة الموحدىين في عهد يعقوب المنصور (115)، فبعد معركة الارك التي انتصر فيها المسلمون على جيوش الفونسو الثالث وفراره إلى طليطلة (TOLEDE) للتحصن بها، لاحقته الجيوش الموحدية السرى عقرداره، وكان من بين المدافعين على المدينة المسيحية عدد كبير من اليهود (116). والنصوص التي تركها اليهود من المصور الوسطى، تبين الكره الذي يكنه اليهود للموحدىين، فهذا ابن عزرا يقول بمناسبة فتح الموحدىين لمدينة درعة - في إحدى قصائده ((سأمزق ثيابي، درعة أول مدينة أحتلت، كان يوم سبت. رجال ونساء هدرت دماؤهم وجرت كالماء)) (117).

(111) - أنظر: H. Graetz, les juifs d'Espagne, p 178.

(*) - تأسف البابا غريغوريوس السابع (1073 - 1085م) لدى ألفونسو السادس ملك قشتالة لسلطه لليهود بتبؤاً مراكز تسمح لهم بالتحكم في المسيحيين، راجع، برنز، بابوات من الحي اليهودي، ص 201 - 202.

(112) - أنظر: H. Graetz, les juifs d'Espagne, p 292.

(113) - أنظر: IBID, P 292.

(114) - أنظر: IBID, P 177- 178.

(115) - أنظر: IBID, P 298.

(116) - أنظر: IBID, P 298.

(117) - أنظر: T. Slouschz, Etude sur l'histoire des juifs au maroc, p124.

في نفس الموضوع عن مدينة مراكش ((أن مدينة مراكش النبيلة ، قد شامدت أبناء ما
الأعزاء ، نفذ فيهم السيف ، فعين العدو القاسية لم تخاف على رؤوسهم)) (118) .
فهذا الشعر البكائي من أحد الشعراء اليهود الذين عاشوا
انتصارات الموحدين ، تبرز الحقد الشديد الذي يضره لأعدائه بحيث ((لا يستطيع
تجاوزه في هذه اللحظة التي كتب فيها القصيدة لكنه يترجم الفرصة ليدافو فوق سلاح
مجرمات الأحداث)) (119) .

ومن صور التآمر ضد الحكم الموحد ، الدخول في الإسلام في
الظاهر مع الحفاظ على الديانة اليهودية في السر . وقد ثار أحد أبحار اليهود
ضد التحول الظاهري ، فافتي بأن كل اليهود الذين يعلنون إسلامهم لا تقبل
أنفسهم لا يحسن اعتبارهم يهود . ويقول بوجوب الهجرة ، وإن لم يتمكن من هجرة ،
عليه بقبول الموت (120) .

ولكن دعاة الإسلام الظاهري احتجوا عليه ، وألغوا الرسائل
لدحض حججه . ومن بينهم ابن ميمون ووالده . فقد ألف الابن ((رسالة من
الاضطهاد)) باللغة العربية يستنكر فيها آراء الحبر اليهودي (121) بمعنى
أن ابن ميمون يقبل فكرة الدخول في الديانة الإسلامية بضفة مؤقتة ، وقد طبع
هذه الطريقة ليكون نموذجاً يحتذى به (122) . وهذا النوع من التحول الظاهري

(118) - أنظر: N. Slouschz, étude sur l'histoire des juifs au maroc, p120

(119) - أنوار اليهود في العهد المرابطي والموحدي ، ص 9 .

(120) - أنظر: N. Slouschz, étude sur l'histoire des juifs au maroc, p131

(121) - أنظر:

IBID, P 131.

(122) - لما ترجم محمد بن شاكرا الكتبي لابن ميمون أوضح مسألة تحوله من

اليهودية إلى الإسلام وعودته لدينه الأصلي ((موسى بن ميمون ، الرئيس

أبو عمران القرطبي اليهودي ، الطبيب المقتن في الصلوم ، كان رئيساً على

اليهود بمصر ، وكان أوجده زمانه في الناب ، وكان السلطان صلاح الدين

يستدعيه ، وكذلك ولده الأفضل ، ويقال أنه كان قد أسلم بالمغرب وعفظ

القرآن واشتغل بالفقه ، ولما قدم من المغرب على بمن في المركب التراويج

في شهر رمضان ، وجاء إلى الديار المصرية ، وجاء إلى دمشق ، فالتقى للقاضي

محيي الدين ابن الزكي مؤرخ خطير ، فعالجه الرئيس موسى وبالغ في قصصه ،

فراي له القاضي ذلك وأراد مكافأته على ذلك ، فحلف أيماناً مغلظة أسد

ما يأخذ شيئاً أبداً . ثم بعد مدة اشترى داراً وسأل من القاضي تقديم

التاريخ إلى خمس سنين متأخرة ، فما بخل القاضي عليه بمثل ذلك ، وخدم

القاضي الفاضل ، فجاء من كان في المركب وقالوا : جاء معنا من المغرب

وعلى بنا التراويج في السنة الفلانية ، فأنكر ذلك وأخرج المكتوب وقال : أنا

كنت في دمشق قبل هذه السنة مدة واشتريت داراً وهذا خط القاضي بذلك ،

فلما رأى الفاضل خط محي الدين ابن الزكي بالثبوت ما شك فيه واشفقت

القضية بخبث هذا الشيطان)) . أنظر: فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق

إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، 1374 هـ ، ج 4 ، ص 175 - 176 .

عرفته أوروبا في العصور الوسطى . إذ عبر عن هذه الحقيقة أحد رجال الدين المسيحيين بقوله : ((كان اليهود عادة يتحولون عندما تبرز أمامهم فوائد ووعود مادية ، أو عند شعورهم بالتهديد ، وليس هناك أي دليل على اخلاصهم)) (123) . فظاهرة التحول للحصول على فوائد مادية أو مصلحية ، جائزة في الاوساط الدينية اليهودية ويذكرها كبار الحاخامات اليهود مثلما زكاهما موسى ابن ميمون وهي تدل على نفاق اليهود ، والوصول الى ما يهدفون بطرق تتجاوز الاعراف الاخلاقية ، انطلاقاً من القاعدة القائلة ((تسكن حتى تتمكن)) .

(4) — مشروع انشاء دولة يهودية :

عرفنا كيف أن المغرب الاسلامي أصبح مركزاً هاماً لتجميع اليهود ، لأن لم نقل أكبر مركز خلال العصور الوسطى . ففي الاندلس تذكر الاحصائيات وجود حوالي نصف مليون نسمة أو أكثر (124) . ونتيجة للحرية التي يتمتع بها اليهود ، ظهرت في أهم المدن المغربية مراكز للدراسات اليهودية التي استقطبت أهم العناصر اليهودية المثقفة . ومن أهم المدارس ، القيروان ، وتلمسان (125) وفاس ، وقوطبة ، واليسانة وغيرها . ولجست الكثير من اليهود قد توصلوا الى مراكز هامة في أجهزة الحكم بالمغرب التي تعاقبت على تاريخ المغرب ، إذن فالصوامل متوفرة لاسرائل مشروع يودي الى انشاء أو تكوين امارة أو دولة يهودية في المغرب على غرار مملكة الخزر التي ظهرت في أوروبا الشرقية حينما تحول ملك هذه المملكة وحاشيته ، وعدد كبير من شعبه الوثنيين الى الديانة اليهودية (126) . وأحسن فرصة ملائمة لتفكيك هذا المشروع كان انشاء عهد ملوك الطوائف بالاندلس أي حينما كان الصراع على أشده بين المسلمين والنصارى واليهود كانوا يحملون على تاجيح نار الفتنة بالمشاركة في المؤامرات والدسائس (127)

(123) — برنز ، بابوات من الحي اليهودي ، ص 46 .

(124) — التل ، خطر اليهودية ، ص 117 .

(125) — أنظر : N. Slouschz , étude sur l'histoire des juifs au Maroc , P 77 et 99 .

(126) — بنيامين فريدمان ، يهود اليوم ليسوا يهوداء ، ترجمة زهبي الفاتح ، دار النفائس ، 1963 ، ط 2 ، ص 19 .

(127) — أنظر : H. Graetz , les juifs d'Espagne , P 201 .



وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الدويلات متصارعة لم تستطع توحيد جهودها للحد من الخطر المسيحي . بالإضافة الى ضعفها . في هذا الظرف ظهر المشروع اليهودي وقد كان صاحبه يوسف بن نخريلة الوزير في الدولة الزيرية بغرناطسة ، الذي كان يملي نفسه بأن يصبح الحاكم الفعلي لهذه الدولة ، ولكن الظروف لم تهدأ حوله بسبب كره العامة والخاصة له في غرناطسة .

ومن المصادر التي تحدثت على مشروع ابن نخريلة ابن عذابي الذي كتب في هذا الموضوع يقول : ((. . . وذلك أن هذا اللعين — يوسف ابن نخريلة — طلب أن يقيم لليهود دولة قدس الى ابن صمادح صاحب المربة في السر أن يدخله غرناطسة ويكون اليهودي في المربة)) (128) .

حاول يوسف بن نخريلة انشاء امارة يهودية حينما شعروا بالخطر المحدق حوله (129) نتيجة السياسة التي انتهجها ، والاعمال التي كان يقوم بها والتي كما عرفنا جلبت له عداوة العامة والخاصة ، مقابل تسليم غرناطسة ليحيى بن صمادح في مقابل تنازل هذا الأخير على المربة لاقامة مشروعه . وهو المشروع الذي كان اليهود يتمنون اقامته منذ مدة حيث مهدوا الى ذلك باعلانهم عن قرب بحث المسيح (130) ((تبشيراً بما تنبأ به دانييل (131) الذي توسم فيه اليهود النبوة ، فاطلقوا اسمه على أسفار التلمود التي تتضمن تنبؤات أحبارهم بمصير العالم ، فقال دانيال أن بحث السيد المسيح يصادف قيام دولتين اسرائيل بعام 1010 ميلادية)) (132) أي بداية القرن الخامس الهجري (133) وعلى الرغم من أن هذه الحسابات لظهور المسيح قد لاقت انتقادات من جانب كبرى من اليهود (134) فإن عدد آخر منهم قد آمن بهذه الفكرة ، وعمل على ترويجها لتحقيق نشأة الدولة اليهودية . وليس من المستبعد أن يؤمن يهود المغرب من قناعة بظهورها ، وبالتالي العمل على تحقيقها .

(128) — ابن عذابي ، البيان ، ج 3 ، ص 266 .

(129) — فـراد ، القوى المغربية ، ص 93 .

(130) — المسيح : تحلي بالصورة الرجل الذي ظهره يهوه ، بمعنى النبي أو المخلص الذي يرسله يهوه لانقاذ بني اسرائيل وتطليق أيضاً على الملوك والانبياء ، وكل الرجال الذين يقومون بحمل ديني مقدس ، أنظره محمد فريد حجاب ، المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ، ص 20 .

(131) — دانييل : يعمده التقليد المسيحي ضمن كبار الانبياء ، وهو سفير أسفار العهد

(132) — الرايد أوي ، دراسات ، ص 69 .

(133) — يوافق هذا التاريخ سنة 401 هجرية .

(134) — حجاب ، المهدي المنتظر ، ص 22 .

وفي الواقع ان المصادر التي تحدثت عن فكرة انشاء اماره لليهود في الاندلس قليلة، اذ انفرد ابن عذابي كما رأينا بالقول بانها لها دون غيره من المؤرخين . ولم يشر الامير عبد الله الى هذا الموضوع ، على الرغم من أنَّهُ عاصر الأحداث ، وتعرف عن كثب على الوزير ابن نخريلة ، ولا تخفى عليه اهدافه ومشاريعه . فحينما تطرق الى علاقة الوزير اليهودي وابن صمادح وتهيئة الظروف الملائمة لحليفه للدخول الى غرناطة فاتحا قال : ((وكتب اليهودي الى ابن صمادح يخبره بخروج القوم الضوفا من المدينة ، وأنه لم يبق فيها الا من لا يؤمن له ، ويحصد هم سيفه اذا دخلها ، وأنه منتهي لفتح أبوابها متى جسر وطرقها ، وضع النظري سائر الحصون غير القواعد ، وأهمل ما يرتفقون به من الرجال ، والحدود على وجه الغفلة حتى خلت)) (135) فالامير يوضح الدور الذي قام به يوسف لتهيئة الظروف الملائمة لدخول ابن صمادح الى غرناطة ، دون الاشارة الى فكرة تنديم ابن صمادح المربة بالمقابل الى يوسف بن نخريلة لانشاء اماره يهودية . فهل الامير عبد الله يجهل مشروع الوزير اليهودي ؟ من خلال ما سجله فسي مذكراته لا يحلم الامير الزبيبي بهذا المشروع لذلك لم يتدارق اليه . والسؤال الذي يطرح لماذا اختار يوسف بن نخريلة المربة لانشاء اماره ، ولم يتخذ اليانة قاهدة له ، والتي تعتبر دولة داخل دولة لكثيرة اليهود بها (136) ؟

يبدو أن العاص الاساسي لاتخاذ مدينة المربة كقاعدة للدولة اليهودية ، تنازل ابن صمادح عنها مقابل ارتقائه عرش غرناطة . فالتفاهم بين الرجلين هو الذي أدى الى بداية تحقيق المشروع اليهودي ، وهذا المشروع أو هذه الفكرة التي راودت اليهود في القرن الرابع الهجري وأهم من كان يفكر في ظهور دولة يهودية تجمع اليهود حسداي بن شبروط (137) . ومن المواقف الاخرى أن المدينة تحتوي على قصبة حصينة ومهيمنة (138) وهي ذات مركز تجاري ممتاز كمينا يربط بين المغرب والمشرق فالمراتب تصل اليها من المشرق ومن الاسكندرية (139) .

(135) — الامير عبد الله ، التبيان ، ص 53 .

(136) — اسماعيل الحربي ، دولة بتي زبيبي ، ص 129 .

(137) — أنظر : Graetz, les Juifs d'Espagne, p.95.

(138) — الزمعي ، كتاب الجغرافيا ، ص 206 .

(139) — نفسه ، ص 206 .

ان الامارة تقوم على أسس متينة كالادارة والاقتصاد والجيش
فهل فكر ابن النخيلة في كل هذه المسائل لانجاح مشروعه ، أم عمل أولاً ففسي
الحصول على المدينة ، وإعلان نفسه أميراً ، ثم تتحرك الجموع اليهودية لمساندة
هذه الامارة ؟

ان الاجابة صعبة للغاية ، لان الشواهد التاريخية مفقودة
لدينا في الوقت الحالي . فما جاء به ابن عذابي غير كاف للاجابة على هذا السؤال
أما المصادر والمراجع التي تناولت لتاريخ المغرب الاسلامي لم تعط الاهمية اللازمة
لهذه المسألة . ولعل المصادر العبرية كقيلة بالاجابة عليها ، أما المراجع
التي أمكن الاطلاع عليها فلا تتحدث على مشروع يوسف بن النخيلة ، ولا تشير اليه
تماماً .

(5) - علاقة يهود المغرب بيهود العالم :

لما فتح المسلمون المغرب ، ابتهج اليهود بقدرتهم ، خاصة
الجاليات الموجودة بالاندلس التي رحبت بالفاتحين ، فاستعانوا بهم في حراسة
المدن المفتوحة (140) . وبعد اتمام عملية الفتح بدأ اليهود يتقاضيون
من كثير من المناطق على المغرب لتسامح المسلمين ، حيث تركوا لليهود حرية
ممارسة ديانتهم ، والقيام بالاعمال التجارية ، والمشاركة في الحركة الاقتصادية . فأصبح
المغرب منطقة جذب لليهود . فكبرت جاليتهم في المدن المغربية كالقيروان ، وتلمسان ،
وفاس ، وسجلماسة ، وغرناطة ، وجيان ، واليسانة ، وغيرها من المدن . وما
أن أشرف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، حتى أصبحت منطقة
المغرب تضم أكبر جالية يهودية في العالم . لقد وفر المسلمون لليهود الراحة
بفضل التسامح الديني الذي لم يحرقه اليهود من قبل ، الا في فترات قليلة . ففي
دار الاسلام كانوا يعتبرون كرعاء ضمن المجتمع الاسلامي ، اهتم قانونهم الخاص
واعترف لهم بما منع على المسلمين شريعة اعتراف دانتهم بذلك (141) وتهيأ لهم
الجو للعيش في ظل حضارة راقية (142) .

ولكن تواجدهم بالمغرب ، والمشاركة في حركة المجتمع الاسلامي
في جميع الميادين ، لم يمنحهم من قطع صلتهم ليهود العالم . فمدرسة
القيروان اليهودية كانت على علاقة وطيدة بمثيلتها في العراق (143) .

(140) - مجهول ، أخبار مجموعة ، ص 22 ، 25 ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج 1 ، ص 101 .

(141) - أنظر : Louis Gauthier, la Cité Musulmane, vie sociale et Politique

Paris, librairie Philosophique, j. vrin , 1976, P 87.

(142) - أنظر : Zafran, Pédagogie juive , P 16.

(143) - أنظر : Slouschz , Etude sur l'histoire des juifs , P 59, 61.

وكانت أول أسفار العلماء في نهاية القرن الرابع الهجري / الماشر الميلادي رسالة
عزراة الشافعي والتلمود بطالب من جالية القيروان ، ونعشها الى يعقوب بن نعيم (140)
المستقر بهذه المدينة . والوثائق العبرية تبين العلاقات المستمرة بين يهود
قاعدة الحرقية ويهود المشرق (141) .

وحيثما ظهرت مدرسة قرطبة عمل حسداي بن شبروط على جلب
العلماء من المشرق لتصبح القطب الذي يجذب اليه كل يهود المغرب والمشرق
(142) وقد كان لحسداي علاقات مع يهود اسبانيا ، والمشرق ، وإيطاليا البيزنطية
وتولوز ، ومملكة الجوز (143) اليهودية التي بعث ابن شبروط رسالة الى ملكها
يقدم فيها التماس ويشرح فيها ما بذله سفراؤه من جهود للوصول الى تلك البلاد
البعيدة (144) .

ولم يقتصر الابتهاج بقيام هذه الدولة اليهودية على ابن شبروط
بل امتداه الى يهود الاندلس بصورة عامة الذين مللوا لقيامها ، اذ ألف يهودا
بن يوسف كتاب " الحجة والدليل في بصرة الدين الدليل " ابتهاجا لظهور دولة
التي هي وكسداي ابن طيوس الذي ألف كتاب " سفرها غور " (145) . ان هذه
الامثال تبين مدى اهتمام يهود المغرب الاسلامي بما يجري في مجتمعات يهودية
بعيدة ، وهو ما يدل على العلاقات بين اليهود في اقاصي الدنيا .
ولما أرسى ابن شبروط قواعد مدرسة قرطبة كافأه يهود المغرب
والمشرق لخدمته الدراسات اليهودية التي تهدف الى ربط الجاليات اليهودية
بالمشرق والمغرب بلقب " بريش كلاه " والتي تعني " رأس العرش " وصولا لقب
لا يقل أهمية عن اللقب الذي ينعت به رئيس مدرسة الدراسات اليهودية بالعراق
(146) .

وقد قصدته الشعراء اليهود من جميع أنحاء الاندلس ومن المشرق
لخدمته والاعتراف بفضله (147) وهو الذي ما فتى يحمل على دعم علاقات اليهود
في المشرق والمغرب وتمهيد السبل لاستمرارها .

Chouraqui, marche, P.69 et note n°2.

140 - أنظر :

Slouschz, Etude, p.59.

141 - أنظر :

142 - محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 24 .

Encyclopédie de l'Islam, T.III, p.266.

143 - أنظر :

Graetz, les juifs, p.99.

144 - الريدافي ، دراسات ، ص 70 ، وأنظر :

145 - الريدافي ، دراسات ، ص 70 .

146 - محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الاندلس ، ص 24 .

147 - لشافعي ، ص 24 .

وتوضح وثائق الجنيزة مدى متانة العلاقات التي تربط - يهود
مداققة البحر المتوسط، فهناك الآلاف من الرسائل التي جاءت إلى مصر من تونس
والإسبانيا، وبيت المقدس، ودمشق وحلب (146).

فستخلص من تواجدها في مكان واحد على أهمية الروابط
التي تربط الجاليات اليهودية ببعضها من الناحية الدينية لفرض نفوذهم السياسي
لان ((قمة الايمان عند عم كانت تقاس بمدى نفوذهم ككتلة سياسية)) (149).
وقد أوضح الأستاذ جواتيان بن عقيلة اليهود الدينية التي
تتعداها إلى معاملات اليهود فيما بينهم ((... فان الناس ادعوا بأن الشخص
الذي يؤدي واجباته بحق الله من الممكن ان يوثق به في تعاملاته مع بني
جنسه)) (150).

والرسائل المحفوظة في جنيزة القاعرة لم ترد من المغرب، أو من
خوخي البحر المتوسط، بل هناك الكثير من الرسائل التي جاءت من اليمن، والمند،
ومن أوروبا الغربية المسيحية (151) وهو ما يبين الارتباط الروحي، والمادي
لل يهود في العالم خلال مرحلة العصور الوسطى.

وتحتوي وثائق الجنيزة على معلومات تاريخية وسياسية وعسكرية
للدول الصاعدة منها ((وهناك في الجنيزة اشارات وتلميحات كثيرة للسياسة
مسؤولين مسلمين كبار وشخصيات هامة من كل بلاد العالم الاسلامي، من اسبانيا
الى سوريا ومن صقلية حتى اليمن)) (152)، فهذه المعلومات الاخبارية تكشف عن
الدور الذي كان يقوم به اليهود في مجمل العالم الاسلامي لتبادل المعلومات
حول المجتمعات التي يعيشون فيها وهو ما يؤكد الترابط الدائم والمستمر
للجاليات اليهودية.

وعلى الرغم من البعد الجغرافي فان يهود الاندلس قد
ربطهم علاقات بيهود خراسان فقد جاء في وثائق الجنيزة - رسالة توصية
كتبها سليمان بن جودة رئيس أكاديمية اليهود بالقدس ما يلي: ((حامل هذا
الخطاب يهودي من خراسان، أوصاني به كثير من اصدقائي في اشبيلية،

(148) - جواتيان، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص 151.

(149) - الريداوي، دراسات، ص 69.

(150) - جواتيان، دراسات، ص 154.

(151) - نفسه، ص 193.

(152) - نفسه، ص 199.

ومسوا الان سائر الى القاهرة أرجو أن توليه اهتمامك (((153). فهذا الخطاب على اقتضائه — لان الرسالة لم تنشر كاملة — تلمس منها علاقات اليهود بالاندلس مع يهود خراسان ، والصداقة الحميمة بين سكان يهود من اشبيلية ورئيس أكاديمية القدس . وهذا أحد المؤرخين اليهود يتحدث عن وسطاء التجارة اليهود بالاندلس وعلاقاتهم بزملائهم في موطن أخرى بعيدة (154) وهذه العلاقة هي التي جعلهم يرتادونها بصورة مستمرة . ولما سافر يهودا هاليقي الى المشرق استقبل في القاهرية (155) وفي صور ومشرق (156) استقبالا حسنا من طرف الجاليات اليهودية التي كانت دون شك تحرف قيمته الروحية والادبية . والسام الثقافي يوضح أيضا دور علاقات اليهود فيما بينهم ، فقد انتشر قاموس اللغة العبرية الذي ألفه مناحم بن سروق في الاندلس — بسرعة في فرنسا وإيطاليا حيث عوض قاموس سيفيداليا الفيومي الذي كان الدليل الوحيد للدراسات الدينية (157) . وهذا الانتشار الواسع والسريع يعطينا صورة عن علاقات يهود الاندلس بيهود البلدان المسيحية في أوروبا . ولم تكن مدينة القيروان ، المدينة الوحيدة التي لها علاقات مع الشرق ، فكثيرا من المدن الاخرى كانت لها علاقات مع الشرق الاسلامي كتلمسان (158) وفاس (159) وسجلماسة فمن هذه المدينة بحث رجال الدين اليهود يدهون من مدرسة الصراق فتوى حول تحريم أكل أنواع من الجراد (160) .

(153) — نفسه ، ص 214 .

H.Graetz, les juifs d'Espagne, p.73.

(154) — أنظر :

Ibid, p.236.

(155) — أنظر :

Ibid, p.240.

(156) — أنظر :

Ibid, p.112.

(157) — أنظر :

N.Slouschz, étude, p.77 at 99.

(158) — أنظر :

Ibid, p.77.

(159) — أنظر :

Ibid, p.99, note n°1.

(160) — أنظر :

ومما لا شك فيه أن الأعمال التجارية ، التي كان يقوم بها اليهود سواء في حوض البحر المتوسط ، أو أوروبا أو آسيا ، قد ساعدت الجاليات اليهودية المتفرقة عبر أقطار العالم ، بربط علاقات متينة فيما بينها ، إذ كانت عن طريق رحلات أفرادها ، تطلع ، وتتصرف على كل ما يحدث لهي دينهم في كل المناطق التي يستقرون بها ، إضافة إلى المعلومات الاقتصادية المتعلقة بالتجارة ، والسلع ، والأسعار ، والأسواق (161) . وهو ما يوثق الترابط الروحي والمادي للجاليات اليهودية . هذا الترابط الذي لم يساعد اليهود كثيرا فسي الارتباط بالأرض التي ولدوا فيها ، أو المناطق التي يحملون بها ، مما جعل هذه الجاليات تشتهر بالانزواء ، والانطواء ، ونتيجة لذلك تتوقع على نفسها ، وتعتقد أنها موضع اضطهاد من الآخرين .

وبصورة عامة فإن اليهود المغرب الاسلامي ، كانوا على علاقة وطيدة مع بقية الجاليات في المشرق (162) وأوروبا وآسيا بدافع ربحي فسي الظاهر ، ولكن المصلحة المادية هي الهدف الاساسي والاسمى لهذه الجاليات ، التي نجد لها في غالب الاحيان تتمركز في مفتقر الطرق التجارية المحلية أو العالمية (163) بهدف الحصول على الربح دون النظر إلى الوازع الاخلاقي ، فالكتب اليهودية الدينية تؤيد هذه الممارسة .

وخير من وصف حضارة اليهود كارل ماركس فيرى بأنها حضارة السوق أو عقيدة التاجر (164) . ومن أهم من فهم اليهود الاستاذ : برنر حينما كتب : ((ولكن لا ينكر أن شهرتهم ونجاحهم كتجار دوليين سببها ان اليهود عاشوا في جميع أقطار العالم ، وأن التقام ساد مجتمعاتهم خلال جميع الاقطار من اسبانيا غربا حتى الهند والصين شرقا)) (165) .

161 - تذكر وثائق الجنيوة معلومات في هذا الشأن عن الهند ، راجع : جواتياين ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص 203 - 204 ، موريسس لومبار ، الاسلام ، ص 34 .

162 - أمين توفيق الطيبي ، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال وسائل جليزة القاهرة ، ضمن Actes du III Congrès d'histoire et de la civilisation du Maghreb, Alger, O.P.U, 1981, T.I, p.52.

163 - موريس لومبار ، الاسلام في مجده الاول ، ص 305 - 306 .

164 - الحفني ، الموسوعة النقدية ، ص 5 .

165 - يواكيم برنر ، بابوات من الحي اليهودي ، ص 43 .

ومجمل القول فان اليهود قد تقلدوا وظائف ادارية وسياسية هامة في قمة هرم الدول المغربية كـمال ، وخزائن ، وتراجمة ، وسفراء ، ووزراء ، خاصة هذا المنصب الاخير حيث ارتقى ابن نغريلا الذي صال وجال في دولة بني زيري بغرناطة وكانت له اليد الطولى في شؤون الدولة .

كما تحمل بعض اليهود أعباء السقراطية من بعض الدول الاسلامية المغربية الى نظيراتها المسيحية ، ونخص بالذكر ابراهيم الطرداوشي . ومنهم من رافق ميثاق الجماعة كحسداي بن شمسروط ، وابن سهل الاسرائيلي الذي كان ضمن وفد سبعة قصد مبايعة الامير الحفصي ، وعلى الرغم من هذه المكاة التي احتلها اليهود فسياسي المغرب الاسلامي كرعيا - مواطنين حسب التعبير المعاصر - لهم حقوق وعليهم واجبات تقتضيها طبيعة المجتمعات في العصر الوسيط فانهم شاركوا في مؤامرات ودسائس خبيثة ضد المسلمين ، وصدق مثال ابن نغريلا الذي حاول تفريق وتشيت رجالات البيت الزيري في غرناطة معتمدا على سياسة فرق تسد حتى يفرد بحاليد الحكم ، وهذا في غياب حاكم مسلم قسسيوي الشكيسة ، قادر على السيطرة الفعلية .

وقد حاول اليهود في الاندلس اقامت دولة يهودية ، قاعدتها الرئيسية بقرطاجنة مع ابن صمادح ، غير ان القاعدة الشعبية ، افسدت هذا المشروع ، بالثورة بمدينة غرناطة ، واستطاعت قتل الحقل المدبر لهذا المخطط الذي ما زال يحيط به الغموض .

أطعن عن علاقة يهود المغرب الاسلامي بالجاليات الاخرى في العالم ، فهي دائمة عبر الازمنة من جميع النواحي الاقتصادية والروحية ، ووثائق الجليزة اليهودية تؤكد هذه العلاقة التي لم تنقطع .

كانت منطقة المغرب منذ القديم ، منطقة جذب للعناصر الأجنبية ،
والغريباء ، سواء كانت أفراداً أم جماعات ، ومن بين العناصر التي ارتادت الأراضي
المغربية اليهود .

وعلى الرغم من اتفاق أغلبية الكتاب والمؤرخين ، الذين كتبوا عن
المغرب العربي على استقرار العنصر اليهودي منذ العهد الفينيقي بهذه الديار ،
فإن الشواهد الأثرية لا تؤكد هذه الحقيقة بصورة قطعية ، وأن دل ذلك على
شيء ، فالما يدل على قلتهم في أهم المراكز العمرانية كقرطاجنة . فإن كانت
الآثار لا تسمح بتكوين فكرة متكاملة على الوجود اليهودي في المنطقة الشمالية
من المغرب . فإن المصادر التاريخية القديمة تتحدث عن استقرار جاليات يهودية
في منطقة برقة التي تحولت من أهم مناطق تجمعهم .

وفي العهد الروماني ، بدأت الهجرة اليهودية إلى المغرب العربي
تتضح أكثر فأكثر ، وهذا على الرغم من التصادم الديني والسياسي بين اليهود
والرومان . والآثار تؤكد وجود تجمعات يهودية كثيرة ، وهذا نتيجة للتطورات
الاقتصادية ، إذ أصبح البحر المتوسط وسيلة ربط واتصال بين مختلف أقطاره .

ولما بدأت الفتوحات الإسلامية في المغرب ، رافقتها هجرة يهودية ،
مما أدى إلى ظهور العديد من الجاليات في كثير من الحواضر المغربية ،
وحتى في الريف ، وهذه الحقيقة التاريخية تغد مزامم المؤرخين الغربيين
من ذوي النزعة الصهيونية ، الذين يقولون بانتشار الديانة اليهودية في المجتمع
المغربي ، إذ يذكرون كأحسن مثال لهذا الانتشار قبيلة جراوة في الأواص وزعيماتها
الكاهنة . غير أن المصادر التاريخية الإسلامية لا تتحدث عن وجود يهودي قبل
الفتح ، ولا حتى بعده ، ما عدا الجاليات التي تواجدت في الأندلس والتي
تحدثت عنها هذه المصادر بكل وضوح .

والذين يزعمون طرح فكرة الوجود اليهودي ، يعتمدون على نص
عبد الرحمن بن خلدون الذي يقول : ((وكذلك ربما كان بعض هؤلاء اليهود أسوا
بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل)) فهذا القول اعتمدوا عليه
كما هو دون مناقشة تذكر ، وما زاد في تحقير هذه المسألة

الترجمة الناقصة والغير دقيقة التي قام بها البارون دوسلان لتاريخ ابن خلدون .

والشواهد التاريخية تؤكد تنصر جزء من سكان المغرب إضافة الى كل هذا . ان اليهود معروف عليهم عدم نشر ديانتهم ، حتى تبقى مقتنعة عليهم . وهي الديانة الوحيدة التي لم تقم بمثل هذا العمل خلافا للمسيحية والاسلام . وبالتالي فهم اليهود الوحيد الحافظ على ديانتهم . والدراسات الحديثة التي تتحدث عن الكاهنة ، لا تقرب يهوديتها ، اذ ترفض المعطيات والبراهين والحجج المعتمدة من طوف القدماء والمحدثين على حد سواء لانها تجانب الحقائق التاريخية والدينية واللغوية .

وأما عن دولة برغواطية ، التي كثر الحديث عنها في المصادر الاسلامية وغيرها ، حيث تبرز عقيدتها الفاسدة ، وتؤكد على النسب اليهودي لمؤسسها الاول . الا ان هذا الزعم يحتاج الى أدلة قاطعة فلا يمكن من خلال الاسقاطات - مثلما فعل شلوش - للقول بيهودية هذه الدولة . ولا يستبعد ان يكون الصراع السياسي كان له تأثير في نسج مثل هذه الرواية . فهي أول دولة ظهرت بالمغرب الاسلامي في خضم الثورات التي كان يقوم بها المغاربة خلال القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي .

وفي القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد ظهرت الدولة الفاطمية بالمغرب . وكان الكتائبون أهم من شد أزرها ، ونصرها . فاستقرت بأفريقية . وواجهت هي الاخرى مسألة تتعلق بالنسب اليهودي على فرا ر دولة برغواطية . وقد شددت هذه القضية أكثر من باحث . ويبدو أن التلغيق التاريخي الناجم عن الصراعات السياسية والمذهبية كان له دور هام في طرح هذه المسألة . غير أنها بدأت تأخذ منحى آخر بمرور الزمن ، بعد أن خمد الفوران السياسي والمذهبي . فعلى بعض المستشرقين اليهود كلويس برنارد . (LOUIS BERNARD) رفض الاطروحة المضادة القائلة بالنسب اليهودي للفاطمين .

الختام

فظلاً هوة الأحياء هذه... تمس المسلمين أنفسهم ، إذ نجد العدن مقسمة الى أحياء ، كحي الفهرين ، وحي المغلوبة ، وغيرهم .

وعندما يتحدث المستشرقون عن الأحياء الخاصة باليهود لتجسدة العنصرية ، لا يتحدثون عن العنصرية التي ينتهجها اليهود اتجاه الآخرين ، إذ يحتفرون أنفسهم شعب الله المختار ، وكيف أن شريعتهم تتيح لهم استغلال الآخرين ، وهو ما جلب اليهم الكثير من المآسي والصعوبات .

وأما عن اللباس ، فأحياناً يفرض الفقهاء والحكام لباساً معينة على اليهود ، ولكن ليس بصورة دائمة ، وإنما نتيجة لطوارئ تطارأ على المجتمع أو تفشي ظاهرة معينة ، وعلى الخصوص فمسألة اللباس موجودة تقريباً في كل المجتمعات لأنه يبرز طبقة معينة بالمجتمع في الصور الوسطى ، وقد تواجدت هذه الظاهرة في أوروبا الى عهد قريب .

وقد كان لليهود أعيادهم الخاصة التي يحتفلون بها ، دون مضايقة تذكر . ومن خلال بعض الشذرات ، فإن هذه المواسم يتخللها تبادل هدايا بينهم وبين المسلمين ، ولكنها ما زالت تحتاج الى دراسة أعمق لمعرفة مدى التأثير والتأثر .

والجاليات منظمة تنظيمياً اجتماعياً ودينياً ، ففي رأس الهرم يوجد الجسانون أو الناجسد أو الرئيس أو شيخ اليهود ، فهو المشرف على الجالية ، ويحمل على السهر على مصالحها الاجتماعية والاقتصادية ، وهو حلقة الوصل بينها وبين السلطات الإسلامية التي يعيشون في كنفها .

والتعامل مع اليهود في المغرب الإسلامي عملياً مباح في إطار الشرع الإسلامي ، فقد أفتى العلماء المأهولة في هذه المسألة ، وأباحوا التعامل الخالي من المحرمات الشرعية ، والمبادئ التاريخية وصدت لنا مثل هذا التعامل اليومي . وقد يصل أحياناً الى تبادل الزيارات . وهذه الحقائق التاريخية تلغي ما يقره المستشرقون عن اضطهاد اليهود بقوانين عنصرية .

وعلى الرغم من أن اليهود في المغرب الاسلامي عاشوا عيشاً كريماً على العموم ، وهذا باعتراف المصادر ، فإنهم كانوا يناقشون ويكونون الحق على الاسلام والمسلمين ، وأهم مسألة في هذا المجال ، الدخول في الدين الاسلامي ظلماً ففقط ولم تفقد المصادر الاسلامية بالحديث عن هذه الظاهرة ، وإنما المصادر اليهودية كوثائق الجيزة تؤكد هذه الحقيقة والمعلماء اليهود يذكرونها ويباركونها على غرار حبرهم الاكبر موسى بن ميمون .

وفي الميدان الاقتصادي ، شارك اليهود في جميع الانشطة في الحواضر والريف ، وفي التجارة والصناعة والمال دون مضايقة ، ويركز المستشرقون على العبيد في المجتمعات الاسلامية ، ولكنهم لا يتوقعون طويلاً عند تجار العبيد اليهود ، ودورهم في هذه التجارة العالمية ، ولابد انهم لظاهرة الخصاء .

وفي الجانب الثقافي ، كانت لليهود دورهم الثقافية الخاصة من مدارس ومعاهد عليا على غرار ما كان في مدينة القيروان ، وغرناطة ، وقوطبة واليسانة .

ان احتكاكهم بالمسلمين ، وعيشهم في كنف المجتمع الاسلامي المغربي ، أوجدا الظروف الملائمة لتطويع الثقافة اليهودية واحيائها ، اذ تأثروا بمسائر العلوم الاسلامية من أدبي وفلسفة وفقهاء من حيث المنهج والمحتوى ، وأصبحت منطقة المغرب الاسلامي أعظم مركز ثقافي لليهود .

ولهذا احتدم الجدل الثقافي بين المسلمين واليهود ، وقد برز في الجوانب الفلسفية ، وخاصة الدينية ، اذ حاولوا اظهار باعهم الحضاري . ومن أهم المجادلات الحثيفة ، مناظرة ابن حزم الاندلسي وابن النفيس ، حيث كانت المناظرة بينهما تحتبر قمة الجدل بين المفاربة واليهود ، لما للرجلين من مكانة علمية تزداد في اطلاق كلا منهما على اسرار الديانتين الاسلامية واليهودية .

وكان لليهود دور في نقل الثقافة العربية الاسلامية الى أوروبا ، مما عملوا كقناة لثقافة التراث والمعارف الاسلامية حين تأسست دور الترجمة بهاء ، وأيضاً حين هاجروا من المغرب الاسلامي قصد التوطن خارج أرض الاسلام .

فحملوا معهم المصلوف التي تطلقها أثناء وجودهم بين ظهراني المغاربة .

وبذلك كان اليهود ، القباة التي عبرت منها الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا ، فمن خلالها تحرف الأوروبيون عن ابن رشد وفلسفته العقلية ، وعلى محارف كثيرة وضعت أسس انفتاحهم على العلوم .

وتبوأ اليهود وظائف إدارية وسياسية هامة في نظم السبب دول الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب الإسلامي ، من أهمها خاصة الوزارة التي تقلدها كل من اسماعيل ويوسف بن النخيلة .

وتقلد عدد هام منهم ، مهام ديبلوماسية لحساب الدول الإسلامية المغربية كجسدي بن شبروط ، وإبراهيم بن يعقوب الطوطوشي ، وابن مشعل سفير ابن العباد لدى ملك قشتالة .

ومن دسائس اليهود ، استغلالهم للمناصب الكبيرة ، للقيام بمؤامرات قصود زرع الفتنة ، مثلما فعل كلا من اسماعيل ويوسف بن النخيلة .

كما تواطأوا مع أعداء المسلمين ، حين استيلاء الكابيلور المغرورف بالسيد بلنسية ، فأذاقوا المسلمين العذاب الاليم .

وعلى الرغم من الحرية التي كانوا يتمتعون بها ، تأمروا بإنشاء دولة يهودية في الأندلس غير أن المشروع فشل وهذا ما يؤكد التكرار للمسلمين الذين عاشوا بين ظهرايهم ، وللإسلام الذي استعادوا من ظلمهم .

ولم يمتسح يهود المغرب الإسلامي ، محزولين عن بقية الجاليات اليهودية في العالم ، بل كانت لهم علاقات ودية اقتصادية ودينية ، واجتماعية ، دون أن يتدخل المغاربة لوضع حد نهائي لها . وهو ما يبرز أهمية الحضارة التي يتمتع بها هؤلاء في أرض الإسلام كعطيا لهم حقوق ، وعلمهم واجبات .

وهذا ما يبين التسامح الذي أظهره المسلمون المغاربة تجاه الجاليات اليهودية ، مما يلقي بأطروحة المستشرقين القائلة بسوء حالتهم في ظل قانون أمل الذمة ، إذ يحتضنون أدنى مرتبة من الرعايا المسلمين . فحرية الحمل في جميع المجالات التجارية ، المالية ، الصناعية ، والحصول على مراكز حساسة في جهاز الدول الإسلامية في المغرب خير دليل للرد على كل المغرضين ، الذين يهودون تشويه الواقع التاريخي خدمة لأغراض صهيونية واضحة ، ويهدف إعطاء

فكره خاطئه عن المجتمعات الاسلاميه، التي تحتوي جاليات يهوديه واغمارها في مظلمه الضحيه، لجلب الخطف عليهم، والسخط على المسلمين . وهذه الاستراتيجيه، ما تزال متبعه من طرف الصهاينه الى اليوم . اذ يعتمدون على التزييف لربح الرأي العام وتوجيهه ، لتحقيق أغراضهم الخفيه . فاليهود في المغرب الاسلامي، عاشوا متمتعين بكل الحقوق الممكنه، تحت رايه الاسلام في إطار قانون أهل الذمه الذي يتيح لغير المسلمين العيش في ديار الاسلام كوعايات تتكفل بهم الدوله الاسلاميه، فان تجاوزوا النظام الشرعي ، قلدتهم جزاء المسلم الذي يخرج عن القواعد الشرعيه الاسلاميه، وهو ما لم تحققه الدول المعروفه بالديمقراطيه اليوم ذات النظام القانوني الموحد .

الملاحق

الملحق الاول :ما يميز به أهل الذممة

وسئل الامام أبو عبد الله المازني (1) رحمة الله عن تمييز حالهم بما يظهرون به ويتميزون عن المسلمين وهل يأمرهم القاضي بصيغ أطرافهم؟ ولو لم يفعل القاضي هل لمن قام به من المسلمين من ظاهري حاله الستر والخصون القيام بذلك أم لا ؟

فأجاب كون اليهود يكلفون تمييز أطرافهم أو اتخاذ عليهم يتميزون به ، هذا مما فعل عندنا حديثا وتديما في الأمصار الكبار ، وفيه تفصيل يحاول القول فيه . انتهى .

قيل (2) : فظاهرة أنه عام في الذكور والإناث . وقوله في الأمصار الكبار معناه حيث يكثر اللبس . وأما الصغار أو حيث تكون القرية لهم فظاهركلامه أنه لا يحتاج اليه . والجواب أن لا بد من تمييزهم مطلقا ، إذ لا بد من مخالطتهم المسلمين لانهم بين أظهرهم والله أعلم .
الونشريسي ، المعيار ، ج 2 ، ص 259 .

اليهودي إذا تزنى بنى المسلمين

وسئل بعضهم عن يهودي تشبه بنى المسلمين وأسقط حلته التي يصرف بها .

فأجاب : بأنه يحاقب بالسجن والضرب ، فيطاف به في مواضع اليهود والنصارى ، ردعا لامثاله وتثريدا لهم بسبب ما حل به .
وقد كتب ابن أبي داود (3) الى بعض قضاته أن يلزم اليهود والنصارى أن تكون زنايتهم عريضة في وجه الثوب ، ليحرف بها . فمن ركب النهي بعده ضرب عشرين سوطا ، فجردا ثم صير به الى الحبس ، فان عاد ضروب ضوبا موجعا وبألف فيه وأدليل حبسه .

الونشريسي ، المعيار ، ج 6 ، ص 69 .

(1) - عن ترجمة الامام المازني وعصره ، وتأليفه ، راجع ، أبو عبد الله محمد بن علي ابن عمر المازني ، المعلم بفوائد مسلم ، تقديم وتحقيق الشيخ محمد الشاذلي اليفسر ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1933 ، ج 1 ، مقدمة المحقق ، ص 9 - 155 .

(2) - يتدخل هنا الونشريسي في اجابة الامام المازني ، ويعلق عليها ، موضحا رأيهم في المسألة حيث لا يكتفي بالنقل .

(3) - تأرن ما جاء في هذه الفتوى عند الونشريسي ، المعيار ، ج 6 ، ص 421 ، وعن لباس أهل الذمة عامة واليهود خاصة ، راجع ص 122 من هذا البحث .

الملحق الثاني :حكم معاملته اليهود

وسئل (1) هل تجوز معاملته اليهود بالبيع والشراء
 منهم والاستدانة أولا ؟ فأجاب : إذا اشترى الرجل وباع من اليهود على
 ما يجوز شرعا ولا يحمل معه برنسا ولا بوجه لا يسوغ في الشرع فذلك
 حلال طيب سائغ.

ذمي استظهر على مسلم برسوم وادعى المسلم قضاء ما فيها

وسئل عن رجل من يهود الذمة استظهر على رجل من المسلمين
 بثلاثة رسوم أحدها لتاريخه خمسة عشر عاما ، والرسمان لتاريخهما أحد عشر عاما
 وذكر أنه بقيت لهم من كل واحد منها بقية وطلبه بها فأدعى المسلم المذكور
 أنه خلصه من الرسوم المذكورة فبينوا لنا هل يكون القول قول الغريم فيحلف
 أنه خلصه من مضمّن الرسوم وبيناً لطول المدة أولا يلتفت إلى قوله ألا بينة ؟
 والله يديم عافيتكم .

فأجاب : من عادة اليهود لصنهم الله استحلال أموال المسلمين
 وذلك عادة فيهم حتى ذكرتها الله عنهم (2) ، والعادة أن أحدا لا يترك ما له
 عند غيره مدة طويلة فكيف بكافر مع مسلم ، وقد قال الفقهاء أن من عسرف
 بالتمدي والظلم فيغلب الحكم في حقه ، فمن ادعى على من هذه حاله فيحلف
 هذا الدالب ويستحق ما طالب والعكس في هذه فذلك يقضي في قضية اليهود
 أن يحلف المسلم أنه خلصه من ذلك الحق فإذا حلف سقط حق اليهودي .

الوشريسي و المعيار ج 5 ، ص 244 - 245 .

- (1) - مواين السراج ، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية ، لمخلف ص 248 .
- (2) - عن اليهود في القرآن الكريم راجع ، محمد عزة دروزة ، اليهود في القرآن
 الكريم ، بيروت ، دمشق ، المكتب الإسلامي ، 1980 ، عفيف عبد الفتاح طيارة ،
 اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1982 ،
 محمود سيد طنطاوي ، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، القاهرة ، الزمراء
 للإعلام العربي ، ط 1 ، 1987 ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الشخصية
 اليهودية من خلال القرآن ، الجزائر ، شركة الشهاب ، ط 1 ، 1987 ،
 محمود بن الشريف ، الشعب الملعون في القرآن ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ،
 دون تاريخ .

كيف يخاطب الجزار اليهودي ؟

- وسئل القاسمي (1) عن رجل بجواره يهودي قد ربي معهم ، فربما جاءوه في حاجة ، أو غرضت له النهم حاجة ، وربما مشى في طريق ملاصقة لهم ، فيجني بينهم حديثاً وابتسام ، وكلام لين ، وهذا الرجل يقول :
الله عالم بيهضي لليهود ولكن طبعي لين : أتراه من هذا في حرج أم لا ؟ وما يرد عليه إذا سلموا عليه ، أفتنا رحمك الله .
- فأجاب : ان كنت تسأل لنفسك فلا تخالط من على خلاف دينك ، فهو أسلم لك . ولما جارك من أهل الذمة ، فيستقضيك حاجة لا مأثم فيها ، فتقضيهما له فلا بأس . أما لين قولك له ان خاطبك فان لم يكن فيه تعظيم له ولا تشريف ، ولا ما يغيظه في دينه ، فلا بأس اذا ابتلت به ، وأما ان سلم عليك فالرد عليه أن يقول : وعليك ، ولا تردد (2) . وأما سؤالك عن حاله وحال من عنده ، فمالك فيه فائدة ، وما عليك منه ان أنت لم تكثر ولم تفرط فيه ، ولكن بقدر ما يدعو اليه حق الجوار والله يعلم المفسد من المصلح ، والله ولي التوفيق .
- الونشريسي ، المصيار ، ج 11 ، ص 300 — 301 .

(1) — راجع ترجمته لسدي ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج 3 ، ص 320 — 322 .

(2) — لا يخرج القاسمي في هذه المسألة عن آداب السلام الاسلامية ، اذ جاء عند النووي () وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : عليكم () ، راجع رياض الصالحين ، ص 290 ، راجع أيضاً ، ابن مسلم ، الجامع الصحيح ، ج 7 ، ص 3 — 4 — 5 .

الملحق الرابع:سكنى يهودي في درب المسلمين

وسئل (1) عن يهودي اشترى داراً من مسلم في درب ليس فيه
 الا مسلمون من أهل العافية والخير فسكن اليهودي الدار وأذى الجيران
 بشرب الخمر وفعل ما لا يجوز وللدرب بئر بازاء هذه الدار فصار يملأ معهم بدلوه
 وحبله وقلته فامتنع أهل الدرب من الاغتلاء منها هل يجوز ابقاؤه أم تباع
 عليه ؟ واذا بقي هل يملأ معهم أم لا ؟
 فأجاب : يمنع من أذاهم بما وصف من شرب الخمر وفعل
 ما لا يجوز فان انتهى والا أكرمت عليه وأما الاستسقاء من البئر فخفيف.

الوشريسي ، المعيار ج 3 ، ص 437 .

-
- (1) - السيوي : هو أبو القاسم عبد الخالق ابن عبد الوارث التميمي ، راجع
 ترجمته معالم الايمان في معرفة أهل القبروان ، للدباغ ، ج 3 ، ص 131 -
 134 ، راجع عن سكن أهل الذمة في بلاد الاسلام ، ابن قيم الجوزية ،
 أحكام أهل الذمة ، ج 2 ، ص 705 وما بعدها .

الملحق الخامس:المدرسة التقليدية اليهودية في المغرب الاسلامي

تعد المدرسة التقليدية اليهودية التي ظلت قائمة الى وقت قريب في المغرب الاسلامي صورة المدارس الاصلية التي تمتد جذورها الى بداية استقرار اليهود بالمغرب العربي أو على الأقل منذ الفتح الاسلامي .
ومما كذلك ، فان التربية تملي في أغلب الاحيان تكيف الفرد اجتماعيا ، وادماجه في الجماعة ، بل ويمكن القول عموما أن الوسط المرتبط بهذه الدراسة ، لا يملك تصورا واعيا للعصرية ، بل ان احترام التقاليد هو الذي يتحكم في حياة الدائفة ، ويتربى الطفل بالمشاهدة والمثال والاوامر والنواهي ، ان اكتساب التقاليد ، والتكيف مع الاعراف والعادات ، والتشبع بالمعتقدات والشعائر ، وأخيرا ادماج البالغين في الجماعة بواسطة احتفالات التأهيل اضافة الى المساهمة في العبادة ، كل هذا يشكل له من شأنه أن يجعل من الفرد عضوا في الجماعة ، وشخصا له عقلية جماعية ، وشعور عميق بالانتماء الى جماعة ، وأساس قوي بالتماسك وتضامن فعال مع أعضائها .

الزغفراني ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب
ص 59 .

اليهود في سجل ماسا ودرعة

ومن نافلة القول أن نذكر ما كان من مدارس عليها (يشقوت) أشرف عليها اعلام اشتهروا في العالم اليهودي ، في فاس وسلا وسجل ماسا ودرعة وغيرها ، في عصر الاندلس الذهبي عندما كانت الاندلس والمغرب يكونان بلداً واحداً . وقد عاشت بسجل ماسا التي أسسها بنو واصل في القرن 9 دلائل يهودية كبرى ، وكانت هذه المدينة مشهورة بتجاريتها مع البلدان ساحل النهر ووسط افريقيا ، ومع مصر والهند . وكان لليهود بها النصيب الاوفر في المبادلات والتبادل التجاري وكان أخبارها على اتصال دائم مع اخوانهم بالقيروان وبغداد . وكان ((يشقوت)) صموئيل بن علي ببغداد ، دلالب من سجل ماسا . كما كان الربيعي سلمون بن يهودا كرون الفاسي ، رأس ((يشقوت)) بفلسطين ما بين 1025 و 1051 .

وكان يوجد بوادي درعة سلسلة من القرى ، كانت تسكنها مجموعات يهودية عامة منذ تاريخ داوود . وكتب أحد عم من مدينة درعة ويدعى دوناش ، الرب الفاسي اسحق الفاسي يستفتيه في أمور شرعية . كما أفاد ابن ميمون في ((رسالته الى يهود اليمن)) بمعلومات عن موسى الدرعي المبشر المشهور بالمخلص المسيح ، وعن أخبار أسماء أعيان درعيين استقروا بالفسطاط بمصر .

الزعفراني ، الفسنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص 11 - 12 .

الملحق السابع:اليهود في دار الاسلام

لقد عرف يهود دار الاسلام وضع الذمة الذي فرضه الاسلام، وهو وضع دولي مؤقت في غالب الاحيان، ولكنه على أي حال، وضع قانوني متسامح (استقلال قانوني وادابي وثقافي كامل) اذا ما قورن بالذي عرفه يهود البلدان المسيحية الاشكناز. وقد سمحت، من جهة أخرى، حضارة العصر الوسيط العلمانية * في الشرق والمغرب الاسلامي، لاهل الذمة (يهودا ومسيحيين) بأن يحسوا بأنهم وريثة تقليد ثقافي عظيم ومحترم، كما كانت اللغة العربية الفالفة على خلاف اللاتينية لغة الكنيسة سواء في روما أو الشرق، أقل ارتباطا بالدين، فاستعملوها باستمرار ودون تحفظ، في دراسة نصوصهم المقدسة بعدما كانوا يستعملون لغة تخاطبهم القديمة الارامية التي حصروها منذ ذلك، في النصوص التلمودية (القبالة)، متخذين اللغة الجديدة، لغة حضارة وثقافة العالم العربي الاسلامي .

حاييم الزعفراني ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ،
تاريخ ثقافة ، دين ، ترجمة أحمد شعلان وعبد الفتحي
أبو المزم ، الدار البيضاء ، مطبعة دار قوطهمسة ،
1987 ، ص 12 .

الملحق الثامن :اليهود في الاندلس

لقد عرفت اذا ، اليهودية الاندلسية في مجموعها حياً
 أكثر رخاء وأكثر اطمئناناً ، كما لم تصرفها في مكان آخر ، ونظراً للوضع القانوني
 المتسامح فإن يهود الاندلس لعبوا دوراً أساسياً في الحياة الاقتصادية
 المزدهرة في البلاد كما كان لهم دورهم في الشؤون العامة . ويرجع الفضل اليهم
 في جزئ لا يستهان به من الازدهار الشامل ، ولقد تركت لهم سعة اليد فراغاً
 للدرس وليلغوا درجة عليا في الثقافة الشاملة المتمثلة في تلك اليهود ، فسي
 العلوم والآداب العربية الاندلسية التي ملكوها فأثروا تأثيراً كبيراً في تطويع الفكر
 اليهودي ، وأنماط تعبيره المختلفة ، مما ساهم في اغناء هذا الفكر .

حاييم الزعفراني ، الفسنة من حياة اليهود بالمغرب
 تاريخ ثقافة دين ،
 ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني ابوالمزم ،
 الدار البيضاء ، مطبعة دار قرطبة ، 1957 ، ص 13

تأثر الشعر العربي بالشعر العبري

كان للثقافة العربية أثراً فعالاً في العصور الوسطى في تنمية اللغة العبرية والمحافظة عليها من الانقراض. وقد دأب علماء اليهود الذين عاشوا في الاقطار الاسلامية من تأليف الكتب اللغوية على غرار المؤلفات العربية في قواعد اللغة من صرف وبلاغة وعروض. حتى لقد قرض الشعراء اليهود لا سيما الاندلسيون منهم ، الشعر العربي وفقاً للبحر الشعري المألوف في اللغة العربية. وتناولت فنون الشعر العربي ، في ذلك الحين ، جميع الأغراض المصروفة في الشعر العربي من مدح ، وهجاء ، ورثاء ، وحكمة ، ووصف ، وغزل ، حتى لقد حاكى الشعراء اليهود الشعراء العرب في النظم العلمي التعليمي ، وفي نظم الاحاجي والالغاز .

الدكتور، يحيى كمال ، دروس اللغة العبرية
بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،
1973 ، ص 46 .

الملحق العاشر:تأثر الفقه اليهودي بالفقه الاسلامي

وقد كان للفقه المالكي وخاصة بالمغرب والاندلس تأثير بالغ لا على القانون الكنسي بل على التلمود والفقه اليهودي منذ القرن العاشر بمدينة فاس وهو العصر الذي انتشر فيه المذيع المالكي بالمغرب بعد فترة ساد خلالها الفقه الحنفي والفقه الشافعي وفقه الاوزاعي . ومن أمثلة ذلك أن أبا سعيد بن يوسف الفيومي المعروف بالحاخام سعديا (94 م) الذي يعتبر واضع الفلسفة اليهودية في الضور الوسطى قد صنف ترجمة عربية للعهد القديم واستكمل قانون الميراث اليهودي مستمينا بالشريعة الاسلامية . وهناك عالم يهودي مغربي هو اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي الذي ولد (عام 404 م / 1013 م) في (قلعة بن احمد) قرب فاس وتوفي بالوسينة بالاندلس عام 497 م / 1113 م له شرح على التلمود في عشرين مجلسا يعتبر لحد الان من أهم كتب التشريع التلمودي كما له ثلاثمائة وعشرون فتوى محبرة كلها بالحرية وهي مقتبسة من الفقه المالكي السائد بالمغرب والاندلس آنذاك وهو الذي أسس بالوسينة قزب غرابطة عام 1039 معهدا للدروس العليا التلمودية والوسينية هذه هي التي آوى اليها في فترة من حياته العلمية الامام بن رشد الحفيد الذي جمع بين الفقه المالكي والفلسفة والطب والتف حوله طلبة يهود اندلسيون .

عبد العزيز بن عبد الله ، محلة الفقه المالكي ، بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، 1963 ، ط 1 ، ص 44 .

الملحق الحادي عشر

القصيدة المنسوبة الى المولى العابد أبي اسحاق
الالبيني التي خاطب فيها بادييس ومحرضا على اليهودي
(1).

الا قل لصنهاجة أجمعين
مقالة ذي مقلة مشقة
لقد زل سيدكم زللة
تخير كاتبه كافرا
فجز اليهود به وانتخوا
وبالوا مناهم وجازوا المدعى
فكم مسلم راحل راحل
ومنا كان ذلك من سمعهم
فهلا اقتدى فيهم بالاولى
وأزلهم حيث يستأجلون
ودأفوا لذيقا بأفواههم
ولم يستخفوا بأفواههم
أبدا من أبيت امر حبان
فكيف تكسب فراخ الزبانية
وكيف استنم النسي فاستن
وقد أنزل الله في وحشهم
فلا تتخذ منهم خاد مالا
فقد ضجت الارض من فسقهم
وكيف انفردت بتفريطهم
على أمك الملك المرتضى
وأن لك سبق بين الوري
وان احتلت بغرباطة
وقد قسموها وأعمالها
وهم يقضون جباياتها
وهم يلبسون رفيع الكسها

بدور الزمان وأسد الحريين
يحد النصيحة زلفى ودين
تقربها أعين الشامتين
ولو شاء كان من المؤمنين
وتأملوا وكاتها من الرذلين
وقد جاز ذلك وما يشعرون
لأرذل قرد من المشركين
ولكن منا يقوم المعين
من القادة الخيرة المتقين
يردم أسفل السافلين
عليهم صغار وذل وعيون
ولم يستطعوا على الضالحين
فكيف يضرك مرمى اليقين
وقد بغضوك النسي العالمين
وعاريتهم وهو يثني القربين
يحذر من ضحكة الفاسقين
وذروهم إلى لجنة اللاعنين
وكادت تميد بها أجمعين
وهم في البلاد من المحدثين
سليل الملوك من الملجدين
كما أنت من جلة السابقين
فكنت أراهم بها عابدين
فمنهم بكل مكان لمعين
وهم يخلصون وهم يقضون
وأنت لا واضعها لا يسعون

(1) - المقصود هو ابن نضريلة الوزير.

وكيف يكون أمينا خـ
 فيقص ويدسون اذا يأكلون
 فما يمدحون وما يندحرون
 فما تسمعون ولا تصصرون
 وأنتم لا طريفهم آكلون
 وأجزي اليهـا نصير الحيون
 ونحسب على بابسه قائمون
 فانا الى ربنا راجعون
 كمالك كنت من الصا دقيـن
 وضع به فهو كيش سميـن
 فقد كنزوا كل عليـن ثمين
 فانتهم أحق بما يجمعـون
 بل اللـدر في تركهـم يشبون
 فكيف تـلام على الناكثـين
 ونحن خمول وهم ظالمون
 كايـا اسأنا وهم يحسـون
 فأنت رمين بما يفعلـون
 فحزب اله هم المفلحون

وهم أمانكم عيسى سركم
 ويأكل غيركم دهمـنا
 وقد نامضوكم السى ركم
 وقد لا بسكوكم باسحارهم
 وهم يذبحون بأسواقنا
 ورخم قسردهم داره
 وصارت حوائجنا عده
 ويضحك منا ومن ديننا
 ولو قلت في ماله أنـه
 فبادر الى ذبحه قريـه
 ولا ترفع الضغط عن رحله
 وفترق عراهم وخذ مالهم
 ولا تحسب قتلهم غدره
 فقد بكتوا عهدنا عندهم
 وكيف تكون لنا مقتـه
 ونحن الاذلة من بينهم
 فلا ترض فينا بأعمالهم
 وراقب الهك في حزمه

ابن الخطيب ، كتاب اعمال الاعلام
 ص 231 ، 233 .

الملحق الثاني عشر:

رسالة من تاجر يهودي بالمرية الى آخر بتلمسان (1)
مقتدافات

قبل أربعة أيام ، تسلمت من تلمسان — مع أبي يعقوب بن
المنة — 100 مثقال ثمننا للنحاس المصقول وكنت أبلغتكم بأنني
تسلمت المائة مثقال المرسلة منكم من فاس وقد طلبت مني أن أشتري بالمبلغ
حريراً والواقع أن سعر الحرير كان منخفضاً ، لذلك اشتريت حريراً بخمسين مثقالاً .
ولكن عندما حان موعد اقلاع المراكب ، وانضح لي أنكم سوف تقضون بقية الصيف
في الأبدل ، أمسكت عن الشراء وتركتم المبلغ ، إلا أنه ما بين يوم الشراء واليوم
فقد المثلث بعض قيمته واليوم البضائع أغلى ثمناً .

الاسعار للوزنة	مثقال
حرير خزاج فقصور
خزاج صنف أول	5 ، الاجود 6 اليوم 4
الخشن جدا	3 — 2
حرير خـ	9 — 3

أما بالهبة للتد الذي يدفع اليوم ثمن الحرير فأنه
لا يسمح بدفع أكثر من الثلث بالعملة المتداولة ، والفرق بين المثلث المتداول
(المرابطي) وبين المثلث الحمودي هو ثمانيني .

النحاس المصقول	3
النحاس المسبوك	7
شمع جيد من فاس	2 للمائة رطل
الفلل	27 — 25 للمائة رطل

وحسب دلكم ، سوف أشتري بثمن التوابل حرير خزاج صافياً
وأود إعلامكم أن ثمن الميروبالان أعلن في السوق بعث نصف رطل بنصف مثقال ،
ثم لا حظت أنكم حددتم الثمن بمثلث ونصف المثلث للرطل ، فتركته ولم أبح سوى
نصف الرطل المذكور .

أما التبريد فثمنه اليوم مثقال واحد للردالين .

(1) — الرسالة مؤرخة 10 أكتوبر 1136 م (29 شوال 532 هـ) وهي من
اسحاق بن بروج التاجر المقيم بمدينة المرية الى ابي سعيد خلفون بن نثيل
بمدينة تلمسان ، راجع الديبني ، جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص 73 — 74 .

رسالة من تاجر يهودي أندلسي الى أبيه (1)

... وصلت الى فاس يوم الجمعة . ولدى وصولنا قابلنا
المخبرون وعرفوا بالضبط عدد الاحمال الخاصة بنا . ثم ذهبوا الى المشرق على
المكوس وأخبروه . وصباح يوم الاحد ، استدعاني واهراميم وقال له : هل أنت
على استعداد لان تقسم بان جميع ما وصل معك ملكك ، وأن هذا الرجل ليست
له حصة فيه . ثم قال لي : هل أنت مستعد لان تقسم بأنه لم يجلب من طرفك
شيء الى هذا المكان ؟ وجرى بيننا حديث طويل ، الا أن من الواضح أنه كان
يخلم أن أحمال خمسة من الجمال وصلت محي . وبعد متاعب جمة اتفق على أن
يأخذ القائد (الوالي) 10 مثاقيل والمشرف 3 مثاقيل ، والمخبرون مثاقيل
والخدم نصف مثقال . وقد مرضت لمدة ثلاثة أيام غيظا وحسرة . ولو أنني كنت
امتلك من الشجاعة هنا ما امتلكه في ألمرية لنجرت بأقل من هذا . ولكنني
واسيت نفسي بمن لا خيار له ، وقلت للنفسى لعل الله يحوضنا عن الخسارة .
ويوم وصولنا كان الريح 3 و 2 واليوم 2 ، 4 . بالله عليك ، لا تسافر - اذا
استدعت - الى الخارج . سوف أقبضوجه بمشيئة الله - الى مدينة
مراكش صحبة أول رفقة مسافة اليها . وسأخبرك عند الضرورة عن الوضع ، وعليه
يمكنك اتخاذ ما ترونه من قرار . وكل غايتي أن أجيبكم مشاق ومتاعب هذه
الاسفار برا ...

وأرغب في افادتكم بأنني نشرت ملابس النصفية ، وأول رداء
وقع في يدي كان قد تلف ببعض الشيء بسبب الماء عند ثيابه . فقدت صوابي
لكن من رحمة الله أن التلف لم يحدث الا لهذا الرداء الواحد . وكان ذلك بسبب
مداول مطر غزير في الطريق . وحتى اليوم ، بعت عشرة أزواج منها ببلغ اجمالي
مقداره 80 دينارا ، بما في ذلك العشرة الرديئة ... والرداء الذي تلف بسبب
الماء .

اشتريت كحلا ممتازا درجة أولى - حوالي 30 قنطار -
والقنطار دينار واحد . اذا رأيت أن أشتي كمية أكبر أخبرني .
دفع لي ثمنها لك أربعة وعشرون دينارا ، ولن أبيع ، اذا
قد أحصل على خمسة وعشرون دينارا . النحاس الرجيف - الرجيف يباع هنا
بتسعة دنانير للقنطار الواحد . السقمونية - المحمودة - تسوى 3 دنانير
للرطل . نقص واذا وصل سحرها في ألمرية هذا الثمن بعها ، والا ارسل
لي النصف واحتفظ بالنصف الباقي .

(1) - الرسالة بتاريخ 1140 م / 535 هـ أو قبيل ذلك من تاجر أندلسي في
مدينة فاس الى أبيه . يافث اللافي بن علافي ألمرية ، راجع ، الطيبي ،
جوانب من الحياة الاقتصادية ، ص 77 - 78 .

كل ما لنا من لك ونصافي موجود في بيت ابراهيم
لائي لم أرغب في أن أترك شيئاً فسمي في البيت . قد أستطيع بيع كسل
النصافي في فاس .
كسره اليهود متفشي في هذه البلاد حتى أن المربة
بالقياس رحمه الله .

مقتطفات من رسالة ثانيئة (1)

... ان قلبي يحترق لاني جمعت ذهبا ولم أجد شخصا

أرسله معه ، ولذلك اضطررت الى ارساله مع دافيد ، وهو أمر لا يسري اطلاقا ... كما سوف أرسل معهم نحاسا بقدر ما أجد .

ولعلمك ، فإن اللك بقي على سحره الاصلي فتسوة قصيرة . ومنذ أن احتل ((الخارجي)) ((يعني عبد المؤمن بن علي)) السوس ساد الركود ((ضرب بروحه الارض)) . وما زال عندي خمسة أعدال ، كما أن بروج لم يتمكن من بيع الكميات التي سلمتها له ، وهذا ما يزعجني أكثر من أي شيء آخر . ان كل اللك معي في حجرتي . ولو أنني لم أكن قلقا على البضائع الاخرى التي سلمتها له ، لما أعطيته شيئا ، لكي لا يقال أن بضاعتي هذه .

سألتني عن سحر البقم . ودال ونصف رطل بمقتال واحد . ذكرت في رسالة سابقة أن صائغا يهوديا هنا ساعدي كثيرا في تحصيل الديون ودفعها . وهو يرغب في الحصول على ميزان ومجموعة أوزان ، وقد سلمني الثمن بالكامل ، وبالأمانة التي رسالتني ، فقد كتبت الى الميزان مباشرة . الرجاء الاهتمام بهذه المسألة .

... الفت انتباهكم الى أن أحنة الشب الصلي

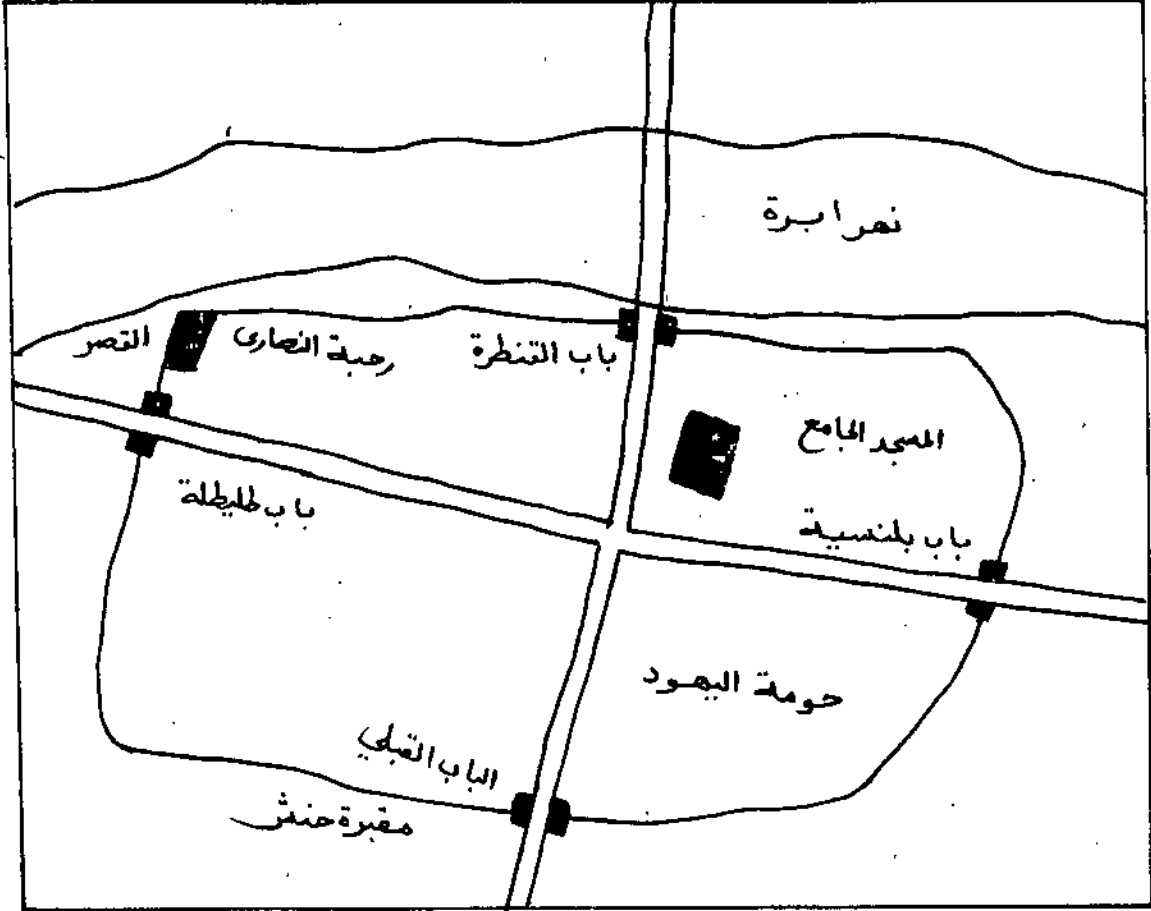
أرسلتها لكم تشتمل على سبعة أعدال من النوع الممتاز جدا كلف القطار منها أكثر من الثمن العادي بمقدار ربع مثقال . أما الكميات الباقية فاصنافها متفاوتة ، الا أن الصفقة كلها كانت بسعر مخفض . وقبل اعلان سعر السوق قبل خروجه ارتفع ثمن القطار بنسبة ربع مثقال . ولك أما ان تبيع كل صنف على حدى ، وأما أن تخلطها معا ، وأنت أدري بالسوق . وبيع كذلك جميع الحاويات ، وكل حاوية تسوى درهمما واحدا . ان اجمالني الشب الخاص بكم هو خمسة وأربعون قنارا ... لو كنت أملك شجاعة لا أرسلت لكم مائة قنار ، لكنني لم أجسرو لانه كان عليه طلب كبيرة .

(1) - حررت الرسالة في مدينة فاس في أواخر شهر ديسمبر 1141 م / 536 هـ

ويرجح أن يكون صاحبها تاجر يهودي أندلسي هو ابن يافث اللافي بن علا ، فالرسالة موجهة اليه في ألمرية كأولى ، راجع الطيبي ، جواب من الحياة الاقتصادية في المغرب ، ص 79 - 80 .

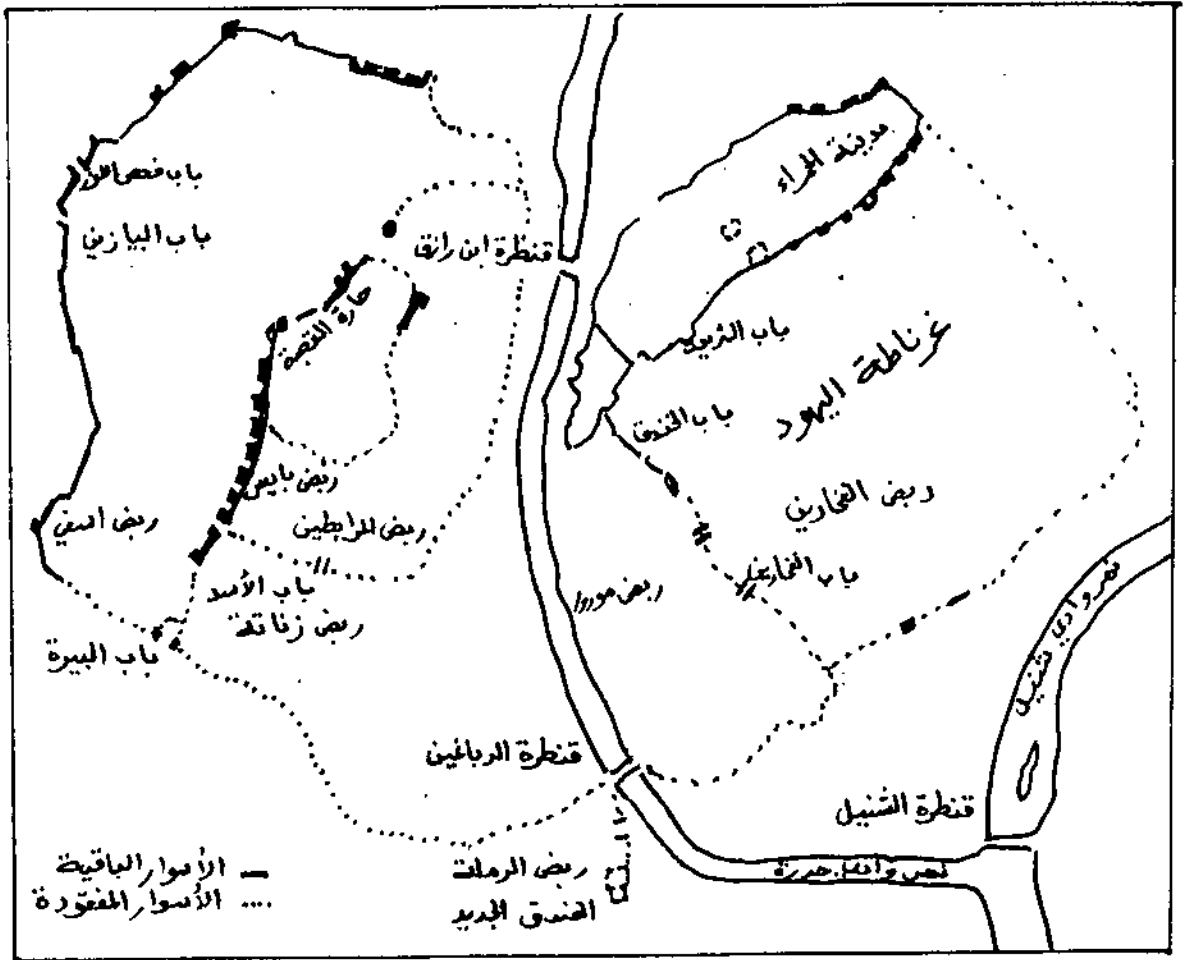
الخزائن

سَرْقِطَة



مدينة سَرْقِطَة الإسلامية

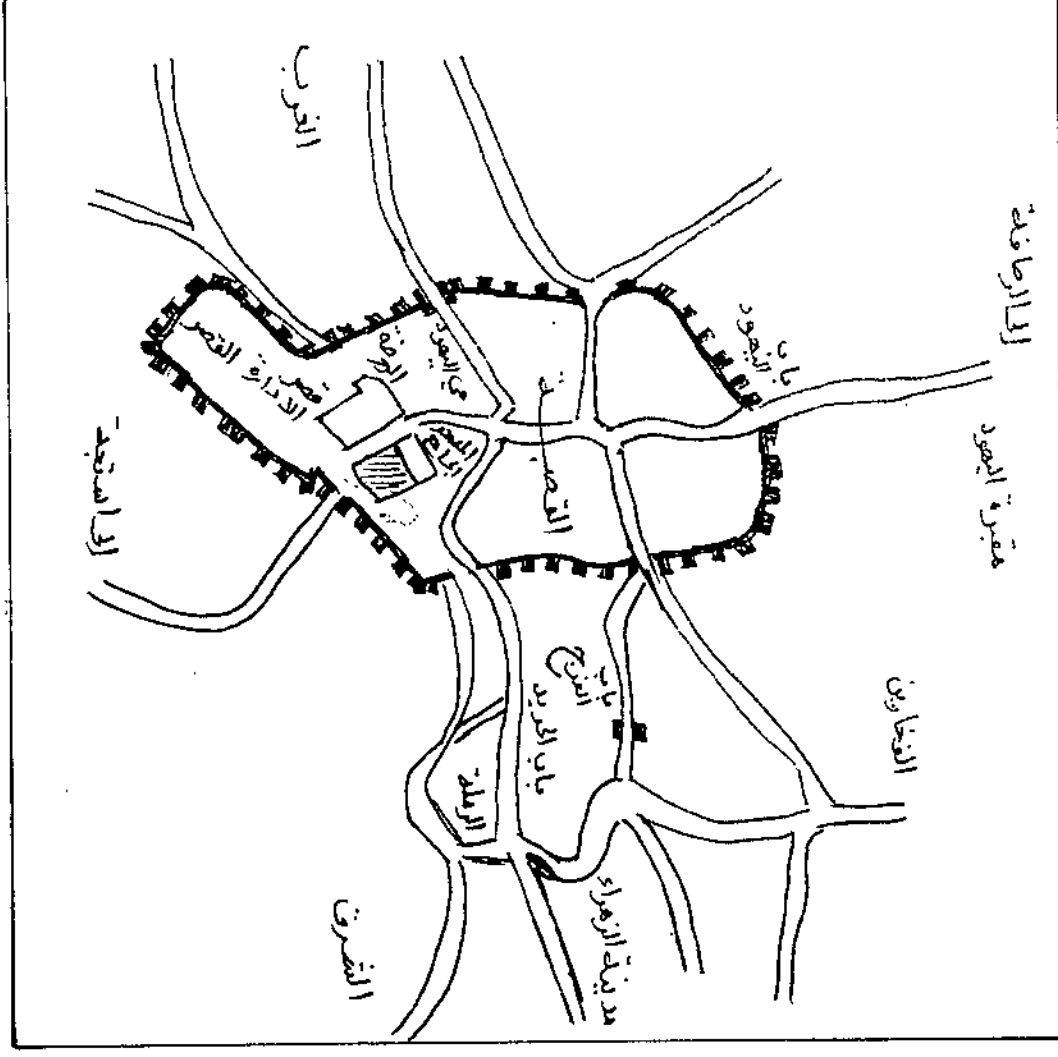
غزناطه



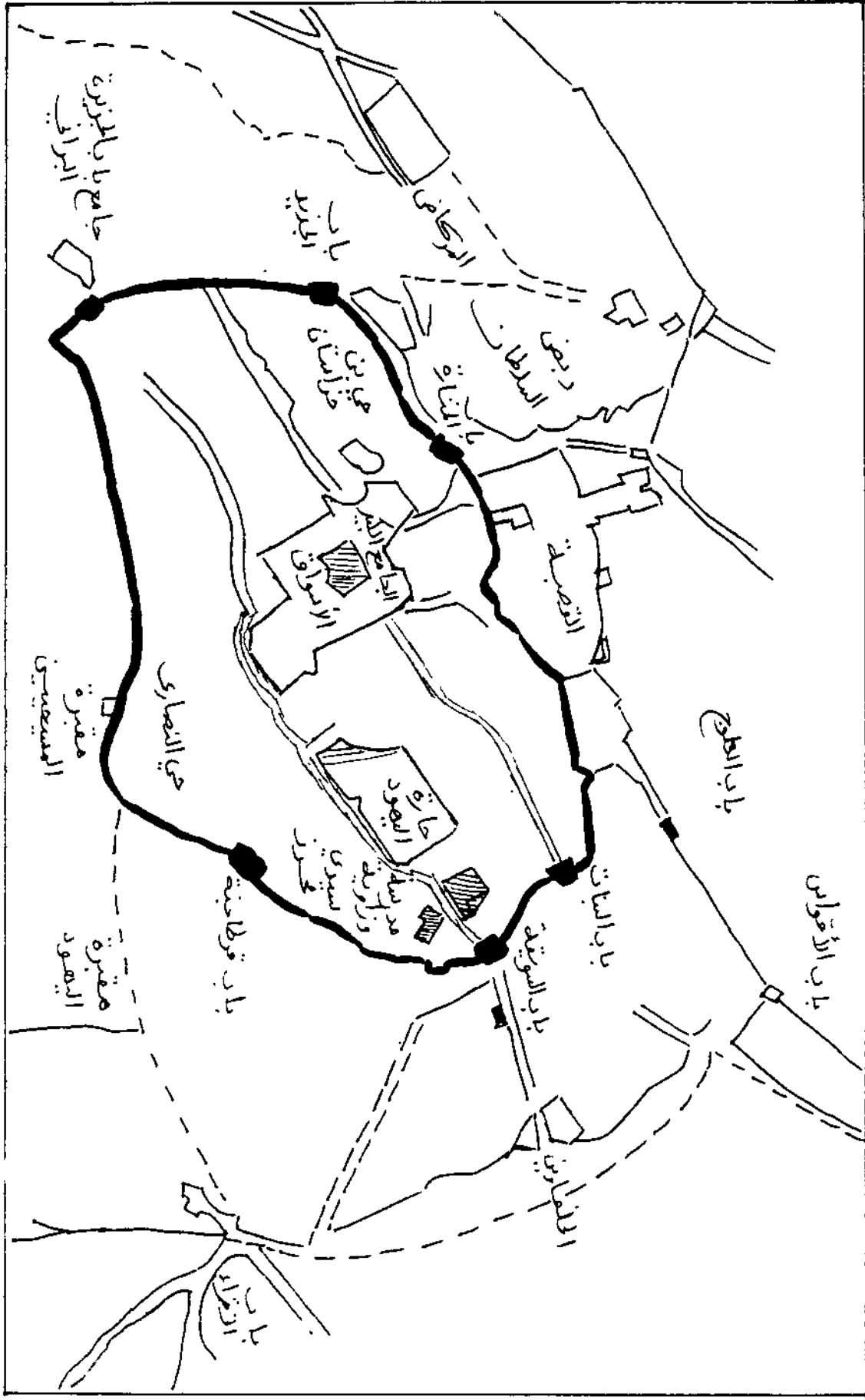
غرناطة في العصر الاسلامي

التحصن

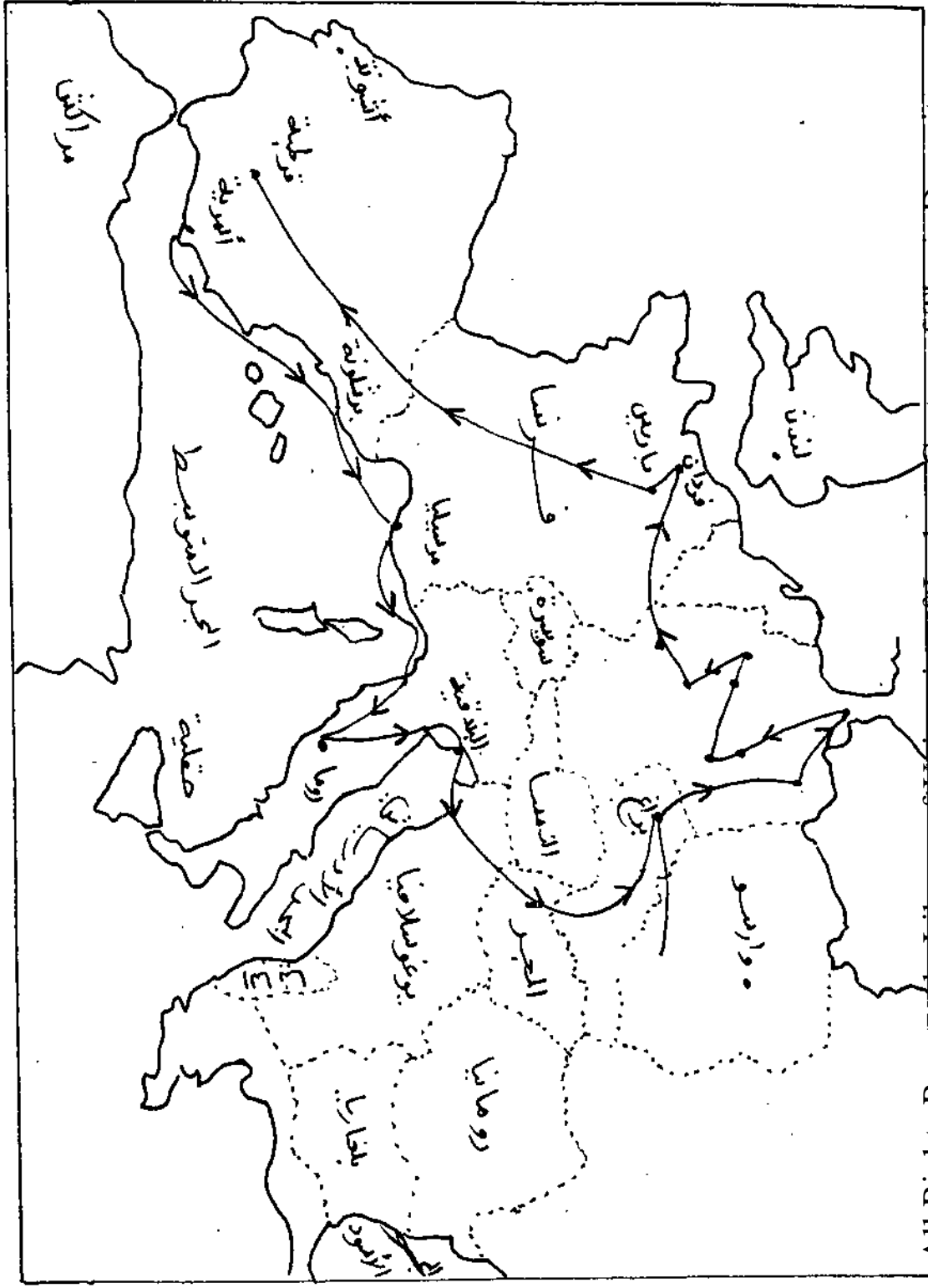
لبناء حصن يحمي طريق الحج إلى مكة في منطقة جبلية صعبة



مدينة تونس في العهد العثماني وتطرحارة اليهود داخل أسوارها



نشاط الطريق القبيح المار بمصر



فائمة المصادر والمراجع

- 1- المصادر
- 2- المراجع العربية
- 3- المراجع المعربة
- 4- الدوريات العربية
- 5- المراجع الفرنسية
- 6- الدوريات الفرنسية

(1) المصادر:

(1) - ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
القضاي (ت 658 هـ / 1259 م) الحلة السيرة، تحقيق حسين تونس
القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963، ط 1.

(2) - ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، قراءة وتعليق عبد السلام المناس
تونس، الدار التونسية للنشر، 1985 م.

(3) - ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس
السعدي الجزي (ت 668 هـ / 1269 م)
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق الدكتور نزار وضعا،
بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965.

(4) - ابن أبي الحديد، (ت 656 هـ / 1258 م)
شرح نهج البلاغة، بيروت، دار مكتبة الحياة، دون تاريخ.

(5) - ابن أبي زرع الفاسي، علي (ت 726 هـ / 1325 م).
الأنيس المطرب بروش القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس
الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972.

(6) - ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد بن عبد الله (ت 336 أو 390 هـ /
996 م أو 999 م)

الرسالة (النص العربي) ترجمة إلى الفرنسية ومقدمة وتعليق وفهارس
ليون برشير، الجزائر، المنشورات الشعبية للنهضة، 1933.

(7) - ابن أبي ضياف، أحمد (ت 1291 هـ / 1866 م)
اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، الدار
التونسية للنشر، 1975، ط 2، ج 1.

(8) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، 1935،
ط 5.

(9) - ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، (ت 729 هـ / 1328 م)
محالم القرية في أحكام الحسبة، عني بعلقه وتصحيحه روين ليوي.
كسردج، مطبعة دار الفنون، 1937، أعادت طبعه بالافست مكتبة
المثنى بغداد.

(10) - الإدريسي، الشريف، (ت 527 هـ / 1132 م).

وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في
اختراق الافاق ، تصحيح ونشر علي بريس ، الجزائر ، دار الكتاب ، 1957 .

(11) — المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق وترجمة (فرنسية)
محمد حاج صادق ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .

(12) — القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ،
تحقيق وتقديم اسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات
الجامعية ، 1983 .

(13) — الاسرائيلي ، ابن سهل (ت 49 6 هـ / 1251 م)
أشعار لم تنشر ، جمع وتحقيق وتقديم محمد قوبصة ، حليات الجامعة
التونسية ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، العدد 19 ، 1980 .

(14) — ابن بسلام الشنتريني ، أبو الحسن علي (ت 542 هـ / 1147 م)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، ليبيا ،
تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1981 .

(15) — البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 467 هـ / 1094 م) ،
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، باريس ، مكتبة امريكا والشرق
(المن العربي) ، 1965 .

(16) — البكري ، الاندلس وأوروبا ، من كتاب ((المسالك والممالك ، تحقيق
عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الارشاد ، 1965 ، ط 1 .

(17) — التجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (ت 708 هـ /
1308 م)

رحلة التجاني ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، ليبيا ، تونس
الدار العربية للكتاب ، 1981 .

(18) — ابن تفيي بودي ، جمال الدين أبي المحاسن (ت 374 هـ / 1469 م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة
دار الكتب المصرية ، 1963 .

(19) — الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت 255 هـ / 868 م) كتاب الحيوان ،
تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، بيروت ، دار احياء التراث العربي
1969 ، ط 3 .

(20) — ابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حسان الاندلسي .

طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فواد سيد ، القاهرة ، مطبعة
المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، 1955 .

(21) - حاجي خليفة ، عهد الله (ت 1063 هـ / 1657 م)
كشف الذنون عن اسامي الكتب والفنون ، بيروت ، دار العلوم الحديثة ،
طبعة جديدة بالافست .

(22) - ابن حماد ، أبو عهد الله محمد الصدهاجي ، (ت 626 هـ / 1228 م)
أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق وتعليق جلول أحمد
البدوي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .

(23) - ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة
القهامي بقرة وعبد الحليم عويس ، الرياض ، دار العلوم ، 1981 .

(24) - ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456 هـ / 1063 م) ،
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق محمد إبراهيم نصر
وعبد الرحمن عميرة ، بيروت ، دار الجيل ، 1985 .

(25) - ابن حزم ، رسائل ابن حزم الاندلسي ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1981 ، ط 1 ، ج 3 .

(26) - الحصري ، محمد بن عبد الطعم (ت بعد 866 هـ / 1461 م)
الروعي المعطار في خبر الاقدار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة
لبنان ، 1975 .

(27) - ابن خافان ، الفتح ، (ت 535 هـ / 1140 م)
قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، تقديم محمد الحلبي ، تونس ،
المكتبة العتيقة ، 1966 .

(28) - ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300 هـ / 912 م)
المسالك والممالك ، وبلية يهذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة
لابي الفرج بن جعفر ، مراجعة م . ج . دي جيفر ، بيروت ، 1980 .
(أعادت طبعه مكتبة المثنى بشداد) .

(29) - ابن الخطيب ، لسان الدين ، (ت 776 هـ / 1374 م)
الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق وتعليق محمد عبد الله عنان ،
القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1978 ، ط 2 ، ج 1 .

- (30) — ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب اعمال الاعلام فسي من يوسف قبل الاسلام من ملوك الاسبان، تحقيق وتعليق ل. ل. ل. بروغسان، بيروت، دار المكشوف، 1956، ط 2.
- (31) — ابن الخطيب، التحلل الموشية في ذكر الامم المراكمة بتصحيح البشير الفوراني، تونس، مطبعة التقدم الاسبانية، 1956م.
- (32) — ابن خلدون، عهد الرحمن، (ت 688 هـ / 1285 م) الهجر، ودولة المبتدأ والنشور في أيام النجم واليهود ومن عاصروهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1959.
- (33) — ابن خلدون، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ / 1282 م) وفيات الاعيان وأبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1963.
- (34) — الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصاري الاسدي (ت 797 هـ / 1396 م) معالم الايمان في مصرفة أهل القيروان، تصحيح وتحقيق ابراهيم شيوخ، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1963، ط 2.
- (35) — الذهبي، أبو العباس أحمد بن سعيد، (ت حوالي 676 هـ / 1271 م) كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق وادبع ابراهيم دالاسي، قسنطينة، مطبعة البحث، 1974.
- (36) — الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 743 هـ / 1347 م) مصرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تحقيق وتعليق، بشائر عواد معروف، وشهاب الارناؤوط، ومالك مهدي، عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984، ط 1.
- (37) — الرازي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن اسماعيل (ت 653 هـ / 1254 م) المتع أنسهل في ترجمة وشعر ابن سهل، تحقيق وتعليق محمد قوبعة، حوليات، الجامعة التونسية، كلية الاداب والعلوم الانسانية، العدد 19، 1986.
- (38) — ابن رشيق القيرواني، حسن، (ت القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع وتحقيق محمد النورسي المطوي، وبشير البكوش، تونس، دار التونسية للنشر، 1986.

- (39) - الرقيق القيرواني ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم المجسمي الكعبي ، تونس ، نشر رقيق السقطي ، 1963 .
- (40) - الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم (كان حيا سنة 594 هـ / 1488 م)
تاريخ الدلائل الموحدة والحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ،
تونس ، المكتبة ، 1966 ، ط 2 .
- (41) - سحنون ، بن سعيد التتويحي ، (ت 240 هـ / 854 م)
انمدونة الكبرى ومصرها مقدمات ابن رشد ، بيروت ، دار الفكر ، 1986 .
- (42) - السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ / 1496 م)
الاعلان بالتزويج لمن دم التاريخ ، عني بنشره القدسي ، بيروت ،
دار الكتاب العربي ، 1979 .
- (43) - ابن شاكرا الكتبي ، محمد ، (ت 764 هـ / 1362 م)
فوات الزريقات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، 1974 .
- (44) - الشاذلي ، أبو اسحاق ابراهيم بن موسى (ت 790 هـ / 1388 م)
الافادات والاشادات ، تحقيق محمد أبو الاقنان ، بيروت ،
مؤسسة الرسالة ، 1983 ، ط 1 .
- (45) - الشيزي ، عبد الرحمن بن نصر (ت حوالي 589 هـ / 1193 م)
كتابة نهاية النجاة في طالب الحسبة . تحقيق ومراجعة الدكتور
السيد / الهاز الصريني ، بيروت ، دار الثقافة ، 1969 ، ط 2 .
- (46) - ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك ، (ت 594 هـ / 1193 م)
تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادي تازي ،
بيروت ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، 1964 ، ط 1 .
- (47) - ابن صاعد الاندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462 هـ /
1050 م)
كتاب التدقيقات الايام ، نشر لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ، المطبعة
الكاثوليكية 1912 .
- (48) - ابن الصغير (ت القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد)
أخبار الاثارة المستمين ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد ناصر ،
والاستاذ ابراهيم بحار ، الجزائر ، المطبوعات الجميلة ، 1986 .

- 49- ابن الصيرفي ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت 521 هـ / 1127 م)
الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله مخلص ، بغداد ، مكتبة
المثنى ، طبعة بأوفست ، دون تاريخ .
- 50- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922 م)
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المطبوعات
1977 ، ط 4 .
- 51- الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري (ت 520 هـ / 1126 م)
سراج الملوك ، المطبعة المحمودية التجارية بالازهر بمصر ، 1935 ط 1 .
- 52- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257 هـ / 870 م)
فتوح إفريقية والاندلس ، تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، دار
الكتاب اللبناني ، 1964 .
- 53- عبد الواحد المراكشي ، أبو محمد عبد الواحد بن علي محي الدين (تم الكتاب
621 هـ / 1224 م) .
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تعليق محمد سعيد الصريان ومحمد العربي
العلمي ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، 1950 .
- 54- ابن الصبري ، فريخوريوس المظني (ت 685 هـ / 1286 م)
تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، دار المسيرة ، دون تاريخ .
- 55- ابن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي ، أبو عمران موسى (ت 605 هـ / 1208 م)
شرح أسماء المقار ، نشر وتصحيح ومراجعة ماكس ماير هوف ، القاهرة ، مطبعة
المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، 1940 (طبعة مكتبة المثنى بغداد ، طبعة
معادة) .
- 56- ابن عذاري المراكشي (كان حيا عام 712 هـ / 1312 م) .
البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س كولان
ول . ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة ، 1980 ط 2 .
- 57- أبو العرب ، محمد بن أحمد ابن تميم القيرواني (ت 333 هـ / 944 م) .
طبقات علماء إفريقية وتونس ، تقديم وتحقيق علي الشابي ، ونعيم حسن أليافي ،
تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968 .
- 58- ابن عمر ، يحيى (ت 289 هـ / 901 م) .
أحكام السوق ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، راجعه وأغذه للنشر غرحات
الدشراوي تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1975 .

- (59) — عياشي، أبو الفضل (ت 544 هـ / 1149 م) —
تأليف المدارك وتقرير المسالك لمصرفة أعلام مذنب مالك، تحقيق
أحمد بكير محمود، بيروت، منشورات دار الحياة، ليبيا، دار
الفكر، 1963.
- (60) — أبي الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت 732 هـ / 1331 م) —
المختصر في أخبار البشر، بيروت، دار المصروفة للطباعة والنشر،
دون تاريخ.
- (61) ابن الفريسي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي
(ت 403 هـ / 1012 م) —
تاريخ علماء الاندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، 1966.
- (62) — القاضي النعمان بن محمد (ت 363 هـ / 973 م) —
رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، بيروت، دار الثقافة،
1970، ط 1.
- (63) — ابن القنفذ القسطنطيني، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي
ابن الخديب (ت 610 هـ / 1407 م)،
الفارسية في منادي الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد
الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر،
1963.
- (64) — القيرواني، ابن أبي دينار (كتب الكتاب عام 1110 هـ / 1603 م) —
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس،
المكتبة المتيقة، 1307 هـ، ط 3.
- (65) — ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت 367 هـ / 977 م) —
تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياني، بيروت،
دار الكتب اللبناني، 1982، ط 1.
- (66) — ابن القفط، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت 774 هـ /
1332 م) —
البلدانية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، 1960، ط 1.
- (67) — ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
(ت 751 هـ / 1350 م) — أحكام أهل الذمة، تحقيق وتعليق صبحي
الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، 1983، ط 3.
- (68) — اللبدي، أبو القاسم، (ت القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر
للميلاد) —
مناقب الجبيلاني، مع مناقب محرز بن خلف لابن الطاهر الفارسي،
تقديم وتحقيق وترجمة هادي أدريس، 1959.
- (69) — المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، تحقيق

- دار المغرب الاسلامي للطباعة والنشر ، 1963 .
- (70) - الماوردي ، علي بن محمد حبيب البصري ، (ت 450 هـ / 1058 م)
الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، الجزائر ، ديوان المطبوعات
الجامعية ، 1963 .
- (71) - مجهول ، (من اهل القرن 4 أو 5 الهجري / العاشر أو الحادي
عشر للميلاد)
أخبار مجموعة في فتح الاندلس ، حققه وقدم له ووضع فهرسه ابراهيم
الابياي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ،
دار الكتب الاسلامية ، 1961 ، ط 1 .
- (72) - مجهول ، مفاخر البربر (الفه عام 712 هـ / 1312 م) نشر ليفسي
بروفيسال ، رباط الفتح ، المطبعة الجديدة ، 1934 .
- (73) - مجهول (القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد)
مناهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب ، تحقيق داود غسلي
الفاضل ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1962 ، ط 1 .
- (74) - المجهلي ، أحمد سعيد (ت 1094 هـ / 1682 م)
كتاب التسيير في أحكام التسخير ، تقديم وتحقيق الدكتور موسى لقبال ،
الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971 .
- (75) - مخلوف ، محمد بن محمد (ت 1360 هـ / 1941 م) .
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، بيروت ، دار الكتاب العربي
(طبعة جديدة بالافست عن الطبعة الاولى سنة 1349 هـ)
- (76) - ابن مزوق ، محمد (ت 761 هـ / 1379 م)
المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة
وتحقيق الدكتور ماري حنيوس بيغيرا ، وتقديم محمود بوعباد ،
الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، إصدارات المكتبة الوطنية ،
1961 .
- (77) - ابن مسعود الخزاعي ، علي بن محمد (ت 789 هـ / 1387 م)
تخريج الدلالات السمعية على كآكان في عهد الرسول صلى الله عليه
وسلم من الحرف والصدائح والحملات الشرعية ، تحقيق احسان عباس ،
بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1965 ، ط 1 .
- (78) - مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم (ت 261 هـ / 874 م) .
الجامع الصحيح ، بيروت ، دار الفكر ، دون تاريخ .

- (79) — المقبي التلمساني، أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1631 م)
نفع الطيب من غصن الاندلس الوطني، تحقيق احسان عباس
بيروت، دار صادر، 1968.
- (80) — الناصري السلاوي، أحمد بن خالد (ت 1097 هـ / 1315 م)
الاستقضا لاخبار دول المغرب الاقصى، القاهرة، 1312 هـ.
- (81) — ابن اللديم (ت بعد 377 هـ / 987 م)
الفهرست، بيروت، دار المصنعة للطباعة والنشر، 1973.
- (82) — النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت 676 هـ / 1277 م)
رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تعليق وضو ابن محمد وضوان،
بيروت، دار الكتاب العربي، 1982.
- (83) — النووي، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 732 هـ / 1331 م)
نهاية الادب في فنون الادب، نسخة مصورة عن دار الكتب.
- (84) — الواقدي، محمد، (ت 807 هـ / 822 م)
فتوح افريقية، تونس، مطبعة المنار، 1966.
- (85) — الوزان، الحسن بن محمد (ت بعد 957 هـ / 1550 م)
وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت، دار المغرب
الاسلامي، 1983، ط 2.
- (86) — الوزير السراج، محمد بن محمد الاندلسي (ت 1149 هـ / 1736 م)
الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب
الهيلة، تونس، الدار التونسية للنشر، 1970.
- (87) — الوشيشي، أحمد بن يحيى (ت 914 هـ / 1508 م)
المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس
والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء باشراف الدكتور محمد حجي،
بيروت، دار المغرب الاسلامي، 1981.
- (88) — الوشيشي، كتاب الولايات، نشر وتعليق محمد الامين بلغيث،
الجزائر، لافوميك، 1985.
- (89) — ياقوت بن عبد الله، شهاب الدين أبي عبد الله، (ت 626 هـ /
1223 م)
معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ودار بيروت، 1957.

(2) - المراجع العربية :

- (1) - ابراهيم ، أحمد العدوي ،
السفارات الاسلامية الى أوروبا ، سلسلة أقرأ عدد 179 ، دار المعارف
بمصر ، 1957 .
- (2) - أحمد موسى عز الدين ،
النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ،
بيروت ، القاهرة ، دار الشرق ، 1983 ، ط 1 .
- (3) - اسماعيل ، محمود ،
الخواجه في المغرب الاسلامي ، بيروت ، دار العودة ، القاهرة ، مكتبة
مدبولي ، 1976 .
- (4) - ابن أشنهو ، عبد الحميد ،
الملك العالم يوبا الثاني وزوجه كليوباترة سليني ، الجزائر ، وزارة
الاخبار والثقافة ، مديرية الثقافة ، 1971 .
- (5) - باشا ، نجاة ،
التجارة في المغرب الاسلامي من القرن الرابع الى القرن الثامن للهجرة ،
كلية الاداب والعلوم الانسانية ، بتونس ، منشورات الجامعة التونسية ،
1976 .
- (6) - محراز ، ابراهيم بكير ،
الدولة الوستمية 160 / 296 هـ / 777 - 909 م ، دراسة في الاوضاع
الاقتصادية والحياة الفكرية ، الجزائر ، مطبعة لافوميك ، 1965 .
- (7) - بحر ، عبد المجيد محمد ،
اليهود في الاندلس ، المكتبة الثقافية ، عدد 237 ، مصر ، الهيئة
المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
- (8) - بدوي ، عبد الرحمن ،
موسوعة المستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1964 ، ط 1 .
- (9) - يحيى ، مصطفى عبد الله ،
المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا ، ليبيا ، تونس ، الدار
العربية للكتاب ، 1975 .
- (10) - البقلي ، محمد قنديل ،
التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
1983 .

- (11) — بدعبد الله ، عبد العزيز ،
محلقة الفقه المالكي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1983 ، ط 1
- (12) — بورويبة ، رشيد ،
الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر ، ديوان المطبوعات
الجامعية ، 1977 .
- (13) — بيضون ، ابراهيم ،
مناخ التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ، بيروت ، دار النهضة
الحرية للطباعة والنشر ، 1979 .
- (14) — التسل ، عبد الله ،
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، بيروت ، المكتب
الاسلامي ، 1979 ، ط 3 .
- (15) — الشمالي ، عبد العزيز ،
محاضرات في تاريخ المذاهب والاديان ، تقديم ومراجعة حمادي
الساحلي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1985 ، ط 1 .
- (16) — الجحاني ، الحبيب ،
المغرب الاسلامي ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية (3 — 4 مجلد)
9 — 10 م) ، تونس الدار التونسية للنشر ، 1978 .
- (17) — جواد علي ،
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ،
بغداد ، مكتبة النهضة ، 1976 ، ط 2 .
- (18) — الجيلالي ، عبد الرحمن ،
تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 م .
- (19) — الحارثي ، ابراهيم ،
اليهود والتوراة في فكر ابن حزم ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم
للنشر ، 1984 .
- (20) — حسن ابراهيم حسن ،
تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، مصر ، سوريا ، وباكستان العرب
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1958 ، ط 2 .

- (21) - حسن ، ابراهيم حسن ، وطه ، أحمد شرف
المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ، ط 2 .
- (22) - حركات ابراهيم
المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، دار الإرشاد الحديثة ، ط 2 .
- (23) - حركات ابراهيم
النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ، الدار البيضاء ، منشورات مكتبة الوحدة العربية ، دون تاريخ .
- (24) - الحفني عبد المنعم
الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، بيروت ، دار المسيرة ، 1980 ، ط 1 .
- (25) - حدي عبد المنعم محمد حسين .
تاريخ المغرب والاندلس في عصر المرابطين ، دولة علي بن يوسف المرابطي ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1986 .
- (26) - خان ، ظفر الاسلام
التلمود تاريخه وتحليله ، بيروت ، دار النفائس ، 1972 ، ط 2 .
- (27) - الخطاب محمود شيت
عقبة بن نافع الفهري ، بيروت ، دار الفكر ، 1977 ، ط 5 .
- (28) - خليفة عبد الكريم
ابن حزم الاندلسي حياته وأدبه ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، دون تاريخ .
- (29) - خليل عماد الدين ،
دراسة في السيرة ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ودار النفائس ، 1981 ، ط 5 .
- (30) - ابن الخوجة محمد
تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد ، تحقيق وتقديم الجيلالي بن الحاج يحيى ، وحامدي الساحلي ، بيروت ، دار المغرب الاسلامي ، 1985 ، ط 2 .
- (31) - الرافي عبد الرحمن
تاريخ الحركة القومية في مبر من فجر التاريخ الى الفتح العربي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1963 ، ط 1 .

- (32) — زيدان عبد الكريم ،
أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، بغداد مكتبة القدس
وبيروت، مؤسسة الرسالة، 1982 .
- (33) — سرور محمد جمال الدين ،
الدولة الفاطمية في مصر، وسياساتها الداخلية ومظاهر الحضارة
في عهدها، مصر، دار الفكر العربي ، 1974 .
- (34) — سوسة أحمد ،
مفصل الحرب واليهود في التاريخ ، العراق، منشورات وزارة الثقافة
والاعلام ، 1981 ، ط 5 .
- (35) — سالم السيد عبد العزيز ،
المغرب الكبير، العصر الاسلامي ، بيروت، دار النهضة العربية ،
1981 ، ط 2 .
- (36) — السيد عبد العزيز سالم ،
تاريخ المسلمين وأثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط
الخلافة بقرطبة ، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981 .
- (37) — شاوش محمد بن رمضان ،
الذوالوقاد في شعريكر بن حماد التاهوتي ، مستغانم، المطبعة
العلوية، 1966 ، ط 1 .
- (38) — شيل ، فؤاد محمد ،
مشكلة اليهودية العالمية ، المكتبة الثقافية ، عدد 241 ، مصر،
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
- (39) — شلبي أحمد ،
مقارنة الأديان : 1 — اليهودية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية،
1967 ، ط 2 .
- (40) — شيتي محمد البشير ،
التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ،
الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 19 .
- (41) — شيتي محمد البشير ،
سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى
سقوط موريطنيا، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،
1982 .
- (42) — الشيال جمال الدين ،
التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوروبي في عصر النهضة،
بيروت، دار الثقافة ، دون تاريخ .

- (43) — الصالبي محمد ،
 منهجية ابن خلدون التاريخية ، بيروت ، دار الحداثة ، 1981 ، ط 1 .
- (44) — الدايي ، أمين توفيق ،
 دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس ، ليبيا ، تونس ، الدار
 العربية للكتاب ، 1984 .
- (45) — الحابد محسن ،
 دراسات وبحوث مقارنة ، تونس ، المطبعة المصرية ، 1979 ، ط 1 .
- (46) — عاشور سعيد عبد الفتاح ،
 بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ، جامعة
 بيروت العربية ، 1977 .
- (47) — الحبادي أحمد مختار ،
 دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية ، مؤسسة شهاب
 الجامعة ، دون تاريخ .
- (48) — الحبادي أحمد مختار ،
 في تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1978 .
- (49) — عبد الوهاب حسن حسني ،
 أوراق عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، تونس ، مكتبة
 المنار ، القسم الاول والثاني ، 1966 ، 1972 .
- (50) — عبد الوهاب حسن حسني ،
 مساهمة التحقيق في حضارة القيروان واهلها ابن رشيق ، تقديم
 المروسي المداوي ، تونس ، مكتبة المنار ، 1970 ، ط 2 .
- (51) — الصجيري صالح محمد ،
 تقويم القرون لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية ، الكويت ،
 منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، 1981 ، ط 2 .
- (52) — العربي اسماعيل ،
 المدن المغربية ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1964 .

- (53) — السيد السعيد الباز ،
الدولة البيزنطية ، بيروت ، دار النهضة العربية
للطباعة والنشر ، 1982 ،
- (54) — السيد الباز ،
تاريخ اورشليم في العصور الوسطى ، بيروت ، دار النهضة
العربية ، 1968 .
- (55) — عصفور ، محمد أبو الحسن ،
المدن الفيديقية ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر ، 1981 .
- (56) — علام ، دحمت اسماعيل ،
فنون الشرق الأوسط ، من الفخز والافريقي حتى الفتح
الاسلامي ، القاهرة ، دار الحارف ، 1975 .
- (57) — علي ، مبراهيم حسن ،
تاريخ جوهري الفيديقية قائد الفخز لدين الله الفاطمي ،
القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1968 ط 2 .
- (58) — ابن عميرة ، محمد —
دور زواتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ،
الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .
- (59) — عدان ، محمد عبد الله
عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1964 .
- (60) — عويس ، عبد الحليم ،
دولة بن حماد صفحة رائحة من التاريخ الجزائري ،
الشروق ، 1980 ط 1 .
- (61) — غادم ، محمد الصغير ،
التوسع الفيديقية في غربي البحر المتوسط والجزائر ،
ديوان المطابع الجامعية ، 1979 .
- (62) — غفيل ، شكري ،
حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ، بيروت ، دار
العلوم للملايين ، 1980 ، ط 5 .
- (63) — قاسم ، قاسم عبدة
اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الفخز والاندلس
العثماني ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
، 1980 ، ط 1 .

- 64- ابن قريضة ، صالح ،
عبدالمؤمن بن علي ، موحد بلاد المغرب ، الجزائر ،
مفشرات وزارة الثقافة والسياحة ، 1985 .
- 65- كحالة همرضا ،
حولة في ربيع التربية والتعليم ، بيروت ، مؤسسة
الرسالة ، 1980 ط1 .
- 66- لبيب دى ، ابراهيم ،
تاريخ التربية بتونس ، تونس ، الشركة التونسية
للتوزيع ، دون تاريخ ، ج1 .
- 67- لقبال ، موسى
المغرب الاسلامي ، منذ بدء مسكر القرن حتى اذها
ثورات الخواص ، سياسة وتعلم الجزائر ، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ، 1981 ط2 .
- 68- لقبال ، موسى
دور كرامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الجزائر ،
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979 .
- 69- مجمل - مول ،
تاريخنا ، من سقوط قرطاجة الى عصر التحرير الاسلامي ،
ليبيا ، دار التراث دون تاريخ ،
- 70- محفوط ، محمد ،
تراجم المؤلفين التونسيين ، بيروت ، دار الاسلامي ، 1982
ط1 ، ج1 .
- 71- المدني ، محمد توفيق .
كتاب الجزائر ، مال الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب
1984 ط2 .
- 72- مرسي الشيخ ، محمد محمد .
دولة الفردجة وعلاقتها بالامويين في الادل حتى
اواخر القرن العاشر الميلادي .
- 73- المداوي ، محمد حمدي ،
الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي ، دار المعارف
بمصر ، 1970 .
- 74- ابن ميلاد ، احمد .
تاريخ الطب العربي التونسي في عشرة قرون ،
تونس ، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل
1980 .

- 75- المياني مبارك بن محمد تاريخ الجزائر في القديمو
الحديث، الجزائر مكتبة النهضة العربية، 1956.
76- وافي، علي عبدالواحد.
اليهودية، واليهود، مصر مكتبة غريب (الطبعة) 1970
77- اليعلاوي، محمد.
ابن هانئ المغربي الإدلسي، شاعر الدولة الفاطمية
بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985.

3- المراجع العربية:

- 1- أروسيوس
تاريخ العالم بالترجمة العربية القديمة، وتقديم وتحقيق
عبد الرحمان بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات
النشر 1982 ط1.
(2) - أوليري، دى لاسي.
الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية
وعلق عليه اسماعيل البيطار، بيروت، دار الكتاب اللبناني
1982.
(3) - بالدشيا، فاضل خديث الش.
تاريخ الفكر الإدلسي، نقله عن الأسبانية حسين مؤنس
القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955 ط1
(4) - برنيز، يواكيم.
بابات من الحي اليهودي، ترجمة خالد اسعد عيسى،
مراجعة وتقديم سميل زكار، دمشق، دار حسان للطباعة
والنشر 1988 ط1.
(5) - بروبيبة، رشيد.
ابن تومرت، ترجمة محمد الحميد، حاجيات، الجزائر، ديوان
المطابعات الجامعية 1982.
(6) - ترتون، م. س.
اهل الذمة في الاسلام، ترجمة وتحديث، حسن حبشي، مصر،
مطبعة الاعتقاد، 1949.
(7) - جولييان، شارل، إدري.
تاريخ افريقيا الشمالية، تحرير محمد مزالي، واليشير
بن سلامة، تونس، الدار التونسية للنشر 1978 ط1.

- (08) — جواتياين ، س ، د .
دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، تحرير وتحقيق
عداية القوسي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، 1980 ، ط 1 .
- (09) — دينيت ، دانييل ،
الجزية والاسلام ، ترجمة وتقديم فوزي فهدم جاد الله ، مراجعة
احسان عباس ، بيروت ، منشورات دار الحياة ، 1959 .
- (10) — رايلي كافين ،
المغرب والعالم ، تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ، ترجمة
عبد الوهاب محمد الميني وسدي عبد السميع حجازي ، مراجعة
فؤاد زكريا ، عالم المعرفة ، 90 ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب ، (يونيو ، 1985) .
- (11) — رينو جوزيف ،
الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن
والثاسع والعاشر الميلادي ، ترجمة وتقديم وتعليق اسماعيل العربي ،
الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية بالتعاون مع دار الحداثة
بيروت ، 1984 ، ط 1 .
- (12) — سارتون جورج ،
تاريخ العلم ، ترجمة لفييف من العلماء ، القاهرة ، دار المعارف ،
1970 .
- (13) — فيشر ، أ . ل .
تاريخ أوروبا ، العصور الوسطى ، تحرير محمد مصطفى زيادة ، والسيد
الباز العربي ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، 1976 ، ط 6 .
- (14) — لومبارد مويس ،
الاسلام في مجده الاول القرن 1-11 م (2-5هـ) ترجمة وتعليق
اسماعيل العربي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1979 .
- (15) — لويس أرشيبالد ، ر .
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد
عميس ، مراجعة وتقديم سفيق غريال ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ،
1960 .
- (16) — لويس برنارد ،
أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، تقديم ومراجعة خليل أحمد
خليل ، بيروت ، دار الحداثة ، 1980 ، ط 1 .

- (17) - هوبكنز، ج. ف. ب. ،
النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، ترجمة أميسن
توفيق الطائي ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1980 .
- (18) - وات منتجومي ،
فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أميسن ،
دار الشروق ، 1983 ، ط 1 .
- (19) - ولفسون ، أ. ،
تاريخ اللغات السامية ، بيروت ، دار القلم ، 1980 ، ط 1 .
- (20) - يوسابيوس ، القيسي ،
تاريخ الكنيسة ، ترجمة القس مرقس داود ، القاهرة ، دار الكرنك للنشر ،
والطابع والتوزيع ، 1980 .
- (21) - يوسفوس ،
تاريخ يوسفوس اليهودي ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ .
- (22) -
الدوريات العربية :
- (C1) - أبو عمران الشيخ ،
((أغسطاين العنابي ومقاومة الحركة الرومانية)) الاصل ، 34 ، 35 ،
السنة الخامسة (يوليو ، يوليو 1976) .
- (C2) - أمين توفيق الطائي ،
((جوانب من الحياة الاقتصادية والمغرب في القرن السادس الهجري))
طبع مركز الدراسات والبحوث على التطور الجهوي ، جامعة وهران .
- (C3) - سعد زغلول عبد الحميد ،
((فتوح المغرب والاندلس في رواية ابن عبد الحكم)) دراسات
عن ابن عبد الحكم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975 .
- (C4) - محمد البشير شيتي ((حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال
القرن الرابع)) ، الاصل ، 60 ، 61 ، السنة 7 (جانفي 1977) .
- (C5) - عبد الحميد حاجيات ،
((المرابطون ودورهم في تاريخ المغرب وحضارته)) مجلة التاريخ ،
عدد 3 (أفريل 1976) .
- (C6) - عبد الحميد حاجيات ،
((مذهب الصفرية في سجل ماسة)) مجلة التاريخ ، عدد 6 (جويلية
1978) .
- (C7) - عبد العزيز فيلاللي ،
((دولة برغواطة)) مجلة سرتا ، السنة الأولى ، عدد 2 (نوفمبر 1979) .

- 08- عبد المزيذ فيلاي،
 ((أسباب الثورات الشعبية المغربية ومقدماتها في الحقد الثالث
 من القرن الثاني الهجري ببلاد المغرب)) مجلة سرتاء، العدد 1
 السنة الأولى، (توفهر 1979).
- 09- فؤاد حسن،
 ((المكابيون)) المجلة التاريخية المغربية، المجلد 10 (1971).
- 10- محمد بركات،
 ((10 حقائق عن التلمود)) الهلال، عدد 5، السنة 1977،
 (1 مايو 1969).
- 11- مزيان هيد المجيد،
 ((المغرب واليهود في التاريخ)) مجلة الثقافة، عدد 14، السنة
 الثالثة (أفريل، ماي 1973).
- 5- المراجع الفرنسية:

- 01- Abdesslem, Ahmed, Les historiens Tunisiens des 17, 18,
 19 Siecles, Essai d'histoire Culturelle, Paris, Librairie
 C, KLINCK Sieck, 1973.
- 02- Benachenkou, A, la dynastie Almoravide et son art, Alger
 Imprimerie E.P.A, 1974,
- 03- Bible (la), Paris, Allience Biblique universelle, 1984,
- 04- Brunchvig, Robert, la Berberie orientales sous les Hafside,
 des origines à la fin du X Y Siecles, Paris, librairie
 d'Amerique et d'orient, 1982.
- 05- Chouraqui, André Marche vers l'occident, les Juifs d'Afrique
 du Nord, France, P.U.F, 1952.
- 06- Chouraqui, André, Histoire du Judaïsme, Paris, P,U,F (Que
 sais-je ? 750) 1981.
- 07- D'Avezagn, Afrique, Tableau Général, Tunis, Editions
 Bouslama 1981, T I .

- 08- De Fentette, François, le Racisme, Paris, P.U.F (Que sais-je ? 1603) 1984.
- 09- Dhina, Atallah, les Etats de l'occident Musulman aux 13, 14, 15 Siecles, Institutions gouvernementales et Administratives , Alger O.P.U. et ENAL, 1984.
- 10- Dictionnaire des Antiquités Grécques et Romaines d'Après les textes et les monuments, sous la Direction de mme che. Daroumberg et E.D.M. Saglio, Paris Librairie Hachette T 3.
- 11- Dufoureq, ch. E, la vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination Arabe, Paris, Hachette, 1978.
- 12- Flavius, Joseph, Histoire ancienne des Juifs, la guerre des Juifs Contre les Romains, Paris, Editions Iidis, 1975
- 13- Fattal, Antoine, le Statut legal des non-musulmans en pays d'Islam, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1958.
- 14- Gardet, Louis, la Cité Musulmane, vie Sociales et Politique Paris, Librairie Philosophique. J.Vrin, 1976.
- 15- Graetz, H, les Juifs d'Espagne, traduit de l'Allemand par georges Stenne, Paris, Librairie nouvelle. 1872.
- 16- Hamet, Ismaïl, les Juifs du Nord de l'Afrique, (Noms, et Prénoms) Paris, Societés d'Editions géographiques, Maritimes, et Coloniales, 1928.
- 17- Histoire générale des religions, sous la direction des maxime george et Ravil Mortier, Paris, Librairie, Aristide quillet, 1945, T 3.

- 18- Kaddache, Mahfoud, l'Algerie dans l'Antiquité, Alger, SNED, 1972.
- 19- Louis Cambuzat, Paul, l'Evolution des Cités du Tell en Ifrikya du 7 au II Siecle; Alger, O.P.U. 1986.
- 20- Miesés, Mathias, les Juifs et les Etablissements Puni-
-ques en Afrique du Nord, Publications de la Societé
des Etudes Juives, Paris; Imprimerie, H. ELIAS, 1933.
- 21- Moncaux, Paul, Histoire litteraire de l'Afrique
- Chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe,
Paris, Ernest le Roux, 1901, T I.
- 22- Nahum, Slouschz, Etude sur l'histoire des Juifs au Marco,
Archives marocaines, volume 6, N° I-2, Décembre 1905.
- 23- REBAN, Ernest, Judaïsme et chirstianisme, textes pré-
-sentés par Jean Gaulmier, Paris, Copernic, 1977.
- 24- Rouche, Mimet, les Empires universels 2-4 Siecles Paris,
Larousse, 1968.
- 25- VONDERHEYDEN, M, la Berberie orientale, sous la dynastie
des Benoû L'Arlab, Paris, Librairie orientaliste paul
Genthner, 1927.
- 26- Suetone, Vies des 12 Cesars, Introduction , Traduction et
Notes de pierre Grimal, France; Librairie Générale
Française, 1974.
- 27- Zafrani, Haïm, Pédagogie Juive en terre d'Islam, l'en -
-seignement traditionnel de l'hebreu et du Judaïsme au
maroc, Paris, librairie d'Amérique et d'orient, Andrieu
Maisonneuve, 1969.

- 01- Bouroyiba, Rachid "L'esprit de tolerance chez les Zirides les hammadides, et les normands de Sicile "
Actes du 2° Congrès international d'Etudes des Cultures de la méditerranée occidentale, Alger, SNNED, (1978)
- 02- Cahen, M.B" les Juifs dans l'Afrique Septentrionale, Recueil des notices et mémoires de la Sociétés Archéologique de Constantine, N° II (1867).
- 03- Canard, M " Ibrahim Ibn-Yaqub et sa relation de voyage en Europe " in Etudes d'orientalistes dédiées à la mémoire de levy-Provençal, Paris, 6.P. Maisonneuve et Larose, T 2, (1962)
- 04- Eisenbeth, Maurice "les Juifs en Algérie, esquisse historique, depuis les origines à nos jours, Extrait de l'encyclopédie colonial et Maritime) Paris, sans date.
- 05- Fagnan, E " le signe distinctif des Juifs au Maghreb " Revue des Etudes Juives T 28, (1894)
- 06- Le Bohec, Yann " Juifs et Judaïsme dans l'Afrique romaine, remarques onomatiques " Antiquités Africaines N°17, (1981)
- 07- Le Bohec, Y " Inscriptions Juives et Judaïsantes de l'Afrique Romaine " Antiquités Africaines, N°17 (1981)
- 08- Lewis, B " l'Islam et les non-Musulmans " in Annales Economiques, Sociétés, Civilisations, 35 Année, N°3-4 (Mai Août 1980).
- 09- Renand, H.P.J. " Trois Etudes d'histoires de la médecine Arabe en occident, I- le Mustaini d'IBN BAKLARES " Hesperis, Tome X (1930).
- 10- Slousch, N " l'empire des Berghouatta et les origines des Blad- E-S- Siba " Revue du Monde Musulman, Tome 10 (1910).

II- TALBI, Mohamed " un nouveau Fragment de l'histoire du Maghrib 62-195 / 682 - 812. L'epopée d'AL KAHINA " Cahiers de Tunisie, N° 73- 74, Tome 19, (1971).

I2 TALBI, Mohamed " Hérésie, acculturation et Nationalisme des Berbères Bargawata " Actes du 1^{er} Congrès d'Etudes. des Cultures Méditerranéennes. d'Influence Arabo-Berbère. Alger, SNED, 1973.

الفهارس

موسى الاقلام

- ابن أبي أصيبعة : 26، 159، 162 .
 173، 180، 181 .
 ابن أبي دينار القيرواني : 28، 86 .
 ابن أبي الرجال : 103 .
 ابن أبي زرع : 92، 96، 127، 216 .
 ابن أبي زيد القيرواني : 8، 10، 11 .
 117، 146، 150 .
 ابقرط : 179، 180 .
 أبين (بطليموس الثامن : 55 .
 ابراهيم (عليه السلام) : 112 .
 ابراهيم الثاني : 148 .
 ابراهيم الحمد لو : 31 .
 ابو ابراهيم اسحاق بن برون : 164 .
 ابراهيم بن بيجو : 143 .
 ابراهيم بن داود : 176 .
 ابراهيم بن عزرا : 157، 174، 194 .
 ابراهيم بن الاقلب : 94 .
 ابراهيم بن الفخار : 169 .
 ابراهيم بن يحيى : 194 .
 ابراهيم الفاسي : 164 .
 ابن الاثير : 26، 103 .
 احسان عباس : 5، 23 .
 احمد ابن ابي سليمان : 145 .
 احمد بن طالع : 118، 145 .
 احمد سوسنة : 36 .
 احمد شلبي : 32 .
 ابن الاخوة : 14 / 145 .
 الادريسي : 18 / 19، 108 .
 الادريس الاكبر : 85 .
 ادريس بن عبد الله : 96، 97 .
 ادريس الطائي : 96 .
 ادريس المأمون : 109 .
 اود شير : 132 .
 اردون الثالث : 207، 208 .
 ارسطو : 187 .
 ارКАД يوس : 66 .
 ابن الازرق : 130 .
 اسحاق (عليه السلام) : 112 .
 اسحاق الاسرائيلي : 26، 177 .
 ابو اسحاق الالبيني : 27، 28، 190 .
 214 .
 اسحاق اللامي : 143 .
 اسحاق ابن باروخ : 143 .
 اسحاق ابن سليمان الاسرائيلي : 179 .
 اسحاق بن عمران : 148، 179 .
 اسحاق ابن قسطلار : 148 .
 اسحاق بن قفرون : 167 .
 اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الازهي :
 96 .
 اسحاق بن مرشورل : 168 .
 اسحاق بن يحنوب القاضي : 106 .
 اسحاق دوتشور : 184 .
 ابن اشتهو : 59 .
 الاصطخعي : 16، 17 .

- بالنشيا : 33
 بديع الزمان الهمذاني : 184 .
 البوزلي : 117, 11, 10 .
 ابو البركات عبد الله بن علي :
 . 156
 برنز : 228 .
 ابن بسم : 24 .
 بطليموس (الجغرافي) : 39, 16
 . 184, 182
 ابو البقاء بن يحيى بن عباس
 المصري : 159, 156 .
 ابن بقودة : 176 .
 البكي : 17, 19, 27, 81, 86
 2, 9, 108, 113, 118 .
 . 208, 174
 ابو بكر الصديق : 72 .
 ابو بكر بن عمر اللعتوني : 107 .
 ابن بكتاش : 181, 149, 36 .
 البلاذري : 78, 22 .
 البلخي : 16 .
 بلزاريس : 68 .
 بلكين بن باديس : 213 .
 بهامين التحليلي : 173 .
 يونيفاس : 66, 67 .
 ابن البطار : 180 .
 بيكسار : 49 .
- ابن الافلح الاندلسي : 282 .
 الفونس الثالث : 219 .
 البقازد : 126 .
 الامير عبد العزيز : 26 .
 الامين توفيق الطيبي : 36 .
 انثيوخوس : 132 .
 اسدي : 58 .
 انطالاس : 68 .
 انطوان فتال : 35 .
 اخرون بن ايليا : 186 .
 اتو : 208, 174 .
 اوزيسوس (المؤرخ) : 43 .
 اوليفي دي لاسي : 194, 33, 195 .
 أ. و. ولفندسون : 184 .
 الايوبي صلاح الدين : 14 .
 استير : 132 .
 اسكندر المقدوني : 48, 42 .
 اسماعيل (عليه السلام) : 130, 112 .
 اسماعيل بن رباح الجنبي : 137, 83 .
 اسماعيل بن عمر بن عبيد الله المرادي :
 88 .
 اسمعيل بن النخيلة : 172, 171, 134, 25
 133, 188, 189, 190 .
 200, 201, 202, 203, 204, 212 .
 اسماعيل بن يونس الداييب اليهودي :
 24 .
 —ب—
 بابا تيرة : 126 .
 بابلوكريستياني : 140 .
 باديس : 171, 106, 105, 27 .
 200, 203, 204, 205 .
 212, 214, 216 .

— ت —

- ابن تهن : 225 .
التجاني (الرحالة) : 86 .
تراجان : 59, 58, 57 .
توتون : 32 .
ابن تغيي بردي : 100 .
تميم التميمي : 97 .
ثيتوس : 74, 56, 50, 44, 43 .
ابن تيممة : 13 .
- ث —
- ثاج :
ثيودور : 66 .
- ج —
- جاسون : 206 .
جاسون : 54, 49 .
جالينوس : 180, 179 .
ابن جبرول : 186, 184, 176, 175 .
187 .
الجبلياني : 137 .
الجرجاني : 103 .
الجزائري : 149 .
جستيتيان : 70, 69, 68, 44 .
جعفر الهرمكي : 204 .
جعفر بن علي : 99 .
ابو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي :
181, 180, 149 .
ابن جلجل : 178 .
جليملار : 68 .
- جمال الدين : 188 .
ابن جناح : 178, 162, 161, 158, 157 .
180 .
جناد يونس : 72 .
جنسويك : 67 .
جواتيان : 147, 146, 144, 138, 34 .
226, 155 .
جودة بن يوسف : 143 .
جولانان : 57, 56 .
جوهر المقلي : 199, 102 .
جورجوريوس : 73 .
جرجيوي الاول : 72, 71 .
الجيواني : 17 .

— ح —

- ابو حامد انطراطي : 19, 18 .
حسان بن نعمان : 86, 81, 78 .
حبوس : 215, 205 .
حبوس بن ماكسن : 212 .
حركات ابراهيم : 202, 208 .
الحريبي : 184 .
الحريبي : 184, 161 .
ابن حزم : 189, 188, 31, 24, 23, 09 .
235, 191, 190 .
ابن حسداي : 24 .
حسداي بن اسحاق : 173, 148 .
حسداي بن شبروط : 167, 158, 134 .
229, 225, 223, 208, 207 .
236 .

- ابن خلدون (عبد الرحمن) : 28، 29، 37،
 79، 84، 85، 86، 90، 91، 92، 96،
 232، 231، 233
 خلفون نيتاليل : 134
 ابن خلكان : 26، 100، 199
 — د —
 دانييل : 222
 داود القمحي : 157
 الدباغ : 21، 79، 134
 الدرجيني : 21، 23، 134
 دوناش بن تميم : 164، 180، 181
 دوناش بن لهوط : 167، 173، 184
 ابن دهمي : 25، 218
 دي سالن (البارون) : 37، 85، 231
 ديفورك : 36
 ديون كاسيوس (مؤرخ) : 58
 — و —
 واشدد (مولى) : 96
 الربيعي أكيبا : 59، 60
 ابو الربيع (الخبز اليهودي) : 205، 215
 ابن رزين : 202
 الرسول (صلى الله عليه وسلم) : 80، 93
 96، 99، 138، 191، 192
 ابن رشد : 186، 187، 188، 189، 195
 236
 ابن رشد (الجدة) : 9
 الوثيق القيرواني : 88، 97
- حسين بن الحسين : 85
 حسن حسني عبد الوهاب : 33، 87
 105، 164
 ابو الحسن الدسوقي : 156
 حسن ظاظا : 131
 ابو الحسن بن العربي : 28
 ابو الحسين يوسف بن الجدة : 24
 الحكم المستنصر : 90، 92
 الحلواني : 98
 ابن حماد، ابو عبد الله محمد بن علي :
 26
 حماد بن بلكين بن زبيبي : 105، 106
 الحامدي : 26
 الحمصي : 19، 147
 حانوك (الكاهن) : 171
 ابن حوشب : 98
 ابن حوقل : 16، 17، 93، 144، 146
 ابن حيان : 207
 حيدام (الملك) : 41
 حاييم الزعفراني : 35
 — خ —
 ابن خرداذبة : 15، 16، 17، 144
 الخشني محمد الحارث : 8، 9، 135
 146
 ابن خطاب : 23، 134، 135
 ابن الخطيب : 27، 200، 206
 ابن خلاص : 165، 211

- ابن سعيد المغربي : 110، 120، 144،
 165، 169، 202.
 أبو سعيد بن عبد المؤمن : 228.
 أبو سعيد خلفون : 143.
 أبو سفيان : 28.
 سليمان بن أسود : 144.
 الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم : سليمان بن جودة : 126.
 سليمان بن صقيل : 134.
 سليمان الحكيم : 41.
 السموأل المغربي : 156، 159، 182،
 190، 191.
 السمسيسر : 214.
 ابن سهل الإسرائيلي : 165، 211، 229.
 سيهوية : 7، 194.
 ابن سينا : 160، 194.
 —ش—
 شالمان : 207.
 الشاذلي : 192.
 الشافعي : 9، 119.
 ابن شاليب : 209، 210.
 شاذجة : 207.
 شمسوت : 45.
 الشكسة : 170.
 شوش : 232.
 الشماخي : 104.
 القرافي، شهاب الدين أبي الحباس أحمد
 ابن مدريس : 30.
 الشهرستاني : 186.
 ابن شهيد : 24.
 شوراي (أدي) : 35، 39، 81، 83، 112.
 الشيزي : 13، 14.
 الريبوني : 170.
 رنان : 87.
 رينو : 36.
 ريموند مارتيبي : 194.
 —ز—
 زاي : 105.
 الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم : 122، 228.
 أبو زكريا (صاحب السير) : 21، 23.
 أبو زكريا الحفصي : 109، 211.
 أبو زكريا يحيى بن داود بن حيوج :
 164.
 زمر بن موسى بن هاشم : 113.
 الزهمي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر :
 18.
 زهير بن قيس : 84.
 زيادة الله الأفلبي : 98، 178.
 زيادة الله الثالث : 179.
 زين الدين سريجا بن محمد المظلي :
 30.
 —س—
 ابن الساعاتي البغدادي : 30.
 السالمي (المهني) : 28.
 السهائي : 137.
 سان اغستان : 62.
 سحنون بن سعيد : 7، 8، 9.
 سعديا القيومي : 161، 167، 184،
 227.
 سعيد بن الأشج : 124، 152.
 أبو سعيد اسحاق الإسرائيلي : 99،
 148.

—ص—

عبد الله بن زوزتين الوسياني : 134، 23 .
 عبد الله بن ياسين : 107، 94 .
 أبو عبد الله محمد بن أبي منظور : 138
 أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن مروان
 التلمساني : 120 .
 أبو عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي :
 121 .

عبد الرحمن (ابن الجبلياني) : 137 .
 عبد الرحمن الثالث : 207، 200، 134
 عبد الرحمن الداخل : 207 .
 عبد الرحمن الناصر : 143، 118 .
 عبد الرحمن بن رستم : 95 .
 عبد العزيز بن مروان : 81 .
 عبد الفتح عاشور : 87 .
 عبد الكريم زيدان : 146، 32 .
 عبد المؤمن بن علي : 210، 109، 90، 2
 139، 151، 213 .

عبد المجيد ميزان : 36 .
 عبد الملك بن مروان : 61 .
 عبد المنعم الخفجي : 31 .
 عبد الواحد المراكشي : 125، 28، 25
 140، 139 .

ابن عديون : 151، 150 .
 عبيد الله بن الحبحاب : 88 .
 عبيد الله الشيمي : 100، 98، 26 .
 عبيد الله المهدي : 100، 99، 26
 148، 102، 101 .
 ابن الصبي : 175، 159 .
 ابن عذابي : 214، 200، 99، 79، 27
 224، 223، 222، 217، 215
 المعذي : 19 .

ابن صا حب الصلاة : 213، 25 .
 صالح (ابن طريف) : 92، 91، 89 .
 أبو صالح زمر البرفواطي : 90 .
 ابن صمدح : 229، 223، 222 .
 ابن الصيرفي : 199 .

—ط—

الطاهي : 26 .
 الطوطوشي، إبراهيم بن يعقوب :
 17، 19، 36، 37، 174، 208
 209، 229، 236 .
 الطوطوشي، أبو بكر : 29 .
 طريف (البرفواطي) : 90، 89 .
 طودة : 209 .
 طورطوليانوس : 61 .

—ظ—

ابن ظفر الأزدي : 100 .
 ظفر الإسلام خان : 32 .

—ع—

عادل توبهض : 163 .
 ابن العباد : 236 .
 العبادي، عبد الحميد : 14 .
 أبو العباس (وزير حبوس) : 171،
 203 .

عباس أحمد الشريبي : 31 .
 ابن عبد الحكم : 73، 26، 22 .
 عبد الحميد حاجيات : 5 .
 عبد الله بن أحمد بن أبي طالب :
 124، 122، 97 .
 عبد الله بن بلقين (الأمير) : 25،
 134، 201، 203، 204، 205
 212، 215، 223 .

ابو الفضل حسداي : 202, 181, 149.
 بن حسداي : 83.
 فورنال : 210, 206, 149.
 الفونس السادس : 216, 210.
 فيثاغورس : 182.
 فريدريك الثاني : 193.
 — ط —
 القائم بأمر الله (الصباصي) : 103.
 القابسي : 137, 136, 119, 118.
 ابو القاسم سنجو : 95.
 قاسم عبد وقاسم : 32.
 ابن القاسم الحقي (عبد الرحمن) : 7.
 . 9.
 قاسم الحقباني : 120.
 القاضي عبد الجبار البهسي : 100.
 القاضي عياض : 20.
 قايوس : 56.
 ابن القوي : 212.
 القزويني : 200, 174, 19.
 قسطنطين : 64.
 قسطنطين : 73, 64, 63.
 قسطنطين الثالث : 73.
 قسطنطين : 170.
 القليشيدني : 132, 13.
 القيصر أغسطس : 56.
 ابن القيم الجوزية : 30, 13, 12.

ابو الحوب، محمد بن أحمد بن تميم : 78, 20.
 ابن عزرا : 219, 183.
 عزرا حداد : 174.
 ابن عطاء (الطبيب اليهودي) : 21, 121, 104.
 عقبة بن نافع : 81.
 علاء الدين علي بن أحمد بن
 عبد الرحمن الباجي : 30.
 علي بن رضوان : 100.
 علي بن يوسف : 149, 110, 100.
 . 210, 206.
 علي سامي النشار : 31.
 عماد الدين بن حسين الاسنوي
 الشافعي : 30.
 عمر بن الخطاب : 32, 14.
 عمر بن الجاص : 86.
 عمر بن عبد الله المرادي : 88.
 ابو عمران موسى : 121.
 ابو عمران موسى الفاسي : 21.
 — غ —
 الغافقي : 178.
 الغزالي ، ابو حامد : 187, 30, 13.
 . 194.
 — ف —
 فاطمة الزهراء : 99.
 فتيان : 36.
 الفراهي : 194.
 فرن بن سالم : 194.
 فرعون : 131.
 فسيان : 57, 56.

— ك —

- الكابيطور: 236, 215.
 كارل ماركس: 223, 64.
 كافور الاخشيدي: 198, 202, 199.
 كالسوس: 62.
 كانار (ماريوس): 36.
 كاهن (م. ب.): 37.
 الكامنة: 78, 37, 22, 20, 231, 36, 85, 84, 83.
 232.
 ابن كثير: 99.
 كسيلة: 84.
 ابن الكلبي: 84.
 ابن كلس: 199, 198, 99.
 ابن كونة: 191, 30.
 كوميديان: 62.
 كيبينانوس: 62.

— ل —

- لابوميك: 53, 51.
 ابن لب: 192.
 لقيال موسى: 103, 15.
 لويس برنارد: 232, 33.

— م —

- ابن ناجي: 21.
 ناحوم شلوش: 83, 39, 36, 35.
 93, 90.
 الناصر (ابن يعقوب المنصور):
 140, 125, 122.

— م —

- ماركوس تورينو: 53.
 المازني: 139, 126, 104, 12, 11, 10.
 مكسن: 105.
 ابن مالك: 174, 101.
 مالك بن أنس: 20, 9, 7.
 المالكي: 145, 137, 86, 79, 20.
 المأمون: 151.
 مسان (المورخ): 140.
 مانسو، بول: 59, 51, 46.
 الماوردي: 198, 197, 111, 13, 11.
 محرز بن خلف: 117, 8.
 محمد بحر عبد المجيد: 31.
 محمد بركسات: 36.
 محمد بن امين عبد الرحمن: 144.
 محمد بن سحنون: 292, 157.
 محمد بن عبد الرحمن بن المصري: 30.

المهدي بن تومت : 109، 140 .
 موريس : 71 .
 موزا (الطبيب) : 56 .
 موسى الاشعري : 187 .
 موريس ايزنبيست : 81، 39 .
 موسى بن الحزاز : 20، 137، 138، 143 .
 موسى بن نصير : 88 .
 موسى بن يعقوب بن عزرا : 162، 173 .
 مونك : 175، 185، 186 .
 ميسرة المدغبي : 89، 95 .
 ابن ميقاش : 217 .
 ابن ميمون القرطبي : 129، 134، 140 .
 156، 159، 175، 177، 178 .
 136، 187، 212، 220، 235 .
 ابن ميمون (رئيس طائفة اليهود
 باليسانة) : 215 .
 ميلسيوس فليكس : 62 .

— م —

المهادي (العباسي) : 96 .
 المهادي روجراديس : 135 .
 هارون الرشيد : 97 .
 مرقس : 72، 73 .
 ملدريك : 63 .
 ابن ممشك : 25، 140، 218 .
 مونكنيسز : 33، 204، 205 .
 مولويروس : 66 .
 ميمون : 132 .

— ن —

ابن نافد : 178 .
 النواقي : 78 .
 ابن الوراق : 17، 27 .

أبو عبد الله احمد عبد الله بن ميمون
 القداخ : 99، 100 .
 محمد بن مقاتل الصكي : 97 .
 محمد بن حسين : 207، 208 .
 محمد طالبي : 37، 92 .
 ابو محمد فلي بن احمد الاموي : 30 .
 محمد الناصر : 109 .
 مجاهد العامي : 148 .
 المجيلدي : 15 .
 مودوخاي : 132 .
 ابن مشعل : 210، 236 .
 المستنصر الفاطمي : 101، 103 :
 ابن مسرة : 186 .
 المسيح (عليه السلام) : 61، 62،
 222 .
 مصداق بن عبد الله يحيو : 33،
 39 .
 الممتد بن الجهاد : 209، 210 .
 المعز بن باديس : 103، 104،
 121، 133، 148 .
 المعز لدين الله الفاطمي : 20،
 99، 100، 137، 148، 199 .
 المقي التلمساني : 29، 144، 169،
 170، 207 .
 المقرئني : 130 .
 مناحم بن سروق : 164، 167، 227 .
 المنصور (الموحد) : 25، 28،
 110، 121، 122، 125 .
 المنصور بالله الفاطمي : 181 .
 منويل الخصي الفاطمي : 181 .
 المهدي : 99، 100، 101 .

- اليهودا ملهفي : 227، 225 .
 يوبا الثاني : 59 .
 يوحنا الثاني عشر : 208 .
 يوسف اللهي : 143 .
 يوسف بن اسحاق الاسرائيلي : 24 .
 يوسف بن اكنين : 157 .
 يوسف بن تشفين : 103، 107 .
 يوسف بن ابي ثور : 103، 108 .
 يوسف بن بلكين بن زيني الصنهاجي :
 102 .
 يوسف بن زبارا : 134 .
 يوسف بن سمفون الفاسي : 131 ،
 132 .
 يوسف (ابن النفيلة) : 134، 25 .
 205، 204، 203، 202، 201 .
 224، 223، 222، 215، 214 .
 226 .
 يوسف بن يهودا بن يعقوب : 160 .
 يوسفوس (المؤرخ اليهودي) :
 57، 50، 43 .
 ابن يحيى : 77 .
 يحيى الاشبيلي : 194 .
 يحيى بن اسحاق :
 100، 143 .
 يحيى بن الحكمم الفزالي :
 207 .
 يحيى بن غمـــــر :
 15، 13، 11 .
- الوزان (ليون الافريقي) : 93، 19 .
 ول ديورانت : 62 .
 ابو الوليد سليمان بن خلف الهاجي :
 9 .
 الولشريس : 119، 19، 12، 11، 10 ،
 127، 126، 120 .
 145، 135، 129 .
 192 .
- ي —
 اليازوي : 104، 103 .
 الياس (ابن داريف) : 89 .
 الياس بن مدور : 169 .
 ياقوت الحموي : 101، 100، 19، 18 ،
 142 .
 يارح بن حاتم : 80 .
 الياسع بن مدرار : 100، 98 .
 ابو يوسف : 146 .
 يعقوب (عليه السلام) : 112 .
 يعقوب بن ايلي : 140 .
 يعقوب بن العنة : 143 .
 يعقوب بن المنصور : 219، 218 .
 ابو يعقوب يوسف : 139، 109 .
 يخراسن بن زيان : 100 .
 يهودا اللاوي : 176، 100 .
 يهودا بن ابون : 159 .
 يهودا بن قريش : 163 .
 يهودا بن ليثي : 137 .
 يهودا حيز : 157 .

(300)

يحيى بن يحيى بن محمد بن ابيس:

.127

يونس (البرغواني) : 89

.92

أوبية : 96

—ب—

البحر : 77

البوامكة : 204

البرابيس : 77

البربر : 27, 78, 83, 84, 85, 86

. 89, 91, 99, 231

البرثيون : 58

برفواطة : 17, 19, 27, 28, 29, 36

. 37, 39, 90, 91, 92, 93

. 94, 96, 107, 113, 114

. 232

. 42, 43, 44, 45, 55, 74, 132

بني الاغلب : 4, 8, 97, 98

بني زبي : 27, 189, 200, 201

. 203, 205, 229

بني سليم : 104

بني عهد الواد : 109

بني عبيد : 26, 28, 33, 99, 100

. 101, 102, 103, 104

. 106, 114, 137, 128

. 180, 199, 232

. 135, 136, 139, 146, بني فزان : 85

. 149, 150, 154, بني مدارو : 100

. 172, 195, 197, بني هلال : 104

. 198, 210, 214, بني مسعود : 131, 202

. 215, 218, 233, 236, بهلولسة : 85, 96

. 237

أهل الكتاب : 8, 108, 111, 112

. 113, 114, 119

. 121, 123, 128

—أ—

اخوان الصفا : 136

الادابسة : 90, 96

الافارقة : 22, 77, 78, 79

الافريق : 47, 48, 55, 57, 58

. 65, 74, 160, 175

الافونج : 84, 85, 144, 165

. 207

الارويون : 189, 236

آل باديس : 105

آل حمساد : 105

آل خراسان : 110

الاسباط : 112

آل بغويلة : 188, 202

الاندلسيون : 187

الالمان : 208

الامويون : 90, 206, 207

. 208, 209

أهل الذمة : 2, 8, 9, 10, 12

. 13, 14, 15, 17

. 22, 28, 30, 32

. 35, 95, 125, 133

. 135, 136, 139, 146, بني فزان : 85

. 149, 150, 154, بني مدارو : 100

. 172, 195, 197, بني هلال : 104

. 198, 210, 214, بني مسعود : 131, 202

. 215, 218, 233, 236, بهلولسة : 85, 96

. 237

أهل الكتاب : 8, 108, 111, 112

. 113, 114, 119

. 121, 123, 128

- البرنطيون : 77 .
 — ت —
 تادلا : 66 .
 التشيك : 174 .
 التلموديون : 217 .
 — ج —
 جراوة : 86 , 85 , 34 , 83 , 27 .
 231 .
 — خ —
 الخواج : 88 .
 — ر —
 الروانيون : 186 , 185 .
 الروم : 79 , 78 , 77 , 69 , 28 .
 206 , 86 , 85 , 34 .
 209 , 207 .
 الرومان : 57 , 56 , 55 , 50 , 43 .
 74 , 69 , 67 , 65 , 60 .
 231 , 77 .
 الرمادية : 141 , 118 , 214 , 202 .
 142 .
 — ز —
 زبابة : 107 , 105 , 96 .
 — س —
 السامانيون : 17 .
 سدراتة : 96 .
 السودان : 95 .
 — ش —
 شالا : 96 .
- الشيعية : 107 , 106 , 103 , 90 .
 — ص —
 الصفوية : 95 .
 الصقالبة : 144 .
 — س —
 السبرانيون : أنظر اليهود .
 السجم : 73 .
 العرب : 72 , 36 , 83 , 85 , 88 , 86 .
 95 , 104 , 149 , 163 , 183 .
 184 .
 العلويون : 96 .
 — غ —
 غمارة : 107 , 96 .
 غيانية : 85 .
 — ف —
 الفتيقون : 74 , 45 , 39 .
 الفهرينيون : 234 , 119 .
 — ق —
 القاط : 81 .
 القرامون : 185 .
 القرامطة : 119 , 101 , 99 .
 القوطاجيون : 77 .
 القريشيون : 119 .
 قدلاوة : 96 , 85 .
 — ك —
 كتامة : 282 , 103 , 98 .
 — ل —
 لواتية : 96 .

- 86, 78, 72, 70, 68, 67, 64
 193, 125, 119, 113, 109
 210, 208, 206, 205, 194
 221, 219, 217, 221
 186, 185 : الممطرة
 68, 66, 65, 5, 3, 2 : المغاربة
 84, 80, 77, 75, 72
 91, 89, 87, 86, 85
 98, 96, 95, 93, 92
 149, 128, 113, 112
 232, 219, 152, 150
 96 : مغيلة
 96 : مكناسة
 الملثمون : أنظر العرابطون
 ملوك الدوائف : 204, 202
 210, 209, 207, 206
 221
 — ن —
 32, 30, 22, 20, 15 : النصارى
 97, 95, 86, 79, 78
 112, 111, 105
 148, 137, 129, 124
 188, 151, 150, 149
 216, 211, 209, 205
 221, 218, 217
 96 : نفزة
 — ه —
 175 : الهنود
 — و —
 221, 107, 68 : الوثنيون
 69, 68, 67, 66, 44 : الوندال
- م —
 84, 79 : المجوس
 90, 81, 31, 25 : الموحدون
 140, 124, 94, 93
 219, 218, 210, 206, 165
 220
 96 : مدينة (قبيلة)
 96, 86, 85 : مديونة
 94, 93, 90, 27, 9 : المرابطون
 162, 109, 108, 107
 210, 209, 206
 217
 111, 109 : المرينيون
 80, 79, 78, 73 : المسلمون
 96, 95, 88, 84, 81
 110, 117, 112
 124, 123, 121, 119
 129, 127, 126, 125
 137, 136, 135, 130
 144, 140, 139, 138
 151, 149, 148, 146
 168, 161, 157, 152
 185, 184, 183, 175
 191, 190, 188, 187, 186
 195, 194, 193, 192
 201, 200, 198, 197
 209, 207, 206, 204
 214, 212, 211, 210
 219, 218, 217, 216, 215
 229, 226, 224, 221
 237, 236, 235, 234, 233
 63, 61, 60, 44, 2 : المسيحيون

- . 19 1890, 189, 188, 187, 186
 . 198, 197, 195, 194, 193, 192
 . 205, 204, 202, 201, 200, 199
 . 215, 214, 212, 211, 210, 206
 . 221, 220, 219, 218, 217, 216
 . 227, 226, 225, 224, 223, 222
 . 234, 233, 232, 231, 229, 228
 . 237, 236, 235
- . 11, 10, 8, 7, 5, 4, 3, 2 : اليهود
 . 20, 19, 18, 17, 16, 15
 . 26, 25, 24, 23, 22, 21
 . 32, 31, 30, 29, 28, 27
 . 38, 37, 36, 35, 34, 33
 . 46, 45, 44, 43, 42, 41, 39
 . 52, 51, 50, 49, 48, 47
 . 58, 57, 56, 55, 54, 53
 . 64, 63, 62, 61, 60, 59
 . 70, 69, 68, 67, 66, 65
 7, 76, 75, 74, 73, 72, 71
 . 83, 81, 80, 79, 78, 77
 . 94, 93, 92, 88, 87, 86
 . 102, 101, 97, 96, 95
 . 110, 108, 106, 104
 . 116, 113, 112, 111
 . 121, 120, 119, 118
 . 125, 124, 123, 122
 . 129, 128, 127, 126
 . 133, 132, 131, 130
 . 137, 136, 135, 134
 . 141, 140, 139, 138
 . 145, 144, 143, 142
 . 149, 148, 147, 146
 . 153, 152, 151, 150
 . 157, 156, 155, 154
 . 161, 160, 159, 158
 . 165, 164, 163, 162
 . 171, 170, 169, 168
 . 175, 174, 173, 172
 . 181, 179, 177, 176
 . 185, 184, 183, 182

أ -

- المانسة : 223, 222, 214, 143, 24
 . 229
 الهسانة : 217, 215, 205, 158, 134
 233, 224, 223, 222, 221
 . 235
 انجلترا : 170
 انطاكية : 63, 57
 الاندلس : 27, 24, 23, 18, 17, 10, 9
 38, 32, 36, 35, 33, 31, 29
 118, 114, 110, 109, 107
 149, 148, 143, 133, 128
 170, 165, 163, 160, 158
 181, 180, 178, 176, 173
 190, 189, 187, 186, 184
 204, 202, 200, 195, 193
 212, 210, 208, 207, 206
 219, 217, 216, 215
 225, 224, 222, 221
 236, 231, 227, 226
 أوتيك : 51, 41
 الأوراس : 36, 33
 أوبيا : أنظر طرابلس
 إيطاليا : 173, 72, 71, 70, 44, 33
 . 227

ب -

- باب البيرة : 27
 بجاية : 106
 بحرايجة : 173

اثل : 16

اجدابية : 120

ارافون : 219

الاريس : 98

الاروك : 219

ارل : 71

أربا : 37, 36, 33, 16, 4

125, 119, 116, 61, 60

195, 194, 193, 144

227, 226, 221, 206

235, 234, 233, 223

. 236

أربا الوسطى : 174

اسبانيا : 71, 70, 66, 63, 45, 44

163, 162, 75, 74, 73

226, 219, 173, 169

. 223

الاسكندرية : 56, 54, 49, 48, 42

174, 142, 73, 53

. 224

أسيسا : 228

اشبيلية : 209, 165, 71, 24

. 226

اغصان : 103, 107

اغصان ايلان : 113

افريقية : 85, 33, 30, 27, 20, 17

179, 178, 145, 36

232, 225, 129, 180

افريقية : 67, 66, 19

القيصر : 63

المانيا : 179, 174

بحر الزقاق : 209 .

البحر المتوسط : 147, 50, 45, 44 ,
226, 161, 152

. 231, 223

البرتغال : 219 .

برقعة : 48, 47, 43, 42, 39

57, 56, 55, 51, 49

. 231, 60, 59, 53

البحرة : 117 .

بغداد : 192, 174, 173, 117

البقاع المقدسة : 192 .

بلاد الحوز : 107 .

بلاد السودان : 246, 242 .

بلاد السوس : 207 .

بلاد البلغار : 174, 16

بنبلوبة : 207 .

بنزرت : 80, 79, 28

بلنسية : 236, 216, 215, 27

بوربون : 70 .

بولسدة : 174 .

بيت المقدس : 50, 48, 43, 41

, 107, 74, 57, 56

. 227, 226

بزازسين : 51 .

بيزنطية : 206 .

— ت —

تارودانت : 107 .

تامسنا : 94, 93, 92, 89, 19

. 96

تاهرت : 141, 118, 91

تيسة : 51 .

ترشيش : 81, 41

تركيا : 173 .

تلمسان : 120, 110, 109, 107, 28

. 227, 224, 221, 143

تسي : 107 .

توزر : 51 .

توكرة : 42 .

تولوز : 225 .

تونس : 110, 81, 80, 53, 51, 41, 20

. 226, 211, 151, 140, 117

تيزازة : 51 .

— ح —

جبل الاوراس : 231, 86, 85

جبل نفوسة : 147, 104, 86, 85, 21

الجزائر : 101, 10, 5

جزر البليار : 148

الجم : 54

الجنيزة : 143, 142, 138, 120, 119

, 226, 156, 155, 146, 144

. 235, 229

جيان : 224, 205

— ح —

حلب : 226, 181

حمام الانف : 53, 51

حوش النيل : 70

— خ —

خواسان : 227, 226

الخزرة (مملكة) : 19, 16

الخروطوم : 5

خيبر : 116, 80

— د —

دار الاسلام : 129, 114, 111

195, 164, 136

224, 197

الدايوب : 70

دانية : 148

دوب القوساين : (القيروان) 105

— ر —

الرهاط : 109

رقادة : 101, 98

روسيا : 174

رومبا : 60, 57, 56, 54, 44

208, 174, 125, 72

209

— ز —

الزاب : 97

الزلاقة : 216

زهانة : 134, 120, 23

— س —

سبتية : 211, 165, 88, 66

229

سبيطلة : 78

سجلعاسة : 108, 101, 98, 95

147, 146, 142, 139

227, 224

الصوت : 59, 51

سوتبا : 51, 43

سودينا : 71

سوقسطة : 176, 175

سيلا : 43

سلعية : 100, 99

سطيف : 51, 43

سوقسند : 174

سوريا : 226, 174

السويح الاقص : 107, 95, 88

سور الفزلان : 51

سومسية : 147, 87, 54, 51, 42

سوق اليهود : (القيروان) 141, 105

سيان : 174

— ش —

الشام : 132, 100, 85

شبه الجزيرة : 45

شحات : 33

شوشال : 39, 51

شرق أوبا : 196

الشرق : 227, 187, 66, 16

شمال افريقيا : 206, 70

— ص —

الصحراء : 107

صحراء القمه : 131

صقلية : 226, 193, 174, 103, 71

صور : 227, 41

صورا : 185, 167

الصين : 223

— ط —

طرابلس : 143, 86, 51, 39

ابن طافيل (دروب) : 88

طليعة : 42

طليطلة : 219, 195, 198, 149, 71

طنجسة : 107, 88, 66

— ع —

العالم الاسلامي : 117, 18

العراق : 224, 181, 174, 167, 133

227, 225

المقاب : 109

عمان : 21

—غ—

196، 195، 200، 206، 207، 208،
217، 221، 225، 235،

غابسة: 142،
الغرب: 66، 16،

قشالسة: 209، 210، 219، 236،

غرباطلة: 24، 25، 27، 28، 128،

قصصة: 104، 139،

149، 158، 162، 170،

القلعة: 105، 106،

189، 195، 201، 205،

قمموت: 53،

214، 215، 218، 222،

قملورية: 120،

223، 224، 229، 235،

قورينة: 42، 43، 47، 48، 51، 56،

—ف—

فاروس: 16،

57، 58، 60، 65، 74، 81،

القوقاز: 70،

96، 97، 108، 110، 118،

القيروان: 2، 13، 20، 21، 54، 81،

134، 142، 143، 149، 159،

84، 87، 88، 93، 105،

160، 163، 167، 221، 224،

110، 118، 124، 125،

227،

123، 141، 142، 145،

فارار: 120،

153، 160، 164، 167،

فسنخ: 96،

173، 174، 193، 217،

فرنسا: 73، 174، 193، 217،

225، 227، 235،

فلسطين: 22، 46، 174،

قهيصرية: 60، 63،

—ق—

—ل—

قابس: 2، 17،

لتران: 125،

قادش: 71،

ليبيا: 33، 50، 51، 54، 55، 56، 70،

القاهرة: 34، 36، 102، 103، 110،

ليكسوس: 47،

117، 124، 147، 227،

ليون: 207، 219،

قهيوص: 57، 147،

—م—

قهيورعون: 51،

مالقا: 175، 180،

قودلاجة: 39، 42، 43، 46، 47،

مدينة السلطان: 51،

51، 53، 54، 55، 59،

مراكش: 107، 108، 109، 110، 118،

60، 61، 62، 67، 69،

220،

79، 131، 23،

المسرج: 42،

قوطية: 2، 24، 27، 71، 114، 127،

مرسيليا: 71،

135، 144، 153، 159،

المشرق: 3، 14، 16، 24، 34، 43، 55،

167، 171، 181، 187،

- 151, 149, 148, 147, 146, 145
 177, 173, 168, 160, 153, 152
 199, 198, 197, 187, 181, 178
 222, 221, 211, 206, 203, 202
 231, 229, 228, 226, 224, 223
 237, 236, 235, 223, 232
 المغرب الأقصى : 55, 59, 51, 35
 116, 107, 89
 المغرب الأوسط : 106, 105, 95
 مقدوني : 209, 174
 مكناسة : 107, 95
 موريتانيا (مقاطعة) : 51
 موريتانيا الطنجية : 68, 51
 موريتانيا السطيفية : 68
 المهدية : 135, 104, 101, 78
 — ن —
 نابولي : 71
 ناربون : 79
 نافر : 215
 نيقيا : 64
 نومديا : 60, 54, 51, 43
 نومديا الجنوبية : 68
 — ه —
 الهند : 223, 220, 174, 143
 منشير فوارة : 51
 هولندا : 174
 — و —
 وجدة : 107
 وجدو : 120
 وهران : 107
 واليلي : 96, 51, 43
 — ي —
 اليمن : 226, 174, 143, 96
- 95, 89, 88, 84, 57
 143, 142, 123, 110
 168, 153, 152, 144
 186, 185, 181, 172
 228, 227, 225, 223
 44, 42, 41, 39, 32 : مصر
 34, 31, 58, 57, 54
 103, 102, 98, 96
 133, 131, 128, 116
 151, 147, 143, 140
 130, 179, 174, 159
 226, 199, 192, 184
 10, 9, 8, 7, 5, 4, 3, 2 : المغرب
 17, 16, 14, 13, 11
 23, 22, 21, 20, 19, 18
 29, 28, 26, 25, 24
 37, 36, 35, 33, 32
 45, 44, 43, 42, 41, 39
 54, 53, 51, 47, 46
 65, 63, 60, 56, 55
 71, 69, 68, 67, 66
 77, 75, 74, 73, 72
 84, 83, 81, 80, 79, 78
 91, 89, 88, 87, 85
 99, 98, 96, 95, 94
 104, 103, 102, 101
 108, 107, 106, 105
 112, 111, 110, 109
 113, 116, 114, 113
 127, 124, 123, 119
 139, 138, 136, 129
 144, 143, 142, 141

الاهـداء

المقدمة

01

06

تقــيد المصادر والمراجع

الفصل الاول

اليهود في المغرب قبل الفتح

39

45

50

66

68

1 — الهجرة اليهودية الى المغرب

2 — اليهود في العهد القرطاجي

3 — اليهود في العهد الروماني

4 — اليهود في العهد البندالي

5 — اليهود في العهد البيزنطي

الفصل الثاني

اليهود في المغرب بعد الفتح

77

83

88

111

1 — اليهود اثناء الفتح

2 — اليهودية في المغرب

3 — اليهود في المغرب بعد الفتح

4 — الوضعية القانونية لليهود

الفصل الثالث ٤٢٠٣٧٤

الحياة الاجتماعية والاقتصادية لليهود

116

141

1 — الحياة الاجتماعية

2 — الحياة الاقتصادية

الفصل الرابع

الحياة الثقافية لليهود

154

158

183

187

193

1 — التعليم والمؤسسات التربوية

2 — الحركة الفكرية

3 — التأثير الاسلامي في الثقافة اليهودية

4 — الجدل الثقافي بين اليهود والمسلمين

5 — دور اليهود في نقل الثقافة الاسلامية الى أوروبا

الفصل الخامس

الحياة السياسية لليهود

197	1 — الوظائف الادارية والسياسية
206	2 — المهام الدبلوماسية (السفارات)
211	3 — مؤتمرات ودسائس اليهود
221	4 — محاولة انشاء دولة يهودية
224	5 — علاقة يهود المشرق بيهود العالم
230	الخاتمة
238	الملاحق
255	الخرائط
263	المصادر والمراجع
289	فهرس الاعلام
301	فهرس الجماعات
306	فهرس الاماكن

